

مقالات في كلمات

علي الطنطاوي

مكتبة دار الفتحة

Tantāwī, 'Alī

٢

/Maqālāt fī kalimāt/

مقالات في كلمات

علي الطنطاوي

٥

نشر وتوزيع
مكتبة دار الفصح بدمشق

شارع سعد الله الجابري
بناية المولوية

N. Y. U. LIBRARIES

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي هدانا لهذا
وغيرنا به لولا اننا كنا
من الضالين
الحمد لله الذي هدانا لهذا
وغيرنا به لولا اننا كنا
من الضالين
الحمد لله الذي هدانا لهذا
وغيرنا به لولا اننا كنا
من الضالين

المقدمة

كنت في سنة ١٩٤٩ أكتب في جريدة (النصر) أولا ، ثم في (الأيام)
آخرًا ، : كلمات بعنوان (كل يوم كلمة صغيرة) . ولبثت على ذلك سنوات ،
اجتمع لدي فيها دكام منها ، منه ما لا يقرأ الا في يومه وقد اعملته
واطرحته ، ومنه ما يقرأ في كل الاوقات ، وقد اخترت منه هذه الكلمات .
واتبه القارىء الى ان هذه الكلمات كتبت من نحو عشر سنين ، وما
فيها من مشاهد وصور ، انما كان في تلك الايام .

علي الطنطاوي
مستشار محكمة النقض

دمشق : ٢٠ جمادى الاولى ١٣٧٩
٢١ تشرين الثاني ١٩٥٩

الى الاغنياء

يا مضطجعين على فرش النعيم ، يا آمنين في حصى المدافئ ، يا فاعمين
في ردهات القصور ، يا راتعين في لذائذ العيش ، يا من لا يعرفون كيف
يحفظون أموالهم : هل يجمدونها ذهباً ، أم يحولونها دولارات ، أم
يستثمرونها أسهما ، ولا يدرون أين ينفقون فضلاتها وزوائدها ، فلا يفتأون
يسألون ، عن دار أجمل من الدار التي يسكنون ، وسيارة أفخم من
السيارة التي يملكون ، وأثاث أحدث من الاثاث الذي يفتنون .

يا أيها الاغنياء المترفون ، اذكروا ان في الارض من اخوانكم ، من
أبناء أبيكم آدم ، وامكم حواء ، من لا يجد في هذا البرد الذي يجسد
الانفاس دثاراً من الصوف يتدثر به ، وغرفة محكمة يأوي اليها ، وثارا
موقدة يتدفأ بها ، ومن لا يعرف من أين يأتي المال الذي يشتري به
الخبز يسد به جوعه ، والدواء ينفع به مرضه ...

وان في البلد فقراء مدقعين ، وان في البلد لاجئين ...
وانكم لا تكونون من أبناء آدم ، اذا أهملت اخوانكم هؤلاء ، ولم
تخطرهم على بالكم ، ولم تجعلوهم من همكم !

فابحثوا عن الفقراء من جيرانكم ، واللاجئين في حيكم ، وسلوا
أولادكم في المدارس عن أولاد الفقراء ما حالهم ؟ ماذا يلبسون ؟ فلعل
ثوباً عتيقاً من ثياب أولادكم يكون هدية العيد عندهم ، وفيهم يكتبون
فلعل دفترًا قديماً من دفاتر أولادكم يكون فرحة العمر لهم ، ولعل
ال (خمس ورقات) التي تنفقونها فلا تحسون بها ، تكون ثروة لهم ،
اذا دفعتموها اليهم !

ولا تفتروا بالفنى فطالما افتقر اغنياء ، ولا بالصحة فطالما مرض
أصحاء ، ومادامت الدنيا لأحد حتى تدوم لكم ، والحساب بعد ذلك
أمامكم ، وستعرضون على ربكم ، فاجعلوا هذه (الصدقات) شكركم
لله ما أنعم به عليكم ، واجعلوها تكفيرا عن خطاياكم ، وأسروا الصدقة
حتى لا تعلم يمينكم بما صنعت شمالكم ، يضاعف لكم الاجر عند ربكم
أو أعلنوها حتى يقتدي الناس بكم ، ويسيروا في الخير على سننكم ...
يا أيها الاغنياء : اسمعوا ما أقول لكم ، فلقد والله نصحتكم !



الايمان

في فلم جان دارك ، الذي مثلته أنجريد برجمان ، مشهد عظيم هو مشهد الفتاة لما وصلت الى مقر قيادة جيش شارل السابع فوجدت القوم مقبلين على اللهو واللعب ، فوعظتهم فسخرها منها ، فنصحتهم فأعرضوا عنها ، فجمعت الجنود وقامت تخطبهم ، تذكرهم أن جيش الانكليز أقوى عدة ، وأكثر عدداً ، وأنهم لا يستطيعون أن يغلّبوه ، ويظفروا به ، ويخرجوه من أرض الوطن الا بشيء واحد ، هو أن يكونوا مع الله ، ويقاثلوا في سبيله ، وينبذوا المعاصي ، ويتوبوا من الذنوب ، واستجاب لها الجنود ، فنقلتهم من الهزيمة الى الظفر ، ومن الضعف الى القوة ، ومن الانقسام الى الاتحاد . وما قالته جان دارك يكاد يكون ترجمة حرفية لرسالة عمر المشهورة ، وما قالته جان دارك هو الحق الابلج ، الذي يؤيده العقل والدين والتاريخ العسكري .

وفتحنا ما فتحنا الدنيا في صدر الاسلام ، ولا أزعنا امبراطورية فارس ، وقهرنا مملكة الروم ، وعملنا هذه المعجائب الا بالايمان . بالايمان استطعنا أن نحارب بسيوف ملفوفة بالخرق ، وجنود مهلهلة ثيابهم ، خاوية بطونهم ، أقوى جيوش الارض ، واكملها هيئة وعتادا ، وان نتزع منهم النصر .

بهذه العقيدة الاسلامية اتصرتنا : عقيدة أن المؤمن يقاتل في سبيل الله ، ولاعلاء كلمة الله ، فهو بين الحسنين : النصر أو الشهادة ، فكان جنودنا يحرسون على الموت ، أكثر من حرص أعدائهم على الحياة ، ويسعون اليه سعي الناس الى اللذات والمتع ، وكان الشاب منا ان رده النبي صلى الله عليه وسلم لصغره ، يتناول على رؤوس اصابعه حتى يبدو كبيرا فيأخذه الى القتال ، وكان الجندي منا تقطع ذراعه وتبقى

معلقة بكتفه ، فتعوقه ، فيضع أصابع الذراع المقطوعة تحت قدمه ويتمطى حتى يقطعها فيلقبها ، ويسود الى قراع العدو ، وكان الجندي منا تكون في يده تمرات يأكلهن فيسمع رسول الله يقول أن من يقتل يدخل الجنة ، فيقول : يخ يخ ، ما بيني وبين الجنة الا أن ألقى هؤلاء ؟ ويرمي التمرات ويهجم على العدو ، وكانت المرأة منا يقتل أبوها وزوجها وأخوها في سبيل الله فلا تفكر فيهم وتسال : ما فعل رسول الله ؟ فإذا قيل لها : هو حي ، قالت : كل مصيبة بعمه هينة . وأخرى يقتل أولادها الخمسة فتقول : الحمد لله الذي شرفني بقتلهم ...

بالإيمان حاربنا لا بسلاحنا ، وبالإيمان انتصرنا ، وبالإيمان وقف سعد ، وهو بدوي من الجزيرة ، لم يدرس فنون الحرب ، ولا دخل مدرسة عسكرية ، في وجه رستم القائد الفارسي ، وانتصر عليه ، وبالإيمان فتح عقبة المغرب كله بلغ البحر الاطلسي ، فاقتمه بفرسه وقال : اللهم لولا هذا البحر لمضيت مجاهدا في سبيلك حتى أموت ، أو أفتح الارض .

وانها لا تصلح أواخر هذه الامة الا بما صلحت به أوائلها وان فينا لبقية من هذه البطولات ، من هذه المارك المظفرة التي خضناها ، دفاعاً عن الحق والفضيلة واعلاء لكلمة الله ، في قلوبنا ذكرياتها ، وفي دماغنا حماسها ، فابشروا هذه الذكريات واثيروا هذه الحماسة ، وأيقظوا الايمان في النفوس ، وسوقوا الوعاظ الصادقين ، والعلماء العاملين الى الجبهة يتلون على الجند تاريخ الفتوحات الاولى ، وأخبار البطولات العربية ، ويلقنونهم معاني الايمان ثم انظروا ما يصنع هؤلاء الجند !

انهم والله يصنعون المعجزة التي تدعش العالم وتتركه مشدوهاً مفتوحاً فيه يقول ألا ترون ما صنع هذا الجيش الصغير !

يا أيها السادة ، انكم تملكون سلاحاً هو أقوى والله من المدافع والطائرات ، فلا تهملوه ولا تنسوه ، ان هذا السلاح هو الايمان .

* * *

اجير الغباز

هذه صورة وصفية صادقة لحادث حدث من يومين ، وكان النهار مصحياً دافئاً ، وآلاف الشباب يتبحرون على طرفي شارع فؤاد ، مرحلة شعورهم ، مصقولة وجوههم ، محبوبكة ثيابهم يختالون زهواً واعجاباً ، كسرب من الطواويس ، أو كجماعة من دبكة الحبشة ، منفوشاً ريشها ، ومئات البنات ، من كل جميلة صنعتها يد الله ، وذات جمال من عمل الحلاق والخياط ، وبائع الاصباغ وصانع العطور ، يخطر ، ينثرن حولهن الفتنة وينثرن الاغراء .

وشمس الاصيل تطل من خلال منافذ الشارع الغربية ، كما يطل الامل من فرج اليأس ، فتنتقل هؤلاء الناس من أرض الحقيقة ، الى سماء الاحلام ، فيذهبون جميعاً الى اعماق حلم ذهبي تضع فيه هذه الرؤوس المتعاقبة ، التي غرقت في نشوة الحب ، وغابت في هذا الهمس الناعم ، الذي تنسى معه الدنيا وما فيها وهذه الرؤوس المفردة التي تتعلل بذكريات لذة ماضية ، وخيالات لذة لم تأت ، أو تفوص في رؤى شيطانية فاجرة من عمل الحرمان .

ورأيت في وسط هذا العالم البهيج ، السابح في غمرة النعيم صورة من صور البؤس ، ومظهراً من مظاهر هذا الظلم الاجتماعي ، رأيت صبياً لا أظنه قد أكمل العاشرة ، ضامر الوجنت من الهزال ، بادي العظام ، يمشي حافياً ، بخطى واهنة متقاربة على ساقين كأنهما قصبتان من القنب ، يلبس معطفاً واسعاً ممزق الظهر يتعثر فيه تعثراً ، فوق قميص رقيق

مخرق ، يحمل على عنق دقيق مثل عنق الدجاجة (فرشا) كبيراً عليه
ركام من الخبز ، يكاد الغلام ينسحق تحته .
وكان هؤلاء النعمون الذين أثقلتهم التهمة ، وأبطرهم الترف
يتحامونه ويتمدنون عنه ، ويضمون أثوابهم أن تلامس ثيابه كأنما هو
مجدوم أو مجرم ، أو كأنه وحش كاسر .. ولم يلتفت اليه واحد منهم ،
ولم يرحم هذه الطفولة المعذبة ، ولم يقع عليه نظر ، وانما كانت الانظار
كلها منصبة على تلك العيون ، التي يتدفق منها الفتون ، وتلك القدود ،
التي تميز برقة ، وتخطر بدلال ...

وكانت السيارات تتسابق تحمل المدللين من أبناء الامة : الموظفين
الكبار الذي تهبط عليهم الخيرات بلا حساب والمجدودين من الوارثين
وأغنياء الحرب ، واللصوص المختبئين في ثياب الاشراف .

... ومرت سيارة أنيقة فخمة من سيارات الدولة ، فيها سيدة ملفوفة
بالفرو . تكاد تنفزر ^(١) مما تفخها البطر ، وولد واقف على شباك
السيارة ، قد مد رأسه ينظر ويتلهى ، وكأنه يسخر من هذا الشعب ،
الذي دفع ثمن السيارة من عرق عامله ، ودم فقيره ليركب فيها هو وأمه ،
الى الاستقبالات ، والمخازن والسينمات .

ووقفت السيارة فجأة الى جنب الغلام الذي يحمل (الفرش) ودفعه
أحد السادة حتى لا يدنسه فمال على السيارة ، فمس طرف رغيف مما
في الفرش ، وجه الولد مساً رفيقاً ، وقامت القيامة ووقف القسم الظالم
من هذا الشعب ، أمام القسم المظلوم ، يمثل الاول ولد السيارة بقسوته
وكبريائه ، وأخذ ما ليس له واستطالته على من دونه ، ويمثل الثنائي
غلام الخباز ، يضعفه وبؤسه ، وكسحه وذلته ، وصرخ الولد وأعول ،
وهاجت الام ، ونزل السائق بقوته وبطشه على هذا الغلام ، فضربه حتى

(١) انفزر من العامي الفصح .

كاد يحطمه ، ورمى خبزه ودعسه بقدميه ، وتم ذلك في لحظات ، فما
وصلت حتى كان كل شيء قد انتهى ، والسيارة قد مرت كالعاصفة ، لم
تخلف وراءها الا الغلام يبكي صامتا ، لا يرفع صوته ولا يستنصر أحداً ،
لأنه يئس من أن يجد في هؤلاء المترفين انساناً يصغي اليه .
وأسدل الستار على المأساة ، وعاد الموكب الحالم يتابع طريقه
يستمرىء حلمه الذهبي المترع بالنشوة والشهوة والفتون ..
وكان شيئاً لم يقع ، لم تقتل العدل ، ولم نظلم الطفل ، ولم نملأ
هذا القلب الصغير حقداً على الحياة ، حتى اذا كبر استحال هذا الحقد
اجراماً فاتكاً مدمراً ...



مجرم الغد

هل نسيتم الغلام الذي كان يعمل فرش الخبز ؟ أما أنا فما نسيته ، ولم تبرح صورته خيالي ، وهو ينظر الى خبزه مرمياً على الارض ملطخاً بالوحل ويبكي في صمت .

ولقد رأيتها تلك الليلة في أحلامي ، رأيت طول ليلي دموعاً تنقط حارة مضطربة ، ودموعاً تجري جياشة مضطربة ، وحيشاً تلفت في منامي رأيت دموعاً ، دموع الاطفال المظلومين ، في البيوت والمدارس ، والدكاكين والشوارع ، وتألف من الدموع سيل عات طاغ ، أبصرته يجرف البلد ، وينسف هذه الاوضاع الاجتماعية القائمة بما فيها من شر ، وما فيها من خير ..

وصحوت مرتجفاً .. واذا الامر حقيقة من صنع الواقع لا رؤى من عمل الخيال ، واذا هذا السائق الظالم ، قد وضع في قلب الغلام نواة الحقد على الهيئة الاجتماعية ، والعزم على الانتقام منها ، وحول هذا القلب الصغير ، من أداة للخير والصلاح ، الى قنبلة مدمرة ، ستنفجر يوماً ، فتهلك صاحبها ، وتهلك معه الناس واذا المجرمون من أمثال السائق كثيرون ، منهم الاب الجبار والمعلم القاسي ، والموظف المتكبر ، وهذه النظم التي تقضي بالحرمان ، على اطفال براء ما جنوا ذنباً ، وتمطى اطفالاً آخرين أفانين النميم ... واذا هذا الغلام الذي تركسه الهيئة الاجتماعية عارياً حافياً ، لتركب طقلاً مثله السيارة التي شريت بأموال الامة ، وحملته على رأسه هذه الاثقال ، وسيثرته بيؤسه وشقائه في طريق كل من فيه سعيد ، والذي لم يستطع أن يدافع عن نفسه اليوم

الا؟ بالدموع الصامتة ، ان هذا الغلام سيقوى ويشتد ويصير رجلا ، وسيرد الظلم ظلماً أشد ، والمدوان عدواناً أفظح وسيدمر الهيئة الاجتماعية التي دمرته ، وسيجرمها الاطمئنان كما حرمته التهذيب ، وسيأخذ ما ليس له لأنه منع أن يأخذ ما هو له وسيعدو على المال والعرض ، وسيغدو مجرماً يركب هواه ، فلا يرد رأسه القانون ، الذي لم يعوده احترامه ، ولا الدين الذي لم يعلموه أحكامه ، ولا السجن ولا التعذيب .

فاذا أردتم أن تعرفوا مجرمي الغد الخطرين السفاكين فابحثوا عنهم في ثياب أطفال اليوم البائسين المظلومين ، وارفعوا الظلم يرتفع الاجرام ، وأذهبوا البؤس يذهب الخطر ، واعلموا أن هؤلاء المجرمين الذين تمتلي بهم السجون كانوا يوماً أطفالاً أطهاراً ، وان هؤلاء الاطفال المهملين المظلومين سيصيرون يوماً مجرمين أشراراً .

وان رأس الاجرام ، ومنبع الشر هو الذي ظلم هؤلاء الاطفال ، رأس الاجرام (السائق الجاني) والاب الجبار ، والمعلم القاسي ، والصوص الذين يسرقون أموال الفقراء ولا يجد القانون اليهم سيلاً ، فلا تستهينوا بدموع الطفل المظلوم ، فانها ستجتمع الدموع يوماً فتكون سيلاً عاتياً جارفاً لا يقف أمامه شيء .



مشكلة وجيه

سيدي الوجيه الكبير :

قرأت كتابك الذي أرسلته الى (النصر) باسمي ، وفهمت قصتك الطويلة ، أما رأيي الذي تقسم عليّ بأن أعلنه بصراحة ، وأن أنشره في (النصر) فاني أخاف أن تغضب اذا أبديته لك أو أن يلومني على ابدائه القراء .

لأن رأيي فيك يا سيدي المحترم أنك... أحق كبير—ولامؤاخذف وانك لا تصلح أباً لهذه البنت العاقلة ، وانك مع الاسف صورة لاكثر الآباء ، لا تختلف عنهم الا كاختلاف نسخ القصة المطبوعة بعضها عن بعض . فهمت من كتابك أن الخاطب الذي رغب فيه ابنتك محام فقير ، لا يملك الا شرفه وخلقه وعزة نفسه ، والمال الذي يأخذه بكد يمينه ، وعرق جبينه .

وان الخاطب الشاب الجميل الغني المدلل وحيد أبويه — اسم الله عليه — الذي يملك وزنه ذهباً ، لم تقبل به البنت لأنه ليس بصاحب علم ، ولا بذى مهنة ، وانها أبت من تريد ، وأبيت من أرادت ، فبقيت بلا زواج .

وانك حائر في هذه المشكلة لا تدري ماذا تصنع .

ومشكلتك هذه يا سيدي مشكلة البلد كله .

مشكلة سببها أتم أيها الآباء ، الذين يحسبون البنت سلعة فهم يريدون أن يبيعوها ، لمن يدفع فيها الثمن الاكبر ، ويظنون الزواج صفقة تجارية ، فهم يتمنون أن يخرجوا منها بالربح الأوفى .

أتم سلبتم الزواج معناه الانساني العاطفي ، وجعلتموه معاملة مالية ،
يبحث فيها عن المهر والجهاز ، والحفلات والولائم ، قبل أن يبحث عن
التوافق والحب ، والسعادة الزوجية .

أتم وضعتم الاشواك في طريق الشباب ، الذين يريدون بناء البيت ،
وانشاء الاسرة ، وارضاء الله والخلق ، وأقفلتم في وجوههم أبوابكم ،
ففتحتم لهم بذلك باب الفجور والفساد ، وعبدتم لهم طريق البغاء والمرض
والافلاس .

أتم الذين يضحون بصحة بناتهم ، وبأخلاقهن وبسعادتهن في سبيل
التفاخر والتكاثر ، والعظمة الفارغة ، ويضحون بعد ذلك بمصلحة هذا
الوطن ! أتم المسؤولون عن مشكلة البغاء السري ؟ أنت وأمثالك
من الآباء ! وتسالني بعد ذلك رأيي ؟

رأيي أنك مجرم كبير . . . يا سيدي الوجه الكبير !



اكرموا الفلاحين

حدثني صديق ، قال :

لما وصلت بنا سيارة القصاع الى (برج الرؤوس) ركب معنا فلاح من احدى القرى النائية ومعه امرأته ، صعد هو من أول السيارة ، وطلعت هي من آخرها ، وقعد كل في أقرب مقعد من الباب ، وأخذوا يتحدثان حديث البقرة والدجاج والكشك والبرغلات ، بصوت كان يعلو على هدير السيارة ، ويمر من بين الركاب ويرتفع حتى يبلغ آذان من في الطريق ...

واحتل الركاب الاذى هنيئة ، فلانين أنهما سيسكتان فلم يسكتا ولم يباليا بأحد فصاح بهما جابي السيارة :
— ما هذا ؟ هل تحسبان انكما في الضيعة بين الفلاحين ؟

فغضب الفلاح وقال :

— لا يش شوبو الفلوح ؟ محسبينا ما نفهوم ؟ شوفنا كتاير وركبنا طرومبايات كتاير !!

وحسبت الركاب سيكبرون هذه الغضبة واذا هم ينفجرون ضاحكين ، ثم لا يتركون كلمة هزء وسخرية الا رموا بها الفلاحين ، حتى أحنى رأسه خجلا وتصبب من خجله عرقا ، وجعل ينظر حوله حائرا مشدوها كالشاة التي تساق الى الذبح اذ تنظر تقش عن نصير !

فقلت لمن حولي : مه يا اخوان . حرام عليكم ، صحيح انه أزعج الركاب بعديته وانه كان جلفا جافيا بعيدا عن الآداب الاجتماعية ، ولكن من جعله كذلك ؟ من الذي بعد بالقرى عن الحضارة ؟

ان القرية أنقى هواء ، وأصفى ماء ، وأهلوها أصح أجسادا ، وأقل فسادا ، ولو انكم أوليتموها شيئا من رعايتكم ومن عنايتكم لكانت القرى جنات على الارض . ولم لا ؟ أما في لبنان قرى أرقى من المدن ؟ اليس في انكلترا ضياع ؟ فلماذا تكون الضيعة الانكليزية مثابة لكل عاشق مدنف ، وكل غني مترف ، يلقي فيها صحة الجسم ، وأنس الروح ، وراحة البال ، ومتع العيش ، وتكون قرانا مثابة الفقر والجهل والمرض والتذارة والظلم والظلام ؟ لماذا لا يكون في كل قرية مدرسة ، وفي كل قرية طبيب ؟ من المسؤول عن ذلك الا اتمم يا اهل المدن ؟ أتمم يا من منهم الحاكمون ومنهم المعلمون ومنهم رجال القلم ؟

لماذا لا يجرد الصحفيون والكتاب أقلامهم في نصرة القرية والدفاع عنها ؟ لماذا يأخذ مدرسو الافتاء ومدرسو الاوقاف الرواتب ولا يدرسون ؟ لماذا يا علماء الاسلام ، لا تأمرونهم بالنظافة ، و (النظافة من الايمان) ؟ ولا تأخذونهم بالتداوي و (ما أنزل الله داء الا أنزل له دواء) ؟ لماذا يقولون جاهلين و (طلب العلم فريضة على كل مسلم) ؟ لماذا لا تقومون بأخلاقهم وما بعث نبيكم محمد (الا ليتم مكارم الاخلاق) ؟

ان الضمان الاجتماعي الذي تحاول مصر أن تمشي اليه ، والذي تعدده انكلترا من مفاخرها انما جاء به الاسلام . وسأعود فأثبت لكم هذا (يا أيها القراء) بالشواهد والنصوص ، فحاربوا وباء الشيوعية في القرى بتحقيق عدالة الاسلام ، لا بالكلام ، وادفموا جفاء الفلاحين بالعلم ، لا بالشتم .

انه من العار علينا أن ندع نصف سكان البلاد محرومين من نعمة الحضارة ونور العلم ، ينامون مع الدواب ويعيشون مثل الدواب ، يسخرهم لمآربه كل متسلط أو دركي أو مختار ، ثم نزيد على ذلك الضحك عليهم والسخرية بهم !



وأنت يا أيها الفلاح !

لا تخجل من كلامهم ولا تذلل أمامهم ولا تعن رأسك من تقل
أنظارهم ، فأنك ان فعلت أغرتهم بك ، وجراتهم عليك ، ولكن انصب
ظهرك ، واقبض يدك ، وارشق بعينك واصرخ في وجوههم طالبا منهم
حقك الذي سرقوه : حقك في العلم وفي الصحة وفي نعم الحضارة ، حقك
في أموال الدولة ، حقك الذي أعطاكه الاسلام ، والعقل ، ودستور
البلاد !



نظام

ركبت (الترام) أمس من المهاجرين ، وكان مزدحماً ، قد قعد الناس فيه على المقاعد ، ووقفوا في الممرات ، واندسوا في كل زاوية ، وملاوا كل فراغ ، حتى تماسست الوجوه ، وتداخلت الأرجل ، ولم يكن فسي الركاب من يستطيع أن يلتفت أو يتحرك أو يسعل أو يعطس... وكنت في غرفة الدرجة الاولى في آخر (الترام) ، وكان معنا راكب ضخيم البنية ، كأنه ثلاثة رجال حزموا وربطوا معا ثم جعلوا شخصا واحدا ، وكان مع هذا الطول والعرض والعمق مسنا هرما برجل واحدة... فلما وقف الترام عند البرلمان ، قام صاحبنا لينزل ، فكان يشق الناس بيد ، ويعتمد على العصا بيد ، ويقفز على رجله الواحدة ، ويلهث ويخور كأنه قاطرة قديمة من قاطرات بيروت التي لا تزال تستعملها الشركة وحققا أن تكون في المتحف الاثري... ولم يصل الى الباب حتى مرت خمس دقائق ضج فيها الركابون المستمجلون ، وطنطن السائق بجرسه وبدأ يسب ويشتم ، وازدحمت وراء الترام العربات والسيارات ، وماكاد يضع رجله الوحيدة على سلم الترام حتى تبع من أمامه المفتش كأنما قد انشقت الارض عنه وقال له :

— ممنوع النزول من الوراء ، ارجع •

فقال الرجل : من أين أمر ؟

قال : لا اعرف... ما هي وظيفتي ؟

وانبرى للمفتش رجل يبدو عليه أنه موظف معتز بوظيفته ، أو وجيه مطمئن الى وجاهته وقال له :

دعه ينزل ... أما ترى الترام مزحما ! فمن أين يصل الى الامام ؟
قال : لا أعرف — ما هي وظيفتي .

فاحتد الرجل ، وكاد الدم ينبثق من وجتيه من الغضب ، وكادت
عيناه تخرجان وقال : — ما هي وظيفتك ؟ أليس من وظيفتك أن تمنع
ركوب مائة راكب في ترام خصص لثلاثين ، وليس الا باب ضيق من
الامام وباب ضيق من الخلف ، لماذا حفظت ان النزول من الامام ولم
تحفظ أن عدد الركاب محدود ؟ ما هذا يا فاس ؟ هل تعلم واحدة وترك
الآخرى ، فتصير مثل البدوي الذي قلد للمتدنين ، فلبس كراقات بعشر
ليرات ، ومشى حافيا بلا لباس ؟

وأصر المفتش على رأيه ، وقامت القيامة ، وتداخل في المعركة
السائق والركاب والمارة ولصحاب السيارات والعربات ، ولم يجدوا
حلا للمشكلة الا بأن يبقوا الرجل راكبا الى المرجة ليعود ماشيا يقفز على
رجله الواحدة ... الى البرلمان ...

وهكذا انتهت المسألة ، وانتصر النظام الذي يمثل مفتش الترام !
وأنا أروي القصة بلا تعليق ... ليعلق عليها كل واحد من القراء
بما يشاء !



ابطال صفار

أنا أعمل كل يوم من الساعة الثامنة الى الرابعة ، في المحكمة وفي المدرسة ، عشر ساعات دأباً بلا وقوف ولا راحة ، فلا أصل الى آخرها ، حتى تصل روحي الى التراقي وتهمي قواي ، ويهن جسدي ولا ابتغي من لذائذ الدنيا كلها الا غرفة ساكنة ، وفراشا لي ، ونومة لا تنتهي !

كانت تلك حالي اسم ، حين اجتزت شارع فاروق ، الذي أتمنى أن يسمى شارع القاهرة فيكون جناحي دمشق ، شارعاً القاهرة وبغداد ، ونستريح من اسم فاروق كما استراحت مصر من شرور فاروق . وثؤكد الصلة بالقطرين الأخوين - وإن كانت لا تحتاج (بحمد الله) الى تأكيد - اجتزت الشارع ، فرأيت الناس مجتمعين ، قد تعلقت أبصارهم بشيء في الشارع لم أره من بعيد ، ولكنني رأيت في كل وجه سمات الاعجاب ، وقرأت على كل جبين سطور الفخر ، ولمحت بريق الحب والعطف في كل عين ، بل لقد أبصرت في أكثر العيون قطرات من دموع الفرح والاعجاب ، فأسرعت لأرى ما يرون فلما رأيته أحسست - وشرف القراء - أن ذلك التعب كله قد ذهب في لمحة واحدة ، واني قد نشطت كما ينشط الجمل من العقال . واذا أنا قد انتفضت حتى علت أقوى ما يكون امرؤ همة وعزماً وتوثباً . وشعرت بالعاطفة ، عاطفة الحب والفرح والاكبار يخفق بها قلبي . ثم تسيل دمعاً من عيني ...

رأيت فرقة صغيرة فيها سبعة وعشرون صفلاً ، في كل صف ثلاثة أطفال ، أطفال صفار جلداً ، لا يعد أكبرهم الثانية عشرة ، لباسهم واحد ، لباس أسود طويل السراويل كلباس الجند ، وخطواتهم واحدة ، يلوحون

بأيديهم ، ويحبطون ^(١) بأرجلهم ، لا تختلف يد عن يد ، ولا خطوة عن خطوة ، كأنهم قطعة واحدة ، أبصارهم الى الامام ، وجباههم الى العلاء ، لا تلمح على فم أحد منهم بسمة لعب ، ولا في عينيه لمعة غرور .
والعجيب أنهم يمشون وحدهم ، لا رقيب ولا قائد ولا معلم ، والناس بين داع لهم ، ومثن عليهم ، ومدهوش من جدتهم وانتظامهم ، ومأخوذ بطهرهم واخلاصهم ومفولتهم ، ونسيت تعبي ومقصدي ، وتبعثهم لأعرف ما هم ، ومن أي مدرسة من المدارس جاؤوا ، وجعلت أدقق النظر اليهم ، وأتأمل عيونهم وملاحمهم وحركاتهم ، فلا أزداد الا تأثراً بهم . حتى وصلت - وأنا لا أشعر - الى بحرة شارع بغداد ، وخف الزحام ، وخلا الطريق . فرأيت أمامي شاباً عريض المنكبين ، مهول الخلقة ، يمشي بحذاء الاطفال وان كان لا ينظر اليهم ، ولا يبدي الاهتمام بهم ، فقدرت أنه المعلم . وتخطيت حدود (اللياقة) وأسرت اليه فقلت :

— عفوا ! أنت استاذ هؤلاء الاطفال ؟

فنظر اليّ كالاستاء من فضولي .
فقلت :

— أنا علي الطنطاوي . أريد ...

فتطلق وجهه وقال :

— تشرفنا يا أستاذ ، نعم أنا المدرب محمد الزول .

وصافحني فضاغت يدي في يده القوية الكبيرة وقال :

— وهؤلاء هم اطفال مبرة المحافظة الممتازة .



هؤلاء اطفال المبرة ؟ المبرة التي تقوم وراء الشيخ عبد الرحمن في شارع بغداد ؟ من كان يصدق ذلك ؟ هؤلاء اليتام الذين يستجدي أمثالهم الحسنيين ، صاروا بهذه الرجولة المبكرة وهذا النظام وهذا الطهر

(١) الخطب من العامي الفصيح .

يغتصبون الحب والاكبار اغتصابا ، لا يستجدونه استجداء ؟
لقد حرمتهم الحياة الآباء . ولكن كل من رآهم في الطريق أحس
أنهم أولاده .

أقسم اني لا أجد لأولادي أكثر مما وجدت لهم في قلبي . ولقد
تمنيت أن أوزع عليهم هدايا . أو مالا . لكن ...
ولكن اعذروني يا أطفال ، ليس عندي مال . اني قاسض ولست
محاميا ولا تاجرا ولكن عندي الحب . وعندي عواطف القلب . فاقبلوا
هذه الهدية الصغيرة مني : حبي وعواطف قلبي وهذه التحية التي تحملها
الجريدة اليكم .

يا أطفال . لو كان عندي مال ، لمبرت لكم بغير الكلام عن مقدار
ما تركتم في نفسي من الحب ، وما صيبتم في روحي من الحماسة ، وما
وضعتم في رأسي من الزهو والكبر الوطني .

اني لأزهو اني من وطن أطفال مبرته ، بهذا النظام ، وهذا السمو، وهذه
الروح . ان وطننا أتم صغار بنيه ، لن يذل أبدا ، وان عهدا أتم رجال
مستقبله لن يعيد مثل مأساة فلسطين ، وان غابا أتم أشباله لن تعدو عليه
الموادي .



مشكلة الزواج

أريد أن أدع اليوم أسلوب الأديب ، وأتكلم بلسان التاجر ، وأقول كلاما واضحا عمليا ، أرجو أن يكون له ان شاء الله أثر ظاهر في الإصلاح .
فيا أخي القارئ !

خذ بيدك ورقة وقلما واحسب كم في منزلك ومنزل أخيك وعمك وخالك ومنازل أقربائك واصحابك من الشبان الذين جاوزوا الثامنة عشرة ولم يتزوجوا ؟ اكتب اسماءهم ! وكم فيهم من غني وفقير وتقي وفاجر ، وعالم وجاهل ؟ اكتب بجانب كل اسم صفته ! واحسب كم في هذه المنازل من بنات جاوزن السابعة عشرة ولم يتزوجن ؟ اكتب اسماءهن وصنعات آبائهن !

ألا تجد أن في البنات الغنيات والفقيرات والتقيات والفاجرات والمتعلمات والجاهلات وفي الشبان مثل ذلك ؟
وتصور الآن ! كم في البلد من شبان وبنات في سن الزواج لم يتزوجوا ؟

ان كل شاب له بنت توافقه وتقبل به هي وأهلها ، وكل فتاة لها شاب يوافقها ويقبل هو وأهلوه بها ، ولكنها لا تعرفه ولا يعرفها .
هذه هي مشكلة الزواج على حقيقتها .

ليست المشكلة في غلاء المهور . لأن ثمانين في المئة من المهور (من العقود التي تعقد في المحكمة الشرعية) دون الخمسة ليرة وكثير منها دون المائة ليرة ، ولا في تشدد الآباء ، ولا في كثرة النفقات ، لأن كل شاب يستطيع أن يخطب ابنة رجل يكافئه في المال وفي المنزلة ويقاربه في النظر

الى الاشياء والحكم على الامور ، ولكن المشكلة انه لا يعرف أين هو الرجل الذي يناسبه .

أليس هذا هو الواقع ؟

فما العمل ؟ أما أنا فأرى أن هذه المشكلة مثل مشكلة البيوت ، فقد كان في الشام من زمان ألف دار فارغة ، يفتش أصحابها عن مستأجر ، وألف رجل بلا دار يفتشون عن دار يستأجرونها ، ففتحت المكاتب العقارية في كل حي لتدل المستأجر على الدار الفارغة .

فما هو المانع أن يكون في كل حي جماعة من (الكهول) الافاضل ، المقطوع بأماتهم وأخلاقهم ، ومن الذين يريدون الخير للخير لا للتجارة ، فيتصلوا بالشاب العزب ويسألوه عن الفتاة التي يريدونها ، فإذا وثقوا من حسن نيته ، وصدق عزمته على الزواج ، قالوا له : ان طلبت عند فلان . وهنا ينتهي عمل هذه الجماعة ويذهب الشاب فيتصل بالاب ويخطب البنت .

فهل ترون أن هذه الطريقة موصلة الى الغاية ؟ وهل نجد في البلد يوما من يندب نفسه لهذا العمل الذي اعتقد أنه لا يقل ثوابا عن الصلاة⁽¹⁾ والزكاة والحج ، لأن فيه نصر الفضيلة ، وحرب الرذيلة ، وانشاء جيل جديد ، قوي خير ، نشأ على طهر ونمى على تقوى ، ولأن ترك المعاصي مقدم على اتيان الطاعات ، ودرء المفاسد قبل جلب المنافع ؟



(1) وان كان لا يفني المسلم شيء عن الصلاة والزكاة والحج ، ولا يقوم مقامها ، ولا يسقط عنه فرضها .

دمشق

« الى اعضاء مؤتمر الهلال الاحمر
الذي عقد في دمشق » .

هذي دمشق قد برزت لاستقبالكم بالزهر والعطر ، تحيي فيكم
الخير والحب والاحسان ، وقد تجمع فيها ما تفرق في مدائن الارض من
جمال ، فالجنان في غوطتها ، والانهار في ربوتها ، والسهل في مزمتها ،
والبساتين تحف بها ، والجبال من حولها ، وكل مجالي الوجود فيها ، لا
ينقصها الا البحر . ومن قاسيونها بحر من الخضرة يبدو لكم ماله من
آخر ...

فانشقوا غير الخلود من دمشق ، فما تلقون ان فارقتم دمشق مثل
دمشق ، مثل ميزانها وشاذروانها ، وغوطتها وواديها ، والانهار السبعة
في الربوة كمقود اللاليء في جيد الحسناء ، والبساتين التي يضل فيها
النظر سكران من الفتون ، وهذي المنارات وهذي القباب ، والمسجد
الذي تحطمت على جدرانها أمواج القرون وهو قائم ، وارتدت عنه
المصور وهو شامخ ، يروي لأبناء الارض تاريخ الارض ، مذ كان
معبدًا وثنيًا ، الى أن صار كنيسة نصرانية ، الى أن غدا جامعًا اسلاميًا ،
ففيه لكل ذي دين ذكرى ، وعن كل دين حديث ، وهذا الجبل الذي
يفتر أبدأ عن مثل ابتسامة الأمل ، في وجوه المطالب ، على حين تمس
الجبال . وما تلقون بعدها مدينة مثلها ، ثيابها زهر ، ونسيمها عطر ،
وحديثها شعر ، وجمالها سحر ، ومياهها خمر ، وهي جنة المستعجل ...
وتأملوا واخشعوا فهذي أقدم مدن الارض العارات ، ماتت أخواتها

من دهور وبقيت سالمة ، وأدركتها سن الشيخوخة ولبثت شابة ، وكانت عروس الماضي وستبقى أبداً عروساً ، فأموأ آثارها وسائلوها تخبركم أخبار الامجاد الخوالد ، وترفقوا في سيركم ، فإن تحت كل حجر تاريخ بطولة ، وفي ظلال كل دوحة قصة حب ، وفي خرير كل ساقية قصيدة لا تنفذ قوافيها .

وجولوا فيها لا تزورا هذه البني المتراكبة ، ولكن ادخلوا تلك الصحنون الرحاب التي تتفجر في بركها المياه ، وترقص في رياضها الازهار ، وتسبح على أشجارها الاطيار ، وتتعانق في سماها الدوالي ، على حين تتعانق من تحت ، أساطين القاعات تحمل أروع ما خلفه الماضي من ثمرات العبقريّة ، وبدائع الصنائع ، ومعجزات الفنون .

وسلوا عن الأسر التي كانت تعيش فيها عيش الصفاء والهناء ، يجمعها الحب ، ويؤلف بينها الخلق ، وعن تلك العشايا الموقعات ، ومجالس الأسرة فيها : الجد والجدّة ، والاب والام ، والعمة والعم ، والاولاد عشرات ، ولا خلاف ولا نزاع ولا خصام . رحمة الله على تلك الايام . وزوروا في دمشق معاهد المجد ، وشاهدوا آثار العز ، وجوزوا بمرايع الحب ، واستخبروها تخبركم عن أولئك الاقوام الذين شرعوا للناس شرعة الرحمة في السلم وفي الحرب ، وحاربوا فما ظلموا ، وغلبوا فما طغوا ، وكانوا يداوون الجرحى من عدوهم ، ويرحمون المرأة والطفل ، والشيخ الماجز ، والعايد المتبتل . وغيرهم يحارب فيدمر بالقنبلة الذرية مدينة بأسرها .

يا ضيوف دمشق من دعاة الرحمة والخير والاحسان ...
أهلاً بكم .



منجم ذهب

قرأت امس أنهم كشفوا المنجم الهائل الذي كان يمد بالذهب نبي الله سليمان ، مَنْ سخر الله له الانس والجن والشياطين مصفدين ..

... فتمنيت لو أنهم كشفوا المنجم الذي كان يمد بالرجال تاريخنا وبالباطال ، من لدن (محمد) و (علي) الى (محمد علي) حتى نجد الرجل الذي يحيى بهذا المال الجزيرة العربية ، كما أحيا محمد علي بمبقرته وعزيمته مصر ، ويكتب لها تاريخها الحديث كما كتبت مصر تاريخها ، ويجعلها بهذا الذهب الاصفر ، وبذلك الذهب الاسود (١) قطرا كله عمران وحياة ، ومعاهد ومدارس ، ومعامل ومصانع ، حتى تكون كل قرية في بوادي نجد ، واودية الحجاز (الطهران) التي شادها الامريكان ..

وسألت الله أن لا يضيع هذا المال كما ضاعت من قبل أضعاف أضعافه ، حين كانت تجبى الى الخليفة ثمرات الارض ، وخيرات السماء ، وحين كان يقول للسحابة : أمطري حيث شئت فسيأتيني خراجك ، وحين كان الذهب يحمل الى بغداد سررة الارض ودرة الدنيا ، على ظهور الابل ، وفي بطون السفن ، كأنه من هَوَانِه الحطب ، فكان الخليفة يعجب بشعر الشاعر فيقول : (أعطوه عن كل بيت من القصيدة ألف درهم) .
ويطرب لغناء المغني فيقول : (املاؤا فاه جوهرها) : وتهزه الاريحية ، ويحركه الكرم ، فيوزع في لحظة ما يجبى من فقراء قطر كامل ومساكينه

(١) البترول .

في سنة ، ويصنع مثل ذلك أولاده وحاشيته ، يسدّدون أموال الله في
(الصيد) وفي (اللهو) وفيما يفضّب الله ويرضي الشيطان .. لا يسأل
الخليفة أحد : ماذا صنعت ؟ ولا يقول له عن مال أنفق : فيم أنفقت ؟
فكانت النتيجة أن ضاع المال ، ثم باد الملك ، ثم صار سادة الدنيا
عبداً في ديارهم ...

فأين اليوم ذلك الذهب ؟ لقد ذهب ...
ماذا ينفع الذهب ان لم يحسن استغلاله ؟ هذه منارات الجوامع في
العراق وقبابها من صفائح الذهب ، الذهب الحقيقي ... فماذا أفادت ؟
ان الذهب ان وضع في البناء صار حجراً مثل الحجر ، وان شري به
السم كان سماً ، وان اشترى به الغذاء كان غذاء !
فيارب : اجعل هذا الذهب عدة للعرب وذخراً ، وأعد لهم به أخلاق
الصحراء ، ومجد الآباء .



أطفال

كنت اطلع امس في غرفتي فسمعت حواراً بين ابنتي الصغرى (بيان) وعمرها اربع سنوات وبين امها :

قالت البنت :

— ماما • في غرفة بابا ضبع ا

— قالت لها : ضبع ا ؟

— قالت : اي والله ، تحت كومة المجلات •

— قالت : حرام الكذب يا بنت •

— قالت : والله والله والله في غرفة بابا ضبع ا

— قالت : بس ^(١) يا بنت لا تكذبي •

فبكت البنت وهرعت اليّ تستشهدني فضحكت وقلت لامها :

— سليها ما هو حجم الضبع الذي رآته وما لونه ؟

— قالت : هو أسود بقدر الاصبع •

فغضبت الام وقالت لي :

— كيف تقول ان الاطفال لا يكذبون وهذه البنت تكذب وتصر

على الكذب ؟

— قلت : انها لم تكذب ولكنها رأت صرصورا فظنت الصرصور

ضبعاً ••

— قالت:عمرها اربع سنوات ولا تفرق بين الضبع والصرصور!

— قلت : اني اعرف كباراً لا يفرقون بينهما ، كباراً محترمين لبشوا

ستين يغنون ويصوتون مثل الصراصير وهم يحسبون أنفسهم ضباعاً ،

اذا هجموا على فلسطين فتكوا بالصهيونيين ، ويظنون أعداءهم صراصير

(١) بس فصيحة معربة من قديم .

وهم ضباع ، ويقاثلون بحلول الدالين (دودت) حيث يجب القتال
 بالرصاص • ويضعون الرصاص في موضع الدالين •
 وفي مصرطن (الضباع) الحاكمون أن حزب الوفد^(١) صار أمة من
 الصراصير ، فلما كانت الانتخابات تبين أن الوفد هم الضباع •
 وفي الشام (أحزاب) ما فيها الصراصير يغنون ، والناس يحسبونهم
 أحزاباً من الضباع •
 وفي كل صورة من حياتنا شواهد على أننا لا نفرق بين الضباع
 والصراصير •
 فلا تلومي هذه البنت فانها ليست وحدها الطفلة ، ان كثيرين من
 زعمائنا لا يزالون مع الاسف أطفالا !



(١) كلمات هذا الكتاب كتبت قبل عشر سنين .

أربعة !

كنت راكباً أمس في سيارة اجرة يقودها شاب متين البناء ، مشدود العضل ، بادي النشاط ، فاعترضه في الطريق الذي يمر من وراء السباهية ويفضي الى باب الجابية (كميون) يجره ثلاثة بغال ، والرابع يمشي على رجلين ، ويده سوط طويل ، أطول منه شاربان معقوفان يصلان الى رموش عينيه ، وأطول من الاثنين : لسان لا يهدأ لحظة ولا يسكن ، ولا يتحرك الا بسبب الدين والعرض ، ولعن الآباء والامهات ، بصوت يعج عجيجاً ، ويضج ضجيجاً ، ويخرج من فمه هداراً خشناً ، كأنه بردي في زيادته ، وهو ينحدر عكراً ، يحمل الوحل والطين و ... الاقدار ! ووقفنا ننتظر أن تمشي البغال (الاربعة ..) وتجر الكميون فلا الكميون تحرك ، ولا اللسان سكن ، ولا الطريق انفتح ، ومرت ربع ساعة ونحن نرقب على مثل حر النار ، والسائق ساكت فقلت له : كلّمه ! فزمر ومدّ رأسه من شباك السيارة وقال له بلهجة مهذبة :

— افتح لنا الطريق •

فانقزل وأقبل علينا ، وصب هذا السيل القذر من فيه على السائق ، ولعن السيارات ومن جاء بها ، وهدده بأنه سيكسر رأسه ، ويخمد أنفاسه ، ويمزق لحمه ، ويسحق عظمه ، وأمثال هذه التهديدات ال (كيشوتية) •

وهجم علينا هجوم أبي حية النميري يتبختر ويهز سوطه ا حتى اذا كاد يصل الى السيارة فتح السائق الباب ونزل اليه وقال له : اذهب فجر الكميون وافتح الطريق •

فلم يذهب ولكنه ازداد غروراً وبذاءة ، ورفع يده ليضرب السائق ،
 فلم يكن من السائق إلا أن لكمة تحت ذقنه لكمة من يد رياضي مدرب
 ألقت على الأرض ، وهم " بأخرى ، فالتفت ضراوة الرجل ضعفاً ومذلة ،
 وراح يخضع ويخشع ، ويسأل العفو ، ويطلب الرحمة ...
 وقام صاغراً صامتاً فجر (رفقاه) الثلاثة وفتح الطريق ...
 وأنا أنشر هذه الصورة بلا تعليق .

* * *

جزاء الوالدين

اني ما رأيت اما وابنها في المحكمة ، تسأله نصف ليرة في اليوم تأكل بها خبزها ، وهو يرضن بها عليها ، ويزويها عنها ، ثم ينفق المئات من الليرات على نفسه ، أو على عرسه ، ينعمون وتشقى الام ، ويسكنون القصور ولا تجد الكوخ ، ويأكلون الاطايب ولا تشبع الخبز ، ويلبسون الحرير ولا تصل الى (الخام) . وما رأيت أباً وولده ، واقفين موقف المتقاضين ، الا قرأت في وقتتهما أبشع قصة للثوم والنذالة والجحود...

تحمل الام وليدها تسعة أشهر في بطنها ، تحويه بين أحشائها ، وتغذيه من دماؤها ، حتى يكون منها كأحد أعضائها ، ثم تضعه كرهاً عنها ينتزع منها اقتراع روحها من بين جنبها ، فاذا برز للدنيا ذهب بمرآه ما آلمها وما أشقاها ، وضمتها الى صدرها فنسيت به دنياها ، وأعطته ثديها ليمتص حياتها فيقوى بضعفها ، ويسمن بهزالها ، ثم عاشت به وله : ان ابتسم رأت الدنيا قد بسمت لها ، والاماني قد واتتها ، وان بكى سوّد بكاؤه عيشها ، وان مرض هجرت له منامها ، ونسيت طعامها ، ترعاه حتى يصح ، وان صح أهملت طعامها ومنامها ، تحرسه كيلا يمرض ، تحرم نفسها لتعطيه ، وتجوع بطنها لتشبعه ، وتعري جسدها لتكسوه ...

ويكد الاب ليربح ولده ، ويشقى ليسعده ، لا يعمل الا له ، ولا يجمع المال الا ليغنيه ، ولا يجد في الدنيا مكافأة أكبر من أن يعود من شغله محطماً مهتماً ، فيجد طفله يرقبه يناديه : بابا ، ويهرع اليه ، ويلقي

بنفسه عليه ، فيغيب في ذهلة لذة ، تنسيه تعبهُ ونصبه ، وترجع اليه نشاطه ، كأن يداً سحرية مرت على قلبه ، فصبت فيه القوة والامل والشباب .

ويرقبه هو والام ، فلا يزيد عمره يوماً حتى ينقص عمرهما شهراً ، ولا يدنو من الشباب حتى يبتعدا عن الشباب ، ولا يصيب القوة حتى يصيبهما الضعف ، فان بلغ أشده ، واكمل وصار شاباً شديداً أيّداً ، كان جزاؤهما منه النكران والهجران وان يؤثر عليهما اللذة نفسه ، ومرضاة عرسه ؟

أيربي الرجل قلباً فيني له ؟ ويحسن الى حمار فلا يرفسه ؟ ويلقي لقمة الى قط فيعرفه من بعد فلا يعضه ؟ وينفي الأبوان نفسيهما ويبدلان للولد روحيهما ، فيعرض عنهما ، أو يعدو عليهما .
لا والله ، ليس على ظهر الارض مجرم أشد لؤماً ، وأخس نفساً ، وأولى بالمهانة وأبعد عن الانسانية ، وأحق بلعنة الله والناس : من ولد يسيء الى امه أو يغضب أباه !



معصرة

كنت أسير في (دوما) قصبة الفوطة الشرقية ، فرأيت شارعها الاعظم يمضي مستقيماً سوياً ، حتى اذا جاوز ثلثيها انحرف ذات اليمين ، وما ثمة مسجد يخشى عليه الهدم ، حتى ينحرف لأجله الشارع ، ولا أثر قيّم ، ولا صخرة قائمة ، فمضيت وسألت صاحبي الذي كان يمشي معي .
فقال : كان هنا في سالف الدهر معصرة لوجيه من الوجهاء لم يتقدر على هدمها ، فلوى الشارع من أجلها !

فقلت : هذه هي مصيبتنا ! ولو أنها معصرة واحدة لاحتملت ولكننا كلما خططنا في الحياة طريقاً مستقيماً اعترضنا (معصرة) لوجيه من الوجهاء . فكم من (معصرة) في طريق القوانين والنظم ، وفي طريق العدالة والقضاء ؟

هل خلا طريق لنا من (معصرة) ؟

فمتى تهدم هذه المعاصر ؟



في جامع التوبة

حدثني صديق فقال :

كان في جوارنا شاب قد جمع الله فيه كل ما فرقه في شرار الناس ، فهو فارغ الرأس من العلم ، خالي القلب من الدين ، بعيد اللسان عن التهذيب ، له يد تسرق ويد تطعن ، وهو جاهل فاسق بذئ لص مجرم ، وهو بعد ذلك يشرب الخمر ، و (يستعمل) الحشيش ، و (يؤذي) النساء ... وهو لو كان يعلم أن من شعائر دين إبليس غير هذا ، لما تخلى عنه ، ولكنه لجهله وقف هنا .

وكان مرة الحي ، ومصيبة الحارة ، ضرب فلم ينفعه الضرب ، وحبس فلم يفده الحبس ، وناثه أنواع العقوبات فلم تزد العقوبات الا فسادا ، فلم يجد جيرانه سبيلا للخلاص منه الا شراء داره بضعف ثمنها وطرده من الحي .

ومرت سنون ضربتني فيها أمواج الحياة ، فأنفست في لجتها حتى نسيت هذا الشاب الشاطر ^(١) ، ولم يعد يخطر لي على بال . حتى كان أمس ، وكنت في جامع (كذا) ، فرأيت شابا متعمما له لحية خفيفة ، يصلي صلاة خشوع وتبتل ، لا صلاة رياء وتصنع ، ولمحت في وجهه سمات أعرفها ، فطفقت أكد ذهني لأتذكر أين رأيت هذا الرجل ، فلا أذكر ، حتى انقضت صلاته ، فأنفصل وحف به طائفة من الشباب ، وفتحوا كتباً وراحوا يقرؤون عليه ، فدنوت فاذا هو يقرأ (القطر) ، ويشرحه ويمرّب شواهد ، كأحسن معلم أديب ، فسألت من هذا ، فما بقي في المسجد

(١) الشاطر هو الذي احب اهلته من خبته .

أحد الا أثنى على دينه وخلقه وأماته وعفة يده ، وانه لا يتناول هدية
ولا مالا ، ولا يتاجر بعلمه ودينه ، وسموه لي ، فلما سمعت اسمه كنت
أصعق من دهشتي وشككت في سمعي وبصري ، ورجعت أتأمله : لقد
كان صاحبي الشاب الشاطر !

وسألت ما حاله ، وما هذه المعجزة التي قلبته وأثرت فيه ما لم تؤثره
العقوبات والضرب والحبس ؟

فاذا القصة كلها انه صادف مصادفة الشيخ (فلانا) وراءه جماعة ،
فتبعهم حتى دخلوا جامع التوبة ، فدخل معهم ، وسمع كلام الشيخ ،
فوقع في قلبه وأحبه ، وتجراً فدنا منه ونفض اليه قصته ، وحدثه حديثه ،
وصار من ذلك اليوم من جماعة الشيخ وصارت حاله كما ترى ..
هذا ما حدثني به الصديق أرويه بلا تعليق .



دواء الهجران

« من وحي رمضان »

وقع مرة بيني وبين صديق لي ما قد يقع مثله بين الاصدقاء ، فأعرض عني وأعرضت عنه ، ونأى بجنبه ونأيت بجنبي ، ومشى بيننا أولاد الحلال بالصلح ، فنقلوا مني اليه ومنه اليّ ، فحولوا الصديقين - ببركة سعيهما الى عدوين ، وانقطع ما كان بيني وبينه ، وكان بيننا مودة ثلاثين سنة . ومالت القطيعة وثقلت عليّ ، ففكرت يوما في ساعة رحمانية وأزمعت أمراً . ذهبت اليه فطرقت بابه ، فلما رأته زوجه كذبت بصرها ، ولما دخلت تنبئه كذب سمعه ، وخرج الي مشدوهاً فما لبثت حتى حيته بأطيب تحية كنت أحياه أيام الوداد بها ، واضطر فحياني بثلها ، ودعاني فدخلت ولم أدعه في حيرته ، فقلت له ضاحكاً :

— لقد جئت اصالحك !

وذكرنا ما كان وما صار ، وقال وقلت ، وعاتبني وعاتبته ، ونفضنا بالعتاب الغبار عن مودتنا ، فعادت كما كانت ، وعدنا اليها كما كنا . وأنا أعتقد أن ثلاثة أرباع المختلفين لو صنع أحدهما ما صنعت لذهب الخلاف ، ورجع الائتلاف ، وإن زيارة كريمة قد تمحو عداوة بين اخوين كانت تؤدي بهما الى المحاكم والسجون ، وقبله صداقة على الشفتين ، تميد الحب بين زوجين ، كانا من الشقاق ، على أبواب الطلاق والفراق ، وكلمة جميلة تنقذ شريكين أشرفت شركتهما من خلافهما على الانحلال والزوال .

أي والله ، وفي كل نفس شيطان وحيوان وملك ، فالشر من الشيطان،

والشهوة من الحيوان ، والخير والفضيلة من الملك ، ومن مزايا الصيام الحق ، انه يكبح في النفس الشهوة ويكبت الشر ، ويهيئ السبيل الى الخير ، باقلال الموانع منه ، وزيادة الدوافع اليه . فلماذا لا تقتنمون مزايا رمضان ، يا أيها الصائمون ، فتحاربون التباغض بينكم والخلاف والمهجران ؟ ولماذا لا يقرأ أحدكم هذه الكلمة فيسرع الى زوجه التسي خرج في الصباح مهاجراً لها ساخطاً عليها — يحمل اليها هدية في اليد ، وابتسامة على الوجه ، ويتلقاها بعناق الحب ، وتقبل الاشتياق ؟ ويهرع الى صديقه الذي طالما قاطعه وحاربه ، حتى اتسعت بينهما مسافة الخلف وولنا أن لا لقاء — يلقاه بالوجه الطلق وبالسلاام ، ويذكره أيام الوداد والصفاء ، حتى يعود الماضي كما كان ؟

ان رمضان أيها الاخوان ، شهر الخير والاحسان ، لا شهر الجوع والحرمان ، وان الامر لا يكلفكم الا عزيمة صادقة ، وخطوة ثابتة فلا تترددوا ، ان تردد لحظة يضيع سعادة دهر ، ولا تدعوا الشيطان أو الحيوان يغلب في نفوسكم الملك .

انها والله خطوة واحدة تصلون بها الى انس الحب ، ومتعة الود ، وتسترجعون بها الزوجة المهاجرة ، والصديق المخالف .
فلا تترددوا !



كواء

مرض الكواء الذي يكوي لي ، فسألت عن غيره فدلوني على آخر ، له مكان واسع ، وعلى بابه لوحة ضخمة ، وعلى شفتيه ابتسامة لا تفارقهما ، فهما دائماً الانفراج ، كأن قد انحلت عضلاتهما فلا ينطبقان ، وفي فيه لسان رطب لين طويل كأنه الثعبان ، فخدعني مظهره ، حتى دفعت اليه حلتي الجديدة التي ألبسها في المواسم ، وأتجمل بها في المجامع ، ووصيته أن يكويها لي كيأ فقط ، وألا يفلسها ، وإن يبعث بها الي في غد ، فقال :
— أمرك يا سيدي ، على عيني وراسي (بدنا خدمة) ٠٠٠١

وانصرفت آمناً مطمئناً ، وجاء الغد ولم ترسل ، ومر يوم ثان وثالث ، وسابع وثامن ، وانصرمت عشرة أيام والحلة عنده ، وأنا أستعنه فيقابطني بهذا القم الباسم أبداً ، وهذا اللسان الدافئ دائماً ، ويتدع لي كل يوم عذراً جديداً ، وكان آخر أعذاره اشتغاله بموت أبيه الذي علمت فيما بعد أنه مر على وفاته (رحمه الله على هذه الخلفة الطاهرة ٠٠) تسع سنين ! وأرسلت لي الحلة بعد ستة عشر يوماً ، فإذا هو قد غسلها ، فأفسد حشوتها ، وخرق أزياقها ، وجعل لها رائحة مثل رائحة الخنازير البرية ، ذلك لأنه غسلها بصابون رديء استرخصه ، وحك أطرافها بالحجر الذي تنظف به الاقدام في الحمام ٠٠٠

فحرت ماذا أصنع به ؟ وهل يرد علي انتقامي منه حلتي التي خسرتها ؟ وكيف السبيل الى اجتناب السقوط في مثل هذه الحفرة مرة أخرى ؟ انها مصيبة لا دفع لها ، ولا خلاص منها . وكيف أعرف ان هذا الكواء ما هر في صناعته ، وهذا الخياط الذي أدفع اليه قماشتي وهذا

العلاق الذي اسلمه رأسي ، ما دام كل واحد من الناس يستطيع أن يشتغل بالصناعة التي يريد ، ولو لم يكن من أهلها ، ولو لم يكن على علم بها ؟

لقد كان في الشام في الايام الماضية لكل صناعة شيخ ، فكان فيها شيخ الحدادين وشيخ النجارين وشيخ السروجية وشيخ البساتنة ، فلا يقدر عامل أن يشتغل بصناعة حتى يأذن له شيخها ، وإن أخطأ بعد أو أساء كان الشيخ كفيلاً — فصارت الدنيا حرية ... والسماح الذي تبور تجارته يعمل كواء ، ويكتب على بابه لوحة كبيرة بأنه يكوي على البخار ... والخضري يشتغل نجارا وسائق السيارة يفتح محلا للتنجيد ... وتجيء فتسلمه عملك ، وتأمينه عليه فيفسده لك ... فما العمل ؟ لست أدري !

* * *

على دار الزعيم (١)

لما وصلت بنا (سيارة المهاجرين) صباح اليوم الى دار حسني الزعيم
نبهني صوت عجوز عامي أبيض الرأس واللحية يقول وكأنه يخاطب
نفسه ، أو يفكر بلسانه : (لكان هادا بيت الزعيم ! الله !)
كلمة أطلقها على سجيته ، وأخرجها من قلبه ، فأحسنت انها وقعت
في حبة قلبي وقدحت زناد ذهني ، ورفعتني الى عالم من عوالم الفكر ،
ودنيا غير دنيا الناس ففكرت ...

فكرت في هذا البيت الذي كان سره البلد ومطمح النظر ، ورغبة
الامل ، ورجاء الراجي ، تحميه الجند أن يتمكن منه البصر وتمصه
الدبابات عن أن يدنو منه السائر ، وكان ربه الأمر الناهي ، يرفع ويضع ،
ويقرب ويبعد ، من رضي عنه حكمه في رقاب الناس واعطاه الاموال
والرتب ، ومن غضب عليه استله ليلا من وسط أهله فألقى به في ظلماء
مرعبة من مطابق المزة ، لا يقول له أحد : ماذا فعلت ! القوة معه والمال ،
ومعه (الوجهاء ..) الذين هم مع كل حاكم ..

فذهب في ليلة ما فيها ضوء من قمر ، وقتل كما يقتل الاسد الكاسر
فلا يعرف له قبر ، ولا يدري له مزار ، وأصبح الصباح واذا الدنيا غير
الدنيا ، والناس غير الناس ، واذا الصحة والمال والسطوة والجبروت
أحاديث يتسلى بها في المجالس .

هذه داره صارت فرجة للسالكين وملعبا للأطفال ، وهاتيك (دار

(١) صدرت هذه الكلمة صباح ١٩/١٢/١٩٤٩ بعد الانقلاب الثالث

بدقائق ، وهذا من عجائب المصادفات .

الغيف) كانت (قصر الملك) ثم صارت (منزل المفوض السامي) الذي جعلته بارنز آلهة في الشام (لا اله الا الله) يعطي ويمنع ، ويحكم ويشرع ، ويحيي ويميت ، فأين هو اليوم ؟ لقد غدا خبرا من الاخبار وعادت داره خالية خاوية لا يقف على بابها أحد وقد كان بابها من قبل كأنه لمبيد الدنيا باب الكعبة عند عباد الله !

وأين جمال باشا الذي كان يرعبنا والله اسمه ونحن صغار كأننا سمعنا اسم الضبع ، وأين من بعده كوله وأولينا روجه وكل طاغية متكبر ، ومتسلط متجبر !

مضوا وهاتيك آثارهم ، صارت قصورهم لغيرهم ، بنوا وما سكنوا ليسكن ساكن ما بنى ، وأملوا ولم يصلوا ليصل واصل بلا أمل ، والدهر دولاب يدور والايام دول تدول ما يعلو أحد الا بهبوط ثان ، وما يهبط أحد الا بعلو آخر ، ولو بقيت لمن قبلنا ما وصلت الينا ، ولذة الصمود لا تعدل ألم الهبوط ، وحلاوة الحكم لا تساوي مرارة العزل ، ثم انها لذة يسيرة وراءها حساب عسير !

هذي هي الدنيا ولكننا نرى ولا نبصر ، ونسمع ولا نتعظ ، نرى الناس يموتون فننساهم ونقبل على الحياة كأننا لا نموت ، ونمر بالقبور فنمض عنها كأننا لن ننزل يوما فيها ، نرى الهاوين عن الكراسي وتتزاحم عليها كأنها ستدوم لنا ، نفرنا الصحة ويا طالما مرض صحيح ، ويخدعنا المال وما أكثر ما افتقر غني ، ويطغينا السلطان وتنسى أن كل وال ميت أو معزول .

نأمل البقاء ، والدوحة مهما سمت تيبس ، والبناء مهما عظم ينهدم ، والهي مهما عاش يموت وكل شيء الى زوال ، ولا يبقى الا الله .
فيا أيها المتزاحمون على الوزارات ، قموا لحظة عند دار الزعيم وفكروا ..

* * *

اقتصاد

نادى وزير الدفاع البريطاني قومه ، وناشدهم الله والوطن ، أن يزيدوا في صبرهم ، وتقشفهم ، واحتمالهم شدة الايام ، وشظف العيش ، لأنهم مقبلون على أيام سود شداد .

هذا وبريطانيا لا تزال تعيش الى اليوم على بطاقات التموين ، ولا تزال تحياه حياة الحرب ، وقد انقضى على انتهاء الحرب ست سنين ، ومملك بريطانيا لا يستطيع أن يقيم حفلة كبيرة في قصره ، لأن مخصصاته لا تحمل نفقاتها ، ووزراء بريطانيا يلبسون ما يترفع عن لبسه موظفو المرتبة السابعة في بلادنا ..

... وبريطانيا ذات الحول والطول ، والعدة والعديد ، والبأس الشديد ، فماذا نقول نحن يا ناس ؟

ماذا نقول : ونحن مهددون بالنار ، تشتعل في ديارنا ، نار الحرب ، ينفخ فيها على الحدود أعداء الله اليهود ؟

ونحن ننفق أموالنا في الكماليات ، فيما لا ينفعنا ولا يفيدنا ، نأخذ ونعطي به ثمرات أرضنا ، وحصاد بلادنا ، ونحن ندفع ثروتنا ثمننا لسيارات الترف ، ولعب الاولاد ، وأحمر الشفاه ، وهذا السم الذي فخر به أجسادنا وأرواحنا : الشبائيا والوسكي والكونيك ، والبارود ، الذي نسر به أخلاقنا وبيوتنا : الافلام الداعرة والارستات . ماذا نقول ، ونحن نعطيهم مالنا بهذا ، فيأخذونه ويعطونه اليهود ليشتروا به السلاح الذي يحاربوننا به ؟

ونحن غارقون الى آذاننا في السرف والترف والرفاه والتعيم ؟

ومنا من ينفق ثمن معطف لامراته خمسة آلاف ليرة ، ومن يصرف على حفلة زواج ابنته ألفي ليرة ، ومن يبذل في (ليلته) ثلاثة آلاف ليرة ؟ حدثني الاستاذ جمال المحاسب أنه كان يقيم لما كان في (جنيف) في ضاحية اسمها — نسيت اسمها — مع رفيق له في الجامعة ، محدود من الاغنياء ، وكان على باب الرفيق سيارة فخمة ، ولكنه يذهب الى المدرسة على دراجة عتيقة ، فسأله ، فقال :

— انه ليس في بلادنا (بنزين) واننا نستورده من الخارج ، لذلك أوفر السيارة اقتصادا في البنزين ، وحفظا لمكانة الفرنك السويسري . وأكد لي الاخ جمال ، أن سوريا تصرف من البنزين أضعاف ما تصرفه سويسرة ، التي استطاعت على صفرها ، احلال تقدها المحل الاول بين أصناف النقد في العالم .

فلماذا لا نأخذ عن الغرب هذه الدروس النافعة ، دروس الرجولة ، والاقتصاد ، والعلم ؟ لماذا لا نأخذ الا الاختلاط والفساد وما يشكون هم منه ، ويتمنون زواله ؟

أنا لا أفهم كثيرا في الاقتصاد ، ومع ذلك فأنا أدرك بفهمي القليل ، أن الأمة التي تشتري أكثر مما تبيع ، وتستورد أكثر مما تصدر ، ولا يكون لها برنامج اقتصادي ثابت ، يكون مصيرها الافلاس .

بائعة اليانصيب

هذه كلمة أحس أنها تغلي في صدري وتضطرم ، واني اذا لم أنطق بها انفجرت^(١) وانفجرت ، فاعفوا عني هذه المرة اذا أنا خلطت عملي في الجريدة بملي في المحكمة ، ومست بقلم الادب صحائف القضاء .
هي يا سادتي قصة تلك الفتاة التي بهرت أنظار الناس لما دخلت وشدهتهم وكادت تفسد علي هيئة المجلس ، وروعة القضاء ، لولا أنني أظهرت غلظتي - ولا مؤاخذه - في اللحظة المناسبة ، حتى انكششت المسكينة ولا ذنب لها ، ودخل بعضها في بعض ، واغضى الناس وكفوا ، وقلوبهم معلقة بهذا الجمال النادر .

وتبين من حديث الفتاة - بنت السابعة عشرة - أن أباهما بخل عنها وطمع فيها ، فبعثها تتكسب ، فلم تجد الا بيع أوراق ال (يا نصيب) .
فذهبت الى المتعهد فوضعت بين يديه شبابها وبهاؤها وعفافها ليصرفها هي وعشرات من أمثالها ، كما كان يصرف المالك جواريه ، كأن هذه الحضارة ما ألغت الرق الذي كان ، الا لتأتي برق شر منه وأخرى ، لأن مالك الجواري كان يتصرف بهن لنفسه ، وهذا (المتعهد) يبعث بامائه وجواريه ، يحملن جمالهن وعفافهن ، (ولا يختارهن الملعون الا من ذوات الجمال) ، ليدرن بهما على المقاهي والملاهي ، وعلى السكارى في الخمارات ، والفساق في المواخير ، يتحملن منهم النظرات الدسة ، والكلمات النجسة ، واللمسات والغمزات ، وما هو أدهى من ذلك ...
ليبعن عشر تذاكر ، يذهب أكثر ثمنها الى كيس المتعهد ، وأقله للخير

(١) الكلمة من العاصي الفصيح .

والاحسان الذي أنشيء (قالوا ...) اليانصيب من من أجله ، ولا ينال
البنات من هذه المائدة الا الفتات

ودافعت البنت عن عفافها دفاع الحمل عن لحمه أمام الذئب ، حتى
كلت قواها ، وارتخت يداها ، فألقت بشمرتها بين براثن الذئب الاكبر ،
الذي اسمه المتعهد ، ثم تماورتها من ذئب البارات والسينمات والطرقات ،
وصارت (كذا ...) ، وهي بنت سبع عشرة ، ولولا اليانصيب :
لكانت ربة أكرم بيت !

وغضبت لهذه المسكينة ، ولعنت الاب الذي ألقى بها في هذه النار ،
ولعنت المتعهد ولعنت اليانصيب ومن اخترعه ...

على انها ليست قصة هذه البنت وحدها ، وانما هي قصة كل فتاة
تبيع ال (يا نصيب) ؟ انها اثر من آثار كساد الزواج ، ورواج الفساد ؟
ولست أدري من أين آتت أنا بالكلمات لأفهم هؤلاء الآباء ، أي
خطر يحيق بهم ، وأي عاصفة عاتية مدمرة : تقبل عليهم ، وستصل اليهم
اذا تركوا في بيوتهم ، بنتا واحدة بلا زواج ، ولم يزوجوها ؟

بأي لغة يفهمون ؟ وبأي يمين يصدقون ؟ اننا ان بقينا على ما نحن
عليه : أوشك أن يلج الفساد كل دار ، ويصيب كل فتاة ، ويصم بالعار
أهلى جبهة في البلد ؟

فأين من يهتم بهذا ؟ أين من يفار على أعراض البنات ؟

أين يا ناس ... أين ... ؟



اغنام

رأيت اليوم شيئا جديدا ، ما كنت أظن أن مثله يكون في دمشق :
رأيت قرب وزارة العدلية بنتا (صبية) على دراجة ، تسوقها بسرعة ،
وكلما حركت رجلها ، انحسر الثوب القصير عن فخذيها ، فبدت كلها ،
فما سرت الا خطوات ، حتى أبصرت فتاة أخرى وثالثة ، وإذا هنالك
دكان فيها شاب يؤجر الدراجات للبنات . فوقفت لحظة ، أرقبه من بعيد ،
والبنات من حوله ، وقد قام خلاف بينه وبين احدها على الاجرة ،
وأرادت أن تذهب ، فقام يشد يديها ، ويدفع في (صدرها) ، حتى
يدخلها الدكان ، ليأخذ منها (الفرنكين) اللذين بقيا له عندها ..
ونظرت اليه ، فإذا هو شاب في أوائل الشباب ، يكاد يتفجر شهوة .
ويلتهب شبابا ، وصور لي الوهم ، أنني لا أرى أمامي الا ذئبا ضاريا ،
حوله قطع من الغنم ، يغريه لحمها الطري بأكملها ، ولا تستطيع أن تدفعه
عنها بظفر ولا ناب . ففكرت متعجبا

— أمّا لهذه (الاغنام) من أرباب ؟ أما لهؤلاء البنات من آباء ؟
أمّا في البلد من يكف عن الناس شر الذئاب ، ويحمي الاطفال من
لصوص الأعراض ؟

انها حادثة تافهة ، ولكنها تجر وراءها حوادث عظيمة ، انها شرارة
صغيرة ، ولكنها توقد نارا ، انها بداية خطر جديد على الاخلاق ، فاختنقوه
في مهده ، قبل أن يشب ويقوى ، ويصير شيطانا بسبعة قرون .
يا مدير الشرطة الى شهادتك ونخوتك وحزمك وعزمك أوجه هذا
المقال .

* * *

هكذا قال زرادشت !

عجيب أمر هؤلاء « الرجعيين » : كلما رأوا جديداً راحوا ينكرونه ، ويغضبون منه ، وبقيمون الدنيا عليه ، ويرون المسألة الجنسية ماثلة فيه ...

هذي جرائمهم ، راحت تنكر أمس على اثنين من موظفي معارف لبنان ، أنهما أحبا أن يتوثقا من صحة البنات اللائي يطلبن أن يكن معلمات ، وانه ليس في أجسادهن علة خفية تسترها الثياب ، فكلفاهن أن يخلعن ثيابهن كلها حتى .. آخر قطعة منها ، ويظهرن أمامهما كما ولدتهن امهاتهن ... وتطلب هذي الجرائم من الوزير طردهما وعقابهما ، ولو انصفت لطلبت شكرهما وترفيعهما ، لأن العصر عصر تقدم ، ولأن الروح الرياضية والنهضة النسائية ، والفكرة (التقدمية) ، كل ذلك يوجب عليهما أن يصنعا ما صنعا ، ولكن هذه الجرائم ، تريد أن ينشأ فتياتنا ضعيفات خاملات حتى يغلبنا اليهود

وان هذين الموظفين المحترمين ، ما قصدا فيما فعلاه الا المصلحة العامة ، ولم يكن يخطر على بالهما أبداً ... خاطر جنسي ، وهما ينظران الى الفتيات ينزعن ثيابهن قطعة قطعة - كما فعلت ريتا هيوارث (كنة آغا خان) مرة - ويخطرن أمامهما عاريات عاريات ! لا ... لا يمكن أبداً أن يخطر على بال واحد منهما تلك العاطفة الجنسية ، ومن يقول أن ذلك ممكن فهو رجعي ، وهو غير تقدمي ... والذين يشاهدون الفتيات يلعبن بكرة السلة ويقفزن باديات الافخاذ ، راقصات النهود ، لا يمكن أن يخطر على بالهم أبداً تلك العاطفة الجنسية ،

ومن يقول ان ذلك ممكن فهو رجعي ، وهو غير تقدمي
والذين شاهدوا (تلك) الحفلة التي اقيمت للمغترين ، ورقص فيها
البنات (المختارات) والشبان رقص السماح ، وغنن الموشحات
الاندلسية ، لا يمكن أن يخطر على بالهم أبداً ، تلك العاطفة الجنسية ،
ومن يقول ان ذلك ممكن فهو رجعي ، وهو غير تقدمي ...
وكذلك الحال في مظاهر الاختلاط كلها : في السينما ، وفي الرحلات
المدرسية ، وفي الاسواق ، وفي كل مكان ، حتى الذين يراقصون السيدات
والاوانس ، وتكون الصدور الى الصدور ، والافخاذ على الافخاذ ،
لا يمكن أن يخطر على بالهم أبداً تلك العاطفة الجنسية ، ومن يقول
ان ذلك ممكن فهو رجعي ، وهو غير تقدمي ...

ان اليهود على الابواب ، وان الطريق الوحيد الى الانتصار على
اليهود ، هو أن (تشرح) المعلومات في وزارة المعارف اللبنانية ، وتلعب
اللاعبات أمام المشاهدين ، وترقص الطالبات أمام المغترين والمقيمين ،
واننا ان منعنا شيئاً من ذلك فقد عملنا لحساب اليهود ...

ومن شك في هذه الحقيقة ، فهو (أيضاً) : رجعي وغير تقدمي ...
هكذا قال زرادشت !



انتبهوا ...

يا أهل الشام انتبهوا ! انتبهوا يا فاس !
انه بلغ من هوان الاعراض في هذا البلد ، ومن تحكم الشهوة ،
ومن ضعف الدين والاخلاق ، أن صار نساؤنا يتخطفن من الطرقات ...
لا ... لست أروي حديث الجاهلية ، وأخبار بوادي تهامة ، وقفار
اليمامة ، أيام كان الصبايا يؤخذن في العروب سبايا ، ولكن أروي
ما وقع البارحة . في شارع بغداد !

أما قرأتكم في جريدة (الايام) أمس ؟
فهل تبقون نائمين ، والنار تسري الى بيوتكم ؟ تمتد ألسنتها الحمرء
الى أعراضكم ؟ هل تلبثون معرضين ، وهذه النذر تتوالى عليكم ؟
والاحداث تتعاقب من حولكم ؟ ألا تعتبرون بغيركم قبل أن يعتبر
غيركم بكم ؟

لقد كتبت في هذا حتى مللت من نفسي ما ابدى القول واعيده
عليكم ، وقلت كلاما ، لو نزل على قلوب نحتت من جلمد الصخر لأثر
فيها هذا الكلام ، ولكن هذا الكلام لم يؤثر فيكم ، فماذا أقول لكم ؟

كيف افهمكم أيها الناس ، ان الاخلاق في خطر ؟ وانها ان استمرت
هذه الحال لم تبق في البلد بنت شريفة ؟ نعم ... نعم ... هكذا ،
لا تعجبوا من قلبي ، ولكن اعجبوا من سكوتكم . ولا تلوموني على
صراحي ، ولكن لوموا نفوسكم على غفلتكم ؟ اني أصور ما كان .
فمن رأى صورته على غير ما يريد . فلا يعتب على المصور !

يا أهل الشام ، اعملوا قبل أن يأتي يوم لا ينفع فيه العمل . يوم

تعضون فيه الا فامل من الندم . تقولون يا ليت انا عملنا ! يا أهل الشام !
انهم والله ان لم تؤلف في كل حي لجنة من أهل المروءات لبحث هذا
الداء ، ولجان من الطلاب ومن النساء ، وان لم تهتم الجمعيات والصحف
بدرس أسبابه ، وتعرف مصادره ، واعداد علاجه ، وأن يحمل كل قارئ
هذا العدد من (النصر) ، فيقرأه على أهله وأصحابه وجيرانه ، وان لم تمن
الحكومة بهذا الامر ، وتبذل فيه الوسع من مالها وسلطانها ...

... ان لم يكن هذا ، فليأتين عليكم يوم قريب ، تخطف فيه
البنات . من المنازل والمدارس ومن الترام ومن كل مكان ، وسنعود الى
عهد الحمجية الاولى ، وسنرجع كالبهائم ، لا قائد لنا الا غرائزنا ،
ولا دليل الا شهواتنا ، وسينصرف الشباب عن الزواج . فينقطع النسل
ويخلو من آساده الغيل .

ويصير الوطن قاعا مباحا لكل طامع فيه ، ليس له من يذب عنه أو
يحميه !

فيا أهل الشام ! الله ، الله . في أعراضكم ، وفي أخلاقكم ، وفي
كرامة أوطانكم ، يا أهل الشام !



شهادون

مررت اليوم على (شحادة) قاعدة في (القنوت) مستندة الى الحائط ، وأمامها ثلاثة أولاد نائمون على بساط قذر ، لا يبدو منهم الا شعر رؤوسهم ، وهي (تسأل) : كل غاد ورائح تشير الى الاولاد ، وتحلف انهم مرضى وانهم جوعان ..

.. فلم أكد أبتعد عنها ، وأدخل تحت القناطر حتى سمعت من ناحيتها صوتا ، فنظرت اليها من حيث لا تراني ، فرأيتها تلتفت حولها ، حتى اذا رأت الطريق خاليا ، قامت ، ووثب الاولاد ، فأعطتهم شيئا ، أخذوه وأقبلوا على القناطر عدوا ، وذهبت هي من جهة الشارع . فعجبت منهم ، وتأملتهم لما وصلوا الي ، فاذا هم ، أقوياء ، أصحاء ، حمر الوجوه ، نواضر الاجسام ، ما خالطتهم علة ، ولا داخلهم مرض ، فدعوت أكبرهم ، فأقبل فزعا ، ووقف أمامي ، مظهرا التذلل ، متكلفا الضعف ، ومد يده يسأل (حسنة من مال الله لهذا الفقير الجوعان ..) فذهبت أسأله عن هذه المرأة وصلت بها ، وهو يدع الجواب ويعكف على (السؤال) ، فقلت له :

— بَسْ بلا قلة أدب ، جابوب على سؤالي تأخذ نصف ليرة ، واذا سكت أو كذبت ضربتك كفين وأخذتك الى المخفر .

فقطع بالمال ، وفزع من الضرب ومن الشرطة وحدثني فعلمت ان المرأة ليست امه ولا الولدان اخويه ، وانما تستأجره من أبيه الظالم القاسي ، كما تستأجرهما من أبويهما بليرة في اليوم ، وتضطرهم

اضطرابا الى أن يبقوا (نائمين ...) أمامها ست ساعات على أرض الشارع ، لا تدعهم يتحركون فيها ولا ينهضون ولا يفتحون عيونهم فينظرون ، ووصف ما يلقي من هذه الضجة ، فإذا هو عذاب أخف منه ما تقرأ من أخبار التعذيب في القرون الوسطى .

وأعطيته ما وعدته ، وسرت أفكر في هذا العدوان على الطفولة البريئة ، التي لا تستطيع أن تحمي نفسها ، ولا تجد من يحميها ، فما وصلت الى أول شارع جمال باشا ، حتى وجدت العبد الاسود ، الذي يربط هناك أبدا ، فكلما مر أحد ، قفز الى وجهه فجأة ، ورفع كتفا ، وخفض كتفا ، وأحنى رأسه ، حتى يستقر تحت أنف المار يسأله وفي رأس سوق الحميدية وجدت هذا السائل الجديد ، الذي لا أدري من أين هبط دمشق ، واقفا على عادته أمام العمود بعمامة البيضاء وجبته عاقدا يديه على صدره ، مبتسما ابتسامة بلهاء ، لا ينطق بحرف فما دخلت السوق ، حتى أقبل علي هذا (الشحاذ) الغليظ صاحب العطر ، وهو رجل قوي صحيح ، يستطيع أن يجر محراثا ، ولكنه لم يؤثر من الاعمال الا أن يفاجئك فيمسح يدك أو ثوبك بعطره الشنيع ... على رغم أنفك ، ليأخذ منك شيئا

ولحقني بعده هذا الشحاذ العجيب ، الذي يتعلق بالمار ويصيح به : (مشا الله ، مشا الله مشان النبي) يكررها ألف مرة ، وهو يمشي معه ، لا ينصرف بالسب ، ولا بالضرب ولا بالرفس ، ولا بالنطح ، ولا يستطيع شيء في الدنيا أن يصرفه

وفي أول المسكية ، وجدت مريضا ، مفلوجا مسكينا ، يرتجف ، ويسيل لعابه ، وهو يتمسك بكل مجتاز . وعلى باب الاموي ، عشرون شحادا ، لكل واحد طريقة مبتكرة ، وفي كل حي شحادون آخرون ، لهم طرائق غير هذه ، حتى صارت الكدية (الشحاداة) : صناعة فنية ،

لها اصولها وفواعلها ، وتجارة واسعة ، لها أسواقها وأرباحها . ونحن
لا نبالي أن تشتمل مدينتنا على هذا الخزي . وتحمل هذا العار ، بل ان
فيينا من لا يزال يعطي هؤلاء المكدين (الشحادين) المخترفين . وبحسب
انه يصنع خيرا ، لا يا أيها الناس : ان الصدقة ليست لهؤلاء ، ان الصدقة
للفقراء المستورين . الذين يستحون أن يسألوا الناس ، أمّا هؤلاء فلا
تعطوهم ، لنلا تشجعوهم على هذا الخزي الذي لا يرضاه الشرع ،
ولا يجيزه القانون ، ولا يقره العرف . ولا تسيغه كرامة الانسان !



صورة من حياة موظف

كان مرتبه الشهري أمامه ، قد ألقاه على المكتب القاه : ثلاث قطع من ذوات المئة وقطعة بخمس ليرات ممزقة بالية قد علاها الدهن والوسخ وكسور من الفرنكات وكان في يده ورقة يدون عليها حسابه ، حتى اذا فرغ نظر فيها ، وفرز الورقات الثلاث ، ليوزعها على اللحام والخباز والخضري والسمان ، ووضع الباقي في جيبه . ولم يحس لقبض الراتب مسرة ، ولم يشمر للاتفاق بألم ، بل كان يعمل ذلك بلا فكر كدأبه في كل شهر . يقبض الراتب فيوفي الديون كلها ، ثم يرجع فيستدين على الراتب الجديد ، وان نقص منه شيء ، استقرضه أملا بسلفة أو منحة أو رزق غيبي غير محتسب ، وكانت هذه الحكاية تتكرر كل شهر ، كما تتكرر أيامه كلها متشابهة ملة ، يصبح فلا ينتظر جديدا في النهار ، ويسبي فلا ينتظر جديدا في الصباح ، فهو يصحو كل يوم ، فيقوم من الفراش متكاسلا ، لا يسوقه شيء الى الاسراع ، لأنه موظف ، والدوام وان كان له موعد معين ، لكن هذا الموعد لا يحدد الا في البلاغات والاوامر ، ولا يفكر أحد في تنفيذه ، ولا يلقى المراجع قبل الساعة التاسعة موقفاً واحداً من كل مئة موظف على كرسي عمله ، ثم انه رئيس دائرة صغيرة في (قضاء) بعيد لا يسأله أحد ان غاب أو حضر ، ولا يجيئه المفتش كل سنة مرة ، وان هو جاء فما أكثر الاعذار التي يعتذر بها ، وأيسرها عليه ادعاء المرض ، وابرار تقرير من صديقه الطبيب الرسمي بأنه مصاب بالتهاب القصبات الحاد . ويحتاج الى الراحة والتداوي ثلاثة أيام

وتردد نصف ساعة بين مبارحة الفراش أو البقاء فيه ، ثم يؤثر
 النهوض فينزل من سريره ، ويمشي الى المغسلة - ولم يكن يصلي ولا
 يعرف الصلاة وان كان معتقداً مؤمناً لا يميل الى شيوعية ولا زندقة ولا
 الحاد ، ثم يأكل ما يأكله كل يوم بلا شهية ولا رغبة ، ثم يلبس ويمضي
 الى عمله متباطئاً ، فيرمي بنفسه على الكرسي ، فان فاجأه صاحب معاملة
 ينتظر من الصباح ، زجره وصاح به : ما تنتظر ! شوها القلة الذوق ؟
 ويقرق الجرس ، فيطلب القهوة والجريدة ، ويدعو الكاتب ليعرض
 عليه الاوراق ليوقعها ، والكاتب هو الذي يشتغل كل شيء ، وان كان
 خطأ كان الكاتب المسئول عنه ، وعمله هو أن يذيل الاوراق بامضاءه
 الكريم ، ويشرب القهوة والدخان ، ويستقبل أصدقاءه حتى يمل ،
 فيقوم ويوصي الكاتب بأن يبقى الى آخر الدوام . ويذهب الى داره
 فيأكل وينام ، ويخرج المشية ليمشي في الشارع ، الذي يمشي فيه كل
 يوم ذاهباً وآيئاً مئة مرة ، ويرى الوجوه التي يراها كل يوم ، القائما
 والحاكم ومدير المال والطبيب يلعب معهم الطاولة ، ويسمع الى أحاديثهم
 التي تعاد كل يوم ، حتى يكون موعد النوم ، فينام لينهض فيعيد
 الرواية

هذه صورة من حياة أكثر الموظفين ، حياة ليس فيها (حياة) ولا
 حماسة ولا اهتمام بشيء ، ولا سعي الى غاية ، الا السعي الى قبض
 الراتب في آخر كل شهر ، والسعي الى التقاعد ثم الى القبر

وهذه هي الحياة التي لا يقبل الشباب الا عليها ، ولا يرغبون الا
 فيها ، ولا يتعلمون الا التعليم الذي يوصلهم اليها .
 ونريد بعد ذلك أن نكون أمة يقظة ومغامرة ومكافحة !!!



أبو حازم وعبد الملك

في سنن (الدارمي ^(١)) :

مر سليمان بن عبد الملك بالمدينة ، فأقام بها أياماً فقال :

— هل بالمدينة رجل أدرك أحداً من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم ؟

قالوا له : أبو حازم .

فأرسل اليه ، فلما دخل عليه ، قال له : يا أبا حازم ، ما هذا الجفاء ؟

قال أبو حازم : يا أمير المؤمنين ، وأي جفاء رأيت مني ؟

قال : أتاني وجوه المدينة ولم تأتني !

قال : يا أمير المؤمنين ، اعيزك بالله أن تقول ما لم يكن ، ان الجفاء

بين الاصحاب ، وما عرفتني قبل هذا اليوم ، ولا أنا رأيتك .

فالتفت سليمان الى محمد بن شهاب الزهري ، وقال : أصاب الشيخ وأخطأت أنا .

— قال سليمان : يا أبا حازم ، مالنا نكره الموت ؟

— قال : لأنكم خربتم الآخرة ، وعمرتم الدنيا ، فكركم أن تنتقلوا

من العمران الى الخراب .

— قال : أصبت يا أبا حازم ، فكيف القدوم غداً على الله ؟

— قال : أما المحسن فكالغائب يقدم على أهله ، وأما المسيء فكالآبق

يقدم على مولاه .

فبكي سليمان ، وقال : ليت شعري ما لنا عند الله ؟

(١) الجزء الاول صفحة ١٥٥ طبع الاستاذ دهمان .

- قال : اعرض عليك على كتاب الله •
- قال : في أى مكان من كتاب الله أجده ؟
- قال : « ان الابرار لفي نعيم ، وان الفجار لفي جحيم » ••
- قال سليمان : فأين رحمة الله ؟
- قال : قريب من المحسنين •
- قال : أي الأعمال أفضل ؟
- قال : أداء الفرائض مع اجتناب المحارم •
- قال : أي الصدقة أقبل ؟
- قال : جهد المقل ليس فيه من ولا أذى •
- قال : فأى القول أعدل ؟
- قال : قول الحق عند من تخافه أو ترجوه •
- قال : أي الناس أعقل ؟
- قال : رجل عمل الخير ودل الناس عليه •
- قال : فأأيهم أجهل ؟
- قال : من جارى أخاه في هواه وهو ظالم ، فباع آخرته بدينار غيره •
- قال : أصبت ، فما تقول فيما نحن فيه ؟
- قال : يا أمير المؤمنين ، أوتعفيني ؟
- قال سليمان : لا ، ولكن نصيحة تلقىها الي •
- قال : يا أمير المؤمنين ، ان آباءك قهروا الناس بالسيف ، وأخذوا هذا الملك عنوة عن غير مشورة من المسلمين ولا رضا ، ثم ارتحلوا ، فلو سمعت ما قالوه وما قيل لهم لعلمت •
- فقال له رجل من جلسائه : بئس ما قلت يا أبا حازم •
- قال له : كذبت . ان الله أخذ ميثاق العلماء ليبينته للناس ولا يكتمونه •

- قال سليمان : فكيف لنا أن نصلح ؟
- قال : تدعون الكبر ، وتتكئون بالمرودة ، وتقسمون بالسوية .
- قال : هل لك يا أبا حازم أن تصعبنا فتصيب منا ونصيب منك ؟
- قال : أعوذ بالله ، أخشى أن أركن اليكم قليلا ، فيذيقني الله ضعف الحياة وضعف المات .
- قال سليمان : ارفع الينا حوائجك .
- قال : تنجينني من النار وتدخلني الجنة .
- قال : ليس ذلك اليّ .
- قال : مالي حاجة غيرها .
- قال : ادع لي .
- قال : اللهم ان كان سليمان وليك فيسره لخير الدنيا والآخرة ، وان كان عدوك فخذ بناصيته الى ما تعب وترضى .



ولما خرج اليه ، بعث بجائزة سنية فردها ، وكتب اليه : ان كان هذا المال عوضاً لما نصحتك فالمتة ولحم الخنزير في حال الاضطراب أحل منه ، وان كان لحق لي في بيت المال ، فلي فيه شركاء ، فان ساويت بيننا والا فليس لي به حاجة .



مزلة القاضي

حدثنا مرة الشيخ زين العابدين التونسي : ان القاضي في تونس لا يخرج من داره الا الى المسجد أو الى المحكمة ، يمشي أمامه حاجب ووراءه حاجب ، يمتعان الناس أن يكلمه أحد منهم أو أن يدنوا منه .
وعجب السامعون وضحكوا

أما أنا فلم أعجب ولم أضحك بل رأيت ، ان كل قاض في الدنيا ينبغي له أن يكون كقاضي تونس ، لا يختلط بالناس ولا يعاشرهم ، ولا يدخلهم بيته ولا يدخل بيوتهم ، وأن يمنعه منهم حزمه وجده وصرامته ان لم يسر معه حاجبان يمتعانه !

والا فكيف يصحب القاضي الناس ويخالطهم ، ويدعوهم ، ويقبل الدعوات منهم ، ويكون معهم في محافلهم ومجالسهم وقهواتهم ونزهاتهم ، ويسقط ستار الكلفة بينه وبين الكثير منهم ، ثم يستطيع أن يقضي بينهم؟ وكيف (بالله) يقدر أن يعدل بين الخصمين ، ويسوي بينهم في وجهه ومجلسه وحكمه ، ان كان أحدهما صفيه وسميره وموضع سره ، ورفيق نهاره وليله وجده وهزله ؟ والآخر غريب عنه لا يعرفه ، وكيف ينظر اليهما بعين واحدة ؟ ويخاطبهما بلسان واحد ؟ ويكون موقعهما من قلبه واحدا ؟

فلا يطالب الناس القاضي بأن يكون اجتماعيا يستقبل كل قادم ، ولو كان الامير أو الوزير ، وبودع كل راحل ، ويهنئ بكل نعمة ، ويعزي بكل مصيبة ، ويعود المرضى ، ويشيع الجنائز ، وينشى كل مكان بنافق للرؤساء ، ويلطف النساء ، ويجامل الاصدقاء ، ويدخل

أماكن الرب ، ويشرب محرم الشراب ، ويأتي منكر الأعمال ، فانه ان
فعل ذلك لم يكن قاضيا ، ولم يجر له أن يعلو قوسا ، أو يتصدر مجلس
حكم ...

ولا يرقبوا من القاضي أن يكون لطيفا ظريفا رقيقا ناعما ، فان هذه
كلها من صفات المدح ما لم يوصف بها القاضي •
فان وصف بها القاضي ، لم تكن له الا نعمت ذم !
وليس يضر القاضي ان أرضى الله أن يغضب عليه الناس كلهم •



مزعجات السينما

قال لي :

— انك تكتب عن كل شيء ، وتعالج كل موضوع ، فلماذا لا تكتب عن مزعجات السينما . عن الذي يقعد وراءك ، ينقر بحذائه على ظهر مقعدك ، يوقع برجله الانعام التي يسمعها باذنه ، والذي يقرأ الترجمة جهراً ، كأنه تلميذ يهجي درسه ، ثم يشرحها لجاره . والذي يصرف القصة فيتطوع بروايتها لك ، والذي يأكل بذور البطيخ ، ويلقي قشورها عليك ، لا في سينما غازي أو النصر بل في (الدنيا) و (دمشق) ، والذي ينفخ دخان سيكارتته (دخيته) في وجهك ، وهو يرى اللوحات من كل جانب تنادي : ان التدخين في القاعة ممنوع . والذي حرمه الله الذوق والتهديب . وخلقهم حماراً على صورة بني آدم ، فهو لا يفتأ يبزق على الارض . ولا يزال الوقت كله بـ (اخ - تفه) — قبحه الله .

والشباب الذين يظنون ان السينما لهم وحدهم ، فيتحدثون بالاصوات الجهيرة ، ويلقون النكات الباردة ، والانفاظ القبيحة على مسمع من هنالك من النساء ، ويضحكون ضحكات كأنها ضجيج (موتور سيكل) من طراز سنة ١٩٣٩ .

والعاشق الهيمان الذي تضيق به الارض فلا تطيب له (الخلوة الصحيحة . .) الا في السينما ، فيتأبط فتاته . . . ويتحجى بها ناحية من القاعة ، فلا ينطفئ الضوء حتى ينسا السينما وأهلها ، والدنيا وما فيها وينطلقان يتناجيان ، ويتناغيان ويتساكيان ، ويتساكيان ، وتضاغط

الأكف ، وتتراص الافخاذ ، وتعالى الزفرات ، وتعالى الأهات
ويكون ما لا نعرفه لا نحن ولا أتم !

والأم تجر ولداً ، وتحمل ولداً ، فيصبح هذا ، ويبيكي هذا ،
ويجاوبه بالبكاء طفل ثان من يمين القاعة وثالث من شمالها ، وتعلو هذه
(الاوركسترا) حتى تغطي على أنغام الفلم ، وتجعل السينما كأنها ردهة
دار التوليد ، والذي يجي لا يرى الفلم ، بل يرى (رائيات ٥٥) الفلم ،
فلا يزال دائر الرأس ، زائغ البصر ، يأكل بعينه كل جميلة يراها ، والذي
يفضحك في الموقف المحزن ، والذي يصرخ كالثور كلما ظهر على اللوحة
مشهد غرام

لماذا لا تكتب عن هذا وأمثاله — وما أكثر أمثاله !

— قلت : سأكتب يوماً من الايام !!!



اقترح

دخلت دار صديق لي موظف ، من عمله تسجيل عقود الزواج وحضور حفلاتها ، فوجدت في الدار ، خزانة كبيرة ملؤها علب الملابس من زجاجية وخزفية وخشبية ومعدنية ، من مستديرة ومنبسطة ومربعة ومثلثة ، وملساء ومحفورة ومزوقة ومنقوشة ، من كل شكل وكل جنس ، أرخصها بليرة ، وفيها علب من الفضة عليها اسما الزوجين وتاريخ العقد ، ثمنها أكثر من عشر ليرات ، فوقفت أنظر اليها وأفكر : كم ينفق في دمشق كل سنة في أثمان هذه العلب ؟

فرايت أنه ان كان يعقد في دمشق مئة عقد في السنة (وهذا أقل من الواقع) ، وكان في كل عقد مئة مدعو (وهذا هو الحد الأدنى) ، فانه يصرف في كل حفلة مئة ليرة ثمن العلب ، ان كانت من العلب الرخيصة . فان كانت من العلب الغالية أو كان المدعوون مثنين أو ثلاثمة . صرف في علب الملابس خمسمئة ليرة في الحفلة الواحدة

فلو أنها ألف جمعية لحمل الناس على توزيع الملابس في قرايطيس وأوراق ، وأخذ ثمن العلب لانفاقها في مساعدة الفقراء ، أو في بناء المستشفيات ، أو في عمل آخر من أعمال الخير ، ولم تشتغل إلا بهذا الامر وحده . لاستطاعت أن تجمع من هذا الباب أكثر من ثلاثين ألف ليرة في السنة ، فكيف ان أنشئت جمعيات أخرى لتدفع غيره من وجوه التبذير التي ألفها الناس ، وتعودوا اضاءة الاموال الكثيرة فيها ، مع أن الفقراء في أشد الحاجة الى بعض هذه الاموال ، كطاقات الزهر التي تهدى في الاعراس ، وينفق فيها من مئة الى خمسمئة في كل عرس .

فان كان يقام في دمشق مئة عرس في السنة (والواقع اكثر بكثير) .
فيكون ما ينفق في البلد كل سنة ثمن هذه الازهار التي تلقى بعد أيام
على المزابل ، من عشرة آلاف ليرة الى خمسين ألفا ١ وأكاليل الجناز
وكفوف الآس ، وعشرات من أمثالها لا عشرة واحدة ، لو أن ما ينفق فيها
جمعتة أيد أمينة ، وأنفقته في جهات صالحة ، لصارت دمشق في عشر
سنين فقط جنة في الارض ، ولما بقي فيها فقير ولا جاهل ولا مريض .
لأن هذه الاموال تنشيء كل سنة عشرة مستشفيات وعشرة ملاجي .
وعشر مدارس ..

وليس بيننا وبين تحقيق هذا العلم ، الا أن تتولاه جمعية من الجمعيات
الغيرية الموثوق بأمانة رجالها ونشاطهم ، وتنقطع اليه ولا تشتغل الا به .
وتحشد لحمل الناس عليه السنة الخطاب وأقلام الكتاب ، وتسلك اليه
كل سبل الدعاية ، في الصحف والنشرات والاعلانات والاذاعات ..
ولكن هيئات أن تتحقق في هذا البلد أحلام المصلحين !



الزوجة الثانية

قابلت أمس صديقاً لي ، فوجدته ضيق الصدر ، لقيس النفس ،
كان به علة في جسده ، أو هما في قلبه ، فسألته أن يكشف لي أمره ،
فتأبى ساعة وتردد ، ثم قال لي : أنت الصديق لا يكتُم عنه ، واني مطلقك
على سري ، ومستشيرك فيه : اني أريد الزواج .
— قلت : وما فعلت ربة دارك ، وأم أولادك ؟
— قال : هي على حالها .

— قلت : وهل أنكرت شيئاً من خلقها أو من دينها ، أو من طاعتها
لك وميلها اليك ؟
— قال : لا والله !
— قلت : فلم اذن ؟

— قال : اني رجل أحب العصمة وأكره الفجور ، وقد ألفت زوجتي
حتى ما أجدها فيها ما يقنع نفسي عن أن تميل الى غيرها ، وبصري عن أن
يشرذ الى سواها ، وأملت عشرتها حتى مللتها وذهبت في عيني فتنتها .
قلت : ما أقبح والله ما جزيتها به عن صحبتها واخلاصها ، وما أعجب
أمرك تسمع صوت النفس ، وأنت تظنه صوت العقل ، وتتبع طريق الهوى ،
وأنت تحسبه سبيل الصلاح ، وهذا من تلبيس ابليس ، ومن وساوسه ؟
وهل تحسب أن المرأة الجديدة ، تفنحك وتغنيك ، ان أنت لم تهجر
نفسك وتزجرها ؟ ان الجديدة تمر عليها الايام فتصير قديمة ، وتطول
الفتها فتصير مملولة ، وتستقري^(١) جمالها فلا تجد فيها جمالا ، فتطلب

(١) الصواب تستقري بالياء لا تستقريء بالهمزة .

ثالثة ، والثالثة تجر الى الرابعة ، ولو انك تزوجت منه ولو انك قضيت
العمر في زواج ، لوجدت نفسك تطلب امرأة أخرى ...

وهذي سير الملوك ، الذين كانت تحمل اليهم كل جميلة من كل
بلد ، وكان في قصورهم آلاف الجواري من كل بيضاء ، وسمراء
وسوداء ، وعربية ، وتركية ، وكرجية ، وافرنجية ، من كل سن وكل
لون ، وكل جنس وكل شكل ، فهل أشبع ذلك هوى نفوسهم ؟ وهل
عصمتهم من أن يتطلع أحدهم الى المرأة المنعة ، فيعشقها أو يهيم بها
بها ، ولا يرى لذته الا بقربها ؟

وهل الزواج ويحك لهذا (الامر) وحده ؟ فأين الوفاء ؟ وأين
التذم ؟ وأين حقوق المعاشرة ؟ وأين روابط الولد ؟ وهل تقوم الحياة
على الحب وحده ؟

هل يمضي زوج عمره في تقبيل وعناق ؟ ان لذلك لحظات وباقى
العمر تعاون على الحياة ، وتبادل في الرأي ، وسعي للطعام واللباس
وتربية للولد ، واسترجاع الماضي والاعداد للمستقبل .

وهل تظنك تسعد بين زوجتين ، وتعرف ان جمعهما ما طعم الراحة ؟
وهل تحسب ان ولدك يبقى معك وقد عادت أمه ، وصادقت غريبة جئت
بها تشاركها دارها ومالها وزوجها ؟ فهل يرضيك أن تثير في أسرته
حرباً تكون أنت أول ضحاياها ؟

لا يا صاحبي ، لقد تغير الزمان^(١) ، وتبدل عرف الناس ، فعليك
بزوجك ، عد اليها وانظر الى اخلاصها ، لا تنظر الى وجهها ولا الى
جسمها ، فاني قرأت كتباً في تعريف الجمال كثيرة ، فلم أجد أصدق من
تعريف طاغور : « ان الجمال هو الاخلاص » ولو ان (ملكة الجمال)

(١) وحكم الله في حل التعدد باقياً أبداً ، ولكنه مباح ليس واجباً ولا
مندوباً .

خاتتك وعدت بك لرأيتها قبيحة في عينك ، ولو أخلصت لك زنجية
سوداء ، كأن وجهها حذاء السهرة اللماع لرأيتها ملكة الجمال ...
وثق أن ما حدثني به سيقى سرا بيننا لا أفشيه أبداً ، ولا أطلع
عليه أحداً !!

وهل سمعت أن أدبياً (أفشى) سرا ؟!



نعم . لقد هزمنا !

الى الاستاذ الذي كتب اليّ فلم أعرف اسمه ، ولكن نمّ أسلوبه على فضله :

نعم . لقد هزمنا في فلسطين . ولكنها لم تهزم فينا الاّ الأخلاق التي فبسناها من غيرنا ، وتركنا لها أخلاقنا ، ما هزم الاّ التردد والاختلاف ، والثروة والكلام الفارغ ، واشار الزعماء مصالحهم على مصالح الامة ، واتخاذ الانكليز والاميركان أولياء . أما سلائق العروبة ، أما خلائق الاسلام ، أما الأثر الذي تركه محمد صلى الله عليه وسلم في عروقتنا . معشر العرب ، وصبه في دمائنا ، فلم يهزم ولن يهزم أبداً .

وان لكل أمة أياماً لها ، وأياماً عليها ، وليس العار أن يغلب البطل ، ولكن العار أن يجزع من الغلب ويرضاه ، ولا يعاود الكفاح ، ولقد مر علينا في تاريخنا مصائب أشد هولاً ، لقد قامت في هذه البقعة من فلسطين دولة أقوى من هذه الدولة الكسيحة ، دولة زحفت أوربا كلها لتقسيمها وتحميها ، فعاشت أكثر من مئة سنة فأين هي اليوم ؟

هدمها رجل واحد اسمه صلاح الدين ، فذهبت ... حتى أن أكثر القراء لم يكن يدري بها ، قبل أن يسمع مني الآن خبرها .

فلا تجزعوا كثيراً من ضياع فلسطين ، بل اجزعوا من المصيبة التي هي أكبر من ضياع فلسطين ، ومن ضياع بلادالعروبة كلها سلا أذن الله أتدرون ما هي ؟ هي أن تخسروا ايمانكم بأنفسكم وماضيكم ، وان تفقدوا كبرياءكم ، وتنسوا عزتكم ، وتجهلوا مكانكم في هذه الدنيا . تلك هي المصيبة حقاً ، ولن تكون أبداً ، ولئن داخل الضعف نفوساً

قد اكتملت وشاخت في ظلام الماضي القريب ، فيكون من هؤلاء
الاطفال ، شعب نشأ في نور الاستقلال ، وستلهم دمه ذكريات عشرة
آلاف معركة مظفرة ، خاضها الجدود ، وسيخرق صياخ أذنيه ، نداء
عشرة آلاف بطل ، أنجبهم الجدود ، وستدفعه الى ميادين التضحية
والبذل ، حتى يظهر أرض الوطن من اسرائيل ، ويفسل بالدم هذه
الصفحة ، التي كتبها في تاريخنا التردد والتخاذل والانقسام ، وحتى
يعيد مجد الماضي ، فيقرأ الطلاب في المدارس بعد حين ، خبر هذه الدولة
التي قامت يوماً في فلسطين ، باسم دولة اسرائيل ، كما نقرأ نحن اليوم
خبر الدولة التي أقامها من قبل جموع الصليبيين .
ومن شك في هذا : لم يكن عربياً ، ولم يكن مسلماً .



تلميذي البار

ليس شيء في بلاد الناس أسهل من الشراء : يدخل الرجل المخزن ، فيرى البضائع المعروضة ، وعليها أثمانها ، فيختار ما يشاء ، ويدفع الثمن ويمضي ، ولو جاء من بعده أمهر الناس ، ما استطاع أن يأخذ بثمان أقل ، ولو جاء أغفل الناس ، ما أعطي بثمان أكثر ...

أما الشراء في بلادنا فهو معركة ، تحتاج الى أسلحة شتى ، من الكذب ، والحيلة ، واليمين الكاذبة ، والكر والفر ، والذهب والرجوع ، ومعرفة أجناس البضائع ، وتحتاج بعد ذلك الى مفاوضات دبلوماسية ، أصعب من المفاوضات التي لا نهاية لها بين الدوليين والشيوعيين في كورية .

لذلك عودت نفسي أن لا أقف على بائع ، ولا أشتري بنفسي شيئاً ، لا اللحم ولا الخضرة ولا الثياب ولا الاثاث ، وانما أبعث من يشتري لي ، وإذا أنا خالفت عادتي ، واضطرت الى شراء شيء ، رجعت في كل مرة بقصة من أعجب القصص .

من ذلك

اني دخلت من أمد قريب دكاناً في سوق الحميدية ، مع صديق لي ، يحب أن يشتري قماشاً لأهله ، فتلقاني صاحب الدكان مسلياً ومعتظاً ، وأهوى لتقبيل يدي ، لاني - كما يقول - أستاذه وصاحب الفضل عليه ... أهلاً وسهلاً بسيدنا يا مرحباً ، من علمني حرفاً كنت لعمري ... قل لي ماذا تأمر يا استاذ لأخدمك بميوني ؟

ولم أكن أمر بشيء ، ولكن هذا المدح وهذا التعظيم ، وأن الرجل

سيخدمني بعيونه . قد حذر أعصابي . كما يخذل صيادو الهد بعض
الوحوش الكاسرة بأنعام الناي والانسان ممتور على محبة الشاء
فطرت فاخترت لونا من الحرير أعجبي . فسألته عن ثمنه ؟

وصحك وقال ، أي ثمن ؟ مهلك يا أستاذ .

فحسبت أنه سيهدي الي . وحلفت أنه لا آخذ الا بالثمن . ولكن
أطلب أن يبيعي بربح قليل .

— قال : برأس ماله .

وراح يحلف بدمته ودينه وأماته وشرف آباءه وعظام أجداده .
وما لا أذكر الآن من الإيمان أنه لا يبيعي الا برأس المال .

وكان في داري خمس سوة وثلاث بنات . فشريت بهن جميعا .
وبلغ الثمن قريبا من ثلث الراتب

. وذهبت الى الدار . فقال النساء : بكم اشتريت ؟

— قلت : حزن .

— فبن : بالله عليك الا ما قلت .

فأخبرتني بأن الرجل تلميذي . وقد خدمني بعيونه ، فباعني برأس
المال وهو كذا .

— فبن : لقد راد عنيك ثلاثين في المئة .

— فبن : مسحيل .

— فبن : ما قولك ان ذهب فلانة الآن (صديقة له) فحارب
بالقماش نفسه بحسم ثلاثين في المئة ؟

— فبن : أنا أجمع الثمن .

وذهبت من فورها الى الدكان التي اشترت منها ، ورجعت بعد ساعة ، وقد أخذته بثلي الثمن الذي دفعته أنا ... لتلميذي البار ، الذي حلف أنه لا يبيعني الا برأس المال !

* * *

ولا أكمل القصة ، ولا أريد أن أعلق عليها ، ولكن أؤكد للقراء بأنني لم أزد فيها ، ولم أبالغ ، وأن من لقيني وسألني دلتته على هذا :
« التليذ » !

* * *

ادب الاطفال

رأيت اليوم في يد صديق لنا ، من كبار موظفي وزارة المعارف ، مجلة مدرسية فأخذتها من يده أرى ما فيها ، فوق نظري أول ما وقع ، على قصة مصورة لرجل احتال على صاحب السينما ، ليدخل ولديه مجاناً ، فأخفاهما تحت معطفه ، فنظرت في اسم صاحبها ، هل هو مجنون افلت من (القصير) ، حتى يوجه الاطفال الى الغش والسرقة في المجلة ، التي ينشأ أمثالها للتوجيه الى الخير والأمانة ؟ فإذا على غلافها أسماء جماعة من المعلمين والتلاميذ ، وإذا هذه المجلة وأمثالها توزع على التلاميذ بالثمن العالي ، من وراء ظهر وزارة المعارف ، ليقرووها في الصف ، فإذا خرجوا منه ، وأرادوا ان يقرؤوا شيئاً من (أدب الاطفال) ، لم يجدوا الا كتب الكيلاني ومجلة السندباد ، وهي مملوءة بأخبار الجن والعفاريت ، والفيران التي تتكلم ، والحمير التي تفهم ، والفيلة التي تطير ، وما يبعد الطفل عن الواقع ويدنيه من الجنون ، ويملا رأسه خيالات وأوهاماً . فإذا كبر التلميذ ذهب الى السينما ، أو قرأ المجلات الاسبوعية ، وروايات الجيب ، فلم ير في ذلك كله الا حكايات أرسين لوبين ، وأخبار المشق والقرام ، وما يضعف الخلق ، ويقوي الشهوات والمطامع . فإذا ترك المدرسة ، وذهب الى البيت ، وجد أمه تكذب على أبيه ، فتذهب الى السينما ، وتحلف له أنها كانت عند أختها . ووجد أباه ، يكذب على أمه ، فيقسم لها أنه تأخر في عمل ضروري ، وما تأخر الا في الملهى . وتسرق الأم من مصروف البيت ، لتنفق على ثيابها وزينتها ، ويشتيق الأب على عياله ، لينفق على لهوه ومتعته ، ويختصم الوالدان كل يوم ،

وتبادلان شر الشتائم ، وان كانت الأسرة كبيرة العدد ، كان فيها حزبان متعاديان ، يكيد كل للآخر ويدس عليه ، ويحاربه سرا وجها .
فجعلت أفكر في هؤلاء الاطفال المساكين ، كيف يكونون رجالا صالحين ، ذوي ارادة وعزم ، وفهم للواقع ، وحب للاتحاد ، اذا كانت المجالات المدرسية التي تنشأ لتوجههم الى الخير والفضيلة ، انما توجههم الى الغش والاحتيال ، والكتب الادبية تبعدهم عن الحقائق وتقربهم من الاوهام ، والروايات المقروءة في الصحف والمرئية في السينما ، لا تعلمهم الا السرقة والضرب والقتل والاجرام ، وكانت المنازل مدارس للكذب والبذاءة والاختلاف والفساد ؟

ولماذا تعاقب المدرسة الكاذبين السارقين من الاولاد ؟ ويعاقب المجتمع المجرمين الجائنين من الناس ؟ اذا كنا لا نربي الاطفال الا على الكذب والسرقة والعدوان ؟



هكذا فاصنعوا لهن

قدمت على عمر امرأة ، كأنما قد ركب بين كتفيها القمر ، يشع من عينيها السحر ، ويرشف من شفتيها الخمر ، ومعها شاب قد طال شعره ، وتشعث ، وركبته الاوساخ ، ولم يمسسه الماء ولا يد الحلاق منذ شهره ، وله لحية كشعر القنفذ ، وأظافر سود طوال تغشى من قذارتها عين رائيها ، وعليه ثياب بالية ممزقة ، لا يعرف لها شكل ولا لون ، وتقتل برائحتها من بعد عشرة أمتار ...

— فقالت : يا أمير المؤمنين . هذا زوجي وابن عمي ، وأنا لا أريده ،
ففرق بيني وبينه .

— قال الرجل : زوجتي يا أمير المؤمنين وعرسي من شهرين اثنين ،
لم ترفع معالم العرس ، حتى جاءت تسأل الطلاق من غير ذنب جنيته ،
ولا حدث أحدثته .

— قالت : ما أساء الي ، ولكنني لا أريده .

— قال عمر : تعالي غداً .

وأشار الى غلامه ، فذهب بالرجل الى الحلاق فأخذ من شعره ،
والى الحمام فغسله وقص أظافره ، وألقى عنه هذه الاسمال البالية ،
وألبسه ثياباً جديدة نظيفة ، وجاء به من الغد ، وقد خلق خلقاً جديداً ،
وعاد رجلاً آخر ، وبدأ شبابه وجماله وصحته ، فغضت المرأة بصرها
عنه ، لأنها لم تعرفه ، فحسبته رجلاً غريباً فأوماً اليه عمر أن خذ بيدها ،
قلما مسها وثبت كاللبؤة الغضبي ، وتورد من الحياء والغضب وجهها ،

وتترب^(١) يدها مه وقالت :

— ابتعد أيها الفاسق ، أنهجم عليّ بين يدي أمير المؤمنين !

— فقال عمر : ويحك هذا زوجك .

ف نظرت إليه محدقة كأنها لا تصدق عيبه . وترددت لحظة ... ثم رمت بنفسها بين يديه وهي تسكي .

وانصرفا راضيين .

قال عمر : « هكذا فاصنعوا لهن ، انهن يحبين أن يتزينوا لهن . كما تحبون أن يتزين لكم » .

* * *

ولو أن هذه البيوت التي خرّ بها الخصام ، ونفّص عيش أهلها . وشرد بنيتها ، لو أن كل امرأة فيها ، لم تقابل زوجها إلا مستعدة له استعدادها لمقابلة صديقاتها ، ولم تلقه بوجه كالح ، وشمر منقوش . وثياب وسخة ، تفوح منها روائح المطبخ ، ولو أن كل رجل ، لقي امرأته بمثل ما يلقي به أصحابه ، لم يقابلها بالشعر المشعث ، ولا بوجه عابس . لعادت الحياة الزوجية مثل (شهر العسل) : كلها حب وود وسلام .

* * *

(١) النثر من العاصي الفصيح

الزواج بالاجنبيات

كنت في زيارة أخ لنا عاد من أمريكا ، فقدم اليها امرأته التي عاد بها من هناك ، وآثرها على بنات الوطن ، فنظرت اليها ، فاذا هي ليست بذات جمال ، وكلمتها فاذا هي ليست بذات ذكاء ، واذا هي امرأة كالنساء ، فجعلت أفكر فيه : ما الذي أغراه بها ؟ حتى قطعها من منبتها ، وزرعها في غير أرضها ، وقطع بها البحار ، وجاب القفار ، وسار بها نصف محيط الارض ، كأنها هي فتنة الدهر ، وكان لها خفة (ريتا هيوارث) وصوت (أم كلثوم) ، وعقل (مادام كوري) ، وأدب (مي) ، وكان سورية خلعت من النساء ، فليس في كل بيت فتاة أو فتيات هن أجمل منها جمالا ، وأحد ذكاء ، وأحسن خلقا ، وأحلى منلقا .

ما هذه البدعة التي انتشرت في الشباب : لا يذهب أحدهم الى ديار القوم ، ليحيى بشهادة في يده ، الا جاء بامرأة تحت ابطه ، بامرأة غريبة هنا ، لا لسانها لساننا ، ولا عاداتها عاداتنا ، ولا هواها الوطني هوانا ، فزاد بها بنات الوطن كسادا ، وزاد الاخلاق بهذا الكساد فسادا ؟ وكيف نرد عنا كيد الفرنسيين ، والانكليز ، والاميركان ، والروس ، وكل أمة تكيد لنا ، أو تطمع في بلادنا ، ان كانت بنات هذه الامم هن ربات بيوتنا ، وهن أمهات أولادنا ؟

وما للجمعيات النسائية التي ألقت للدفاع عن المرأة ، لا تدفع عنها الخطر الأجنبي ؟ وهل نضع القوانين الاقتصادية لنحمي منتجات بلادنا من مزاحمة المصنوعات الاجنبية ، ولا نسن القوانين الاجتماعية لحماية بناتنا من مزاحمة بنات الاجانب ؟

وما لنا لا نفهم الشباب أن أحسن نساء الارض نساؤنا ، أي والله
وأين مثلهن ؟

أين في غيرهن المرأة التي لا تعيش الا للرجل تشقى ليسعد ،
وتتعب ليستريح ، وتجوع ليشبع ، وتدع لذتها لضمان لذته ، وتذهب
صحتها لحفظ صحته ، ان مرض تركت لتريضه طعامها ومنامها ، وان
أضاق باعت لأجله حليها وثيابها ، لا تنظر الى غيره ، وان نظر الى غيرها ،
ولا تميل الى سواه ، وان مال الى سواها ، وتفي له ، وان خانها ، وتبقى
على عهده وان حال عن عهدها ، ولا تترك بيتها واولادها ، وتفر مع
عاشقها ...

تعيش للرجل عمرها كله : لأبيها بنتا ، ولزوجها امرأة ، ولولدها أما ،
فهي أبداً لأب أو بعل أو ولد .

يا شباب ! ان نساءنا جواهر ، فلا يصرفكم عن الجواهر المر بريق
الزجاج . وانها قد تعلقو الجواهر الأوحال ، ويركبها الغبار ، ولكنها
ان مسحت برفق ، ومست بلين ، عاد لها بهاؤها ورواؤها .
فلا ترموا جواهر بلادكم ، لتلتقطوا زجاج البلاد الاخرى !!



الآن يا بنت ؟

الآن يا بنت ؟ الآن ١٩٠٠٠ بعد ما سفح الماء ، واحترق العود ، ومزق (الفشاء) ؟ تكتبين الي بدم القلب ، ودمع العين ، تقولين : تعالوا يا عقلاء ، ويا مصلحون ، خبروني ماذا أصنع ؟ وهل يقدر أحد أن يرد الماء الذي اندلق ، والعود الذي احترق ، و (الفشاء) الذي انخرق ؟ وهل رجعت لبنت "عذرتيها" ، بعدما فقدتها ، حتى تعود عذراء كما كنت ؟ فلا تطلبي المحال فإن الميت لا يعود
وانه قد بطل الخيار ، ولم يبق الا طريق واحد ، فانسى كل ما ذكرت لي من شرف أسرته وهوان عائلته ، وغنى آلك ، وفقر أهله ، وتوسلي اليه أن يتزوج بك ، فلعله قد بقي في قلبه شيء من شرف الرجل ، وعاطفة الانسان فيصلح ما أفسد .

أمّا أهلك فإن الأيام ستروضهم على الرضا بالواقع ، فيندمل مع الزمان الجرح ، وتذهب القطيعة ، ويطول بهم الفكر ، فيعلموا أنهم هم المذنبون ، وأنهم هم الذين ساقوك الى دكان الجزار ، وألقوا بك بين أنياب الذئاب عزلاء لا مخلص لك ولا ناص ، ولو أنهم نشؤوك على عادات العروبة ، وآداب الاسلام ، لما كان الذي كان . واعلمي يا بنتي ان قصتك مع هذا الشاب ، زميلك في المدرسة قصة كل بنت حواء مع كل ابن آدم ، يميل اليها ، وتميل اليه ، فطرة الله التي فطر الناس عليها ، لكنه يريد منها غير ما تريد منه ، انها (وهي التي تحمل وتلد) تريد أن يكون لها أبداً وحدها ، كما تكون له أبداً وحده ، تريد حباً باقياً ، لأن آثاره باقية فيها تنتقل من الرغبة الى الأمومة ، وهو يريد أن يقطف الزهرة ، ويجني الثمرة ،

ثم يوليها ظهره ، يبحث عن زهرة أبهى لونا ، وثمره أشهى طعما ، فالحب عندها استغراق ودوام ، وهو عنده لذة ساعة ، ومتعة نهار ، ثم انهما اذا أخطأ معا ، غفر المجتمع له خطيئته ، ولم يغفر لها خطيئتها أبداً .

من هنا جاءت شكوى النساء من خيانة الرجال ، ومن هنا حرم الله ، ومنع الشرف اقتراب الرجل من المرأة ، الا بعد أن تقيده بقيد الزواج ، لتلا يتبع فطرته وهواه ، فيقتضي أربه منها ويهرب منها . ان هذه القيود انما كانت لمصلحة المرأة ، ولكن من النساء من يحاول الخروج عليها ، والتخلص منها ، أفليس هذا عجيباً ؟

على أنك لو لم تشجعيه لما أقدم ، ولو لم تضعني عنه لما قوي ولو تصونت عنه بالحجاب ، وتمنعت عنه بالخلق ، ولو أن كل بنت كانت تحمل عقلها دائماً في رأسها ، لا تنساه في قصة غرام ولا ديوان غزل ، ولا على مقاعد السينما ، وكرامتها بين عينيها ، وتعرف كيف ترد عنها كل شيطان انسي ، يتنفي العدوان عليها بالكلام ، إن كان ممن يفهم بالكلام ، وبكعب الحذاء تخلعه وتنزل به على رأسه ، ان كان سفيهاً خبيثاً قليل الحياء ، لما فُتجت بعفافها فتاة .

فالامر في أيديكن يا بنات ، وان أفسق الرجال وأجراهم على الشر ، يخنس ويبلس ويتوارى ، ان رأى أمامه فتاة مرفوعة الهامة ، ثابتة النظر ، تمشي الى غايتها بجدة وقوة وحزم ، لا تلتفت تلفت الخائف ، ولا تضطرب اضطراب الخجل ، ولا تميمس ميسان من يقول : هاؤذا فمن يريدني ؟ وبعد يا بنتي فلا تيأسي ، فما في الذنوب ذنب غير الشرك ، يضيق عنه عفو الله ، ولا في الوجود مذهب يرد عن بابه ان جاءه تائباً نادماً منياً ، وان في عفو الله متسعاً لجميع العصاة (قل يا عبادي الذين اسرفوا على انفسهم لا تقنطوا من رحمة الله ان الله يغفر الذنوب جميعاً) .

صدق الله العظيم

* * *

هذا هو البيان

رأيت تشرشل (مرة) في السينما ، وهو يخطب غير محتفل ولا متحمس ، يكاد صوته لولا المكبر لا يسمع ، ويكاد يحسبه السامع لولا المنبر يكلم نفسه ، أو ينطق في نومه ، فلما أتم جملته اندفع الآلاف الذين يستمعون له يصفقون ويهتفون ، حتى خلت أذن السماء قد أرعدت ، وأن الأرض قد زلزلت ، وأن المكان قد انقض على أهله .

ولم أكن أفهم لسان الانكليز ، وأرى الله قد اختص بالفصاحة والبيان العرب أولا ، والفرس رابعا ، وليس بينهما ثان ولا ثالث ، فقمعت متعجبا من حماقة القوم وطيشهم ، ماذا أثارهم من هذا الكلام الرخو الضعيف ، وكدت أضحك ساخرا منهم ، لولا أن قرأت على اللوحة ترجمة الجملة التي قالها ، فأحسنت أن بدني كله قد انتفض فجأة ، كما ينفض الثوب ، وأن شيئا كالكهرباء مشى في أعصابي ، ثم صعد الى قعف رأسي ، وأن القوة قد صبت في مفاصلي وعضلاتي ، وأني أستطيع أن أصارع الأسد ، وأقحم الجدار ، وألوي الحديد ، فعلمت حينئذ ماذا أثار القوم ، وفهمت أي شيء حملت هذه الالفاظ القليلة ، وهذه اللهجة الرخوة ! حملت كلاما عظيما ، وأعظم ما استطاع أن يصنع البشر الكلام العظيم ، حملت كلاما من هذا الكلام الجبار ، الذي يبني دولا ويهدم دولا ، ويحول مجرى التاريخ ، ويتحكم في مصائر البشر ويصنع المعجزات .

الكلام الخالد الذي تفني القرون وتبديل الدنيا ، هو باق بقاء كلمات دموستين وهاني بعل (أنبيال) ، وخطب ابي بكر ، وعمر وعلي ،

وطارق ، وثابليون ، وسعد ، وبريان ، وهتلر ، وموسوليني ، وأولئك اللسن المصاقع ، الذي فعلت كلماتهم ما لا تفعل الجيوش ك (فيخته) الذي أنشأ ألمانيا الجديدة ، واقبال الذي أقام دولة الباكستان . هذا ... وقد قرأت ترجمة الكلام ، ولم أقرأ الكلام في بهائه وروائه ، وروعة بياحه .

وقلت في نفسي لماذا لا نخطب مثلما يخطب تشرشل ؟ لماذا يصرخ خطيبنا حتى تنقطع حنجرتة ، ويتحسس حتى يتفجر دمه ، ويقوم ويقعد ، ويشير بيديه ورأسه حتى تخور قواه ، ثم لا يأتي منه بعد ذلك الا كلام فارغ ، مثل رأسه الفارغ ؟

الى متى نحسب أن الخطيب هو الذي يتكلم بصوت مرتفع ؟ لا ندري انه لا يكون الخطيب خطيباً حتى يقول هذا الكلام العظيم ، الذي يسحر بقوة ، ويروى لبلاغته ، ويمحو من الرؤوس أفكار وعقائد ، ويضع في الرؤوس عقائد وأفكاراً ، ويقول مثلما قال محمد صلى الله عليه وسلم للأنصار الثائرين : ألا يرضيكم أن ينصرف الناس بالشاء والبحير وتنصرفوا بمحمد الى رحالكم . وكما قال طارق للجند المترددين : العدو من أمامكم ، والبحر من ورائكم . وكما قال هتلر للألمان لما قام هتلر : ان الحلفاء أرادوا أن يذلوا ألمانيا فقيدها بمعاهدة فرساي ، وأراد الله أن يمز ألمانيا ، فبعثني لأمزق قيود فرساي

متى نفرق بين الخطيب الحق ، وبين المجانين الذين يصمدون المنابر ، ليزعقوا ويصرخوا صراخ المجانين ؟

* * *

خبر من السيرة

في سيرة رسول الله صلى الله عليه وسلم خبر ، قرأته ألف مرة ، ولكنني ما اقتبعت له الا اليوم ، هو أنه لما أراد الهجرة الى المدينة ، خلف علي بن أبي طالب ، ليرد الودائع التي كانت عنده الى أصحابها ! !

الودائع ٢٠٠٠

كيف كان رجال قريش يستودعونهم أموالهم وتحفهم ، مع ما كان بينه وبينهم ؟

لقد كان بين محمد وبين قريش لون من ألوان العداء ، قل أن يكون له في شدته مثل ، هو يسهه دينهم ، ويسب آلهتهم ، ويدعوهم الى ترك ما ألفوه ، وما كان عليه آباؤهم ، وهم يؤذونه في جسده وفي أهله وأصحابه ، شردوهم الى الحبشة أولا ، والى يثرب ثانياً ، وقاطعوهم مقاطعة شاملة ، وجبسوهم في الشعب ثلاث سنين ... فكيف كانوا مع هذا كله يستودعونهم أموالهم ؟ وكيف كان يحفظها لهم ؟

هل يمكن أن يستودع حزب الشعب مثلاً أمواله رجالاً من الحزب الوطني ؟ هل يأتمن الحزب الديموقراطي في أميركا مثلاً عضواً في الحزب الجمهوري على وثائقه ؟

هل في الدنيا حزبان متنافران متناحران يودع أحدهما الآخر ما يخاف عليه من الضياع ؟

هل في تواريخ الأمم كلها رجل واحد ، كانت له مثل هذه المنقبة ؟

رجل يبقى شرفاً أميناً في سلمه وفي حربه ، وفي بغضه وفي حبه ، ويكون مع أعداء حزبه ، مثله في شيعته وصحبه ؟ وتكون الامانة عنده فوق العواطف والمنافع والاعراض ، وتكون الثقة به حقيقة ثابتة ، يؤمن بها القريب والبعيد • والعدو والصديق ؟

انها حادثة غريبة جداً ، تدل على أن محمداً كان في أخلاقه الشخصية، طبقة وحده في تاريخ الجنس البشري ، وانه لو لم يكن بالوحي أعظم الأنبياء ، لكان بهذه الأخلاق أعظم العظماء •



طلاق

أغلق دكانه محزون القلب ، منكسر النفس ، مما لقي من الخسارة في يومه ، ومشى الى البيت ... يأمل أن يجد من حب زوجته اياه وعطفها عليه ، ومواساتها له ، ما ينسيه آلامه ...

وأكملت أعمال بيتها ، مكدودة الجسد ، متعبة القلب ، مما نالها من عناء الطبخ والتنظيف ومداراة الاولاد (١) ، وقعدت تنتظر زوجها ، ترجو أن تجد من حبه اياها ، وعطفه عليها ومواساته لها ، ما ينسيها متاعبها .

فلما رآته داخلا كئيب الوجه ، فاطر التحية ، تأملت منه ، فأعرضت عنه ، ولما رآها قد أعرضت عنه ، سخط عليها ، وغضب منها ، وذهب الى غرفته ، ونزع ثيابه وهو يرتجف من الغضب ، واستلقى على فراشه ، ولكن جسمه كان مشدوداً ، كأن كل عصب منه وتر عود ...

وجعلت تدور هي في الدار ، والغضب يعصف بين جوانبها .. ومرت ساعة ، وحاسب نفسه وقال لها ، يا نفس لِمَ لا تنصفين ؟ ما ذنب المرأة ؟ أما تعبت نهارها كله ، وأزهقت روحها ، وأنهكت جسدها ، من أجلي ، ثم تزينت لي ، وقعدت تنتظرني ؟ وقالت لنفسها : لعله مريض ، أو مصاب بنكبة . أفما كان عليّ أن أسأله قبل أن أعرض عنه ؟

ورقت نفسه ، وارثقب أن تبدأ بالكلام ، فيصالحها . وانتظرت هي أن يناديها ، لتصالحه . فلما رآته لا يناديها ، عاودها الغضب . وجاء الولد يقول : ماما . جمعت .

(١) التعبير مع العامي الفصيح .

فاتعبر المكتوم من غضبها ، وصرخت به : اذهب من وجهي ، ألا
يكفي تعبني طول النهار ، أخدمة أنا في هذا البيت ؟ لو كنت خدامة
تقال لي أبوك ، أشكرك ، على الأقل .

وانسل الولد وجعل يبكي ...
وأحس الرجل ، كأن بكاءه يمزق أعصابه ، ولم يمد يده يطبق الاحتمال ،
فوثب كالمجنون وصرخ :

— الى متى هذا الخلق السيء الى متى أصبر عليك ؟

— قالت : أنا التي لم تعد تستطيع الصبر ؟

— قال : ومن الذي يتمسك بك ؟ اذهبي .

— قالت : آه ، سأذهب ، ما عدت ترى وجهي .

— قال : الى جهنم ...

— قالت : الى جهنم ! هذا جزائي بعد خدمتي لك ، وصبري عليك

عشر سنين ؟ الله يلعن الساعة التي عرفت فيها وجهك .

— قال ويلك ! الآن أطلقك .

— قالت : اي طلقني بقي ، وخلصني .

— قال : طيب ، روحي طالقة !

(طبق الاصل)



علاج الخصام

أعرف رجلاً دائماً الخصام لزوجته ، لا تمر ساعة عليهما في صفاء ، ان قالت : نعم ، قال : لا ، وان قالت : لا ، قال : نعم ، وان رأت الشيء أسود رآه أبيض ، وان رآته أبيض رآه أسود ، يختلفان على الطبخ والكنس ، وفرش الغرفة ، ووضع المائدة وتربية الولد ، وتسليك الخادم ، ولا تراهما الا في معركة ، قد تحفز كل منهما واستعد وشعر ، وقعد لصاحبه بالمرصاد ، لا يصبح عليهما صباح الا فلنا أنه آخر يوم لهما ، وانه يوم الطلاق ، ولا يسمي مساء الا حسباً أنها آخر ليلة ، وانها ليلة الفراق ...

... وكان صديقي . فقلت له : أسمع مني ان قلت لك ؟

— قال : ماذا ؟

— قلت : عندي دواء لكما ، ان ألت تجربته ، أحل السلام بينكما

محل الخصام ، والحب مكان الحرب

— قال : ما هو ؟

— قلت : انكما مثل الجنديين المتعادين في المعركة ، يتمنى كل منهما

الأمان ، ويتغني السلم ، ولكنه يخاف ان ترك سلاحه أو فام أن يضربه

الآخر ، فلا يزال سهران مستمداً للقتال ، ولو أن واحداً منهما أعطى

الآخر الأمان ، لنام الاثنان ، فهل لك أن تذهب الى زوجتك فتقول لها ،

انني عزمت على ألا أغضب أبداً مدة أربع وعشرين ساعة ، ولا أؤنبك على

شيء عملته أبداً ، ولا أمنعك من شيء تريدين عمله ...

— قال : انها اذن تقلب المنزل رأساً على ذنب ، وتفسد كل شيء .

— قلت : لا بل تصلح كل شيء ، وسترى ا
وجادلته حتى قبل ، وعاهدني على أن يظل مبتسماً اليوم كله .
وكانت أول النهار حذرة ، تحسبها إحدى مكائده فلما رآته هادئاً
طلق الوجه ، حسن العشرة ، أمتته فألقت سلاحها ، ولبست له أحسن
حالاتها ، ومر اليوم كأنه من أيام الجنة ، حيث لا صخب ولا نصب ولا
عناء ، وأغراها ذلك بإعادة التجربة مرة ثانية .
ولقد مضى عليهما الآن أكثر من عام ، ما اختصما فيه ، ولا اختلفا ،
ولا فارق دارهما السلام .
فهل في القراء ، من يجرب هذه التجربة ؟



جواب

لا يا أستاذ ! لا والله ! ... ليس الشعب العربي ولكن رؤساءه وقادته . هم الذين أضاعوا فلسطين لا الشعب ، وهم الذين أخطؤوا أو أجمروا لم يجرم الشعب .

إنّ هذا الشعب العربي "أطيب شعوب الأرض ، وأصفها جوهرًا ، وأدناها إلى الخير ، وأسرعها إلى البذل .
إن هذا الشعب يلبي كل داع يدعو إلى (التضحية) لا يتأخر ولا يتردد .

قم في أي بلد عربي ، ثم ادع باسم الأرض ، أو باسم العرض ، أو فادع باسم الدين ، ثم انظر ماذا يصنع الناس ؟
بل فكر في نفسك - أنت الأستاذ الهادي المسالم المنصرف إلى الدراسة والبحث - ماذا تفعل إذا رأيت ثلاثة من العتاة القساة الأقوياء ، الذين لا تقوم أنت لواحد منهم ، ماذا تفعل إذا رأيتهم يحاولون أن يعتدوا على عفاف امرأة ، وهي تنادي وتستغيث ؟ ألا تنسى عملك وهدوءك ، وضعفك عنهم ، وقوتهم عليك ، وتحس بمثل النار تمشي في أعصابك ، وتهجم عليهم ؟

هذا هو ارث الماضي فينا ، هذه هي ذكريات الأمجاد في أعصابنا ، هذه هي قوة الإيمان في قلوبنا .

إننا لا نستطيع أن نقعد إذا دعينا إلى الجهاد ، لأن معمدًا جعل كل رجل من أمته بطلاً على رغم أنه .

هذه يا أستاذ حقيقة ، من أنكرها وجد شاهدها في نفسه ، لكن

الشعب يتبع من يدعوهم ويمشي أمامه ، ورؤساء الشعب يقعدون على الموائد الفخمة ، فيأكلون حتى تمتليء بطونهم ، ويقومون فيخطبون ويحسون ، ويدعون الشعب الى الجهاد ، فاذا تعبت ألسنتهم من الكلام ، وصعدت أبخرة الطعام الى رؤوسهم ، ذهبوا فاضطجعوا ، يستمتعون بصور المجد الذي نالوه ، وأغمضوا عيونهم على خيال التصفيق والتهتاف ، وفاموا ... وخرج الشعب مستعداً للجهاد ، فلم يجد أمامه أحداً منهم ! هذا هو الذي وقع ...

ان الشعب يريد ممن يدعوهم الى البذل أن يبدأ بنفسه فيبذل ، وممن يدفعه الى الجهاد أن يمضي على رأس الصف الى ميدان الجهاد ، يريد زعماء يشاركونه نصاءه وبأساءه ، يجوعون معه ان جاع ، ويتعبون ان تعب ، يريد زعماء يقتدون بسيرة محمد وأبي بكر وعمر ، لا يكذبون ان خطبوا الناس ، ولا يدعونهم الى الموت ويطلبون لأنفسهم الحياة ، ولا يرغبونهم في العطاء ويفلقون صناديقهم على المنع ، ولا يضيعون مصلحة الامة ووحدتها من أجل عرش أو كرسي ..

يا استاذ هات لي زعيماً واحداً مثل هؤلاء ، وأنا أضمن لك أن تطرد بني اسرائيل من فلسطين بالعصي والخناجر ...

هات لي مثل صلاح الدين وخذ مثل نصر حطين ...

هات لي خالد بن الوليد أو واحداً من تلك العصبة الطاهرة ، وخذ

مثل ظفر اليرموك ...

لا يا استاذ ، اننا ما فقدنا سلاقتنا ، ولا أضعنا جوهرة ، ولكن فقدنا

القادة الصالحين .



سيده !

رأيت اليوم امرأة كأنها جبل من الشحم واللحم ، تميم لا كفصن البان ، بل كجذع السنديان ، على ساق أضخم من خصر انسان ، ومعها أجيرة رقيقة العظم ، نحيلة الجسم ، بادية السقم ، عمرها سبع سنين وتحمل ولداً للمرأة عمره ثلاث ، ولكنه صورة مصفرة لأمه ، يشبهها كما يشبه الفيل الصغير الفيل الكبير ، منفوخ نفخ الكرة ، لا يعرف طوله من عرضه الا بالحساب والجبر والمثلثات ، لا يحيط به ذراعها النحيل ، ولا ينهض به جسدها الهزيل ، وهي تخطو به تجر قدمها جراً من الاعياء ، وتلهث من التعب ، والمرأة تخطر متمائلة كأنها المحمل ...

ففكرت في أن أكلّمها ، وفتشت في ذهني عن الكلمات التي تصلح لها ، ولكنني رأيت رجلاً مكتهماً قد سبقني إليها وقال لها :

— يا ست ، (خطية) هذه البنت ، خذي الولد منها .

فوقفت الست ، ووضعت يديها في خاصرتيها ، ورفعت أنفها ثلاث أصابع ، ومدت شفتها أصبعين ، وقلبت وجهها حتى صار كوجه من شرب كأساً من زيت الخروج ، وصبت عليه من فمها سيلاً من ... أو ساخ اللغة ، وفضلات الكلام ... وهرب كل من كان في الطريق من قذارته ، وتتن رائحته

وهربت مع الناس ، فكتبت ما رأيت ، لأنشره (بلا تعليق) !



حمار يسوق سيارة

رأيت مرة دبا يركب الدراجة على المسرح ، ويمشي على ظهر كرة ، وشاهدت قرداً يلبس ثياباً ويخلعها ، وسمعت عن كلاب تحمل السلال ، وتعدو على السوق فتشتري الفاكهة ، وأبصرت في السينما خيولاً تفهم الكلام ، وتنقذ أصحابها من الأسر ، وكانت مجلة المختار تعقد في كل جزء منها باباً خاصاً لمظاهر الذكاء عند الحيوان ، وفي كليلة ودمنة أخبار من ذلك ، وفي الحيوان للجاحظ ، وحياة الحيوان للدُميري ، وعجائب المخلوقات للقزويني ، ولكن أعجب هذه الأخبار وأبعدها في الأغراب ، أن يسوق حمار سيارة ... وما كنت لأصدق ذلك ، لولا أن رأيته أمس بعيني ، وكاد يدعسني ، لا ... لا تظنوا أنني أمزح أو أتخيل ، الي - وحياتكم - لا أصف إلا ما جرى ...

كان حماراً شاباً ، عليه مخايل النعيم ، ومظاهر الدلال ، وكان منتفخاً مغروراً ، قد رفع أذنيه من الكبر ، ولوى ذنبه من الغرور ، وكيف لا يغتر الحمار إذا رأى نفسه مالك السيارة (البويك) صنع ١٩٥١ ، وبنو الشيخ آدم رحمه الله يمشون على الأرض ...

ولكن الحمار حمار ولو ساق السيارة ، وكان صاحب الآلاف المؤلفة ، لذلك ترك يمين الطريق وأخذ شماله ، وكان أمامه امرأة معها ولدان ، فلما صار وراءها أطلق زمرة توقف أهل الكهف ، فارتاعت المرأة ، ووثب الأولاد ، وجاءت سيارة من أمام ، تمشي على الطريق السوي ، فاضطرب الحمار السائق ، وصار يكبس أزرار السيارة بقوائمه الأربع ، فصعدت الرصيف ، وصدمت الرجل ، ثم دخلت دكان الخضري ...

ولم يستح كما يستحي من في وجهه ماء ، ولم يعتذر كما يعتذر
من في نفسه أدب ، انما نزل من السيارة ، وجعل ينهق في وجه الخضري
ويسبه باللسان الحماري ، لأنه لم يترك شوارع البلد كلها ويفتح دكانه
في هذا الطريق ، الا ليصدم السيارة ...



هذا هو المشهد الذي شهدت ، وشهده معي عشرات من الناس ،
وأنا مع تقديري لهذه البراعة في تدريب الحيوان على أعمال الانسان ،
أرجو ألا تأذن الحكومة لحمار ، بعد اليوم ، أن يسوق سيارة خاصة
على الطرقات العامة ...
ولو غضب من ذلك حضرات السادة الحميز ...



طريق النصر

هذه حادثة تاريخية وقعت لنا أيام كان هذا البحر المتوسط بحراً ،
نظك شطأكه ، ونحكم جزره ، ونطيف به من شرقه الى جنوبه ، وكان
لنا أكثر شمله : كان لنا جنوب فرنسا وأطراف إيطاليا ، ولنا صقلية
وقبرس ، وأقريطش (١) ، تمخر أساطيلنا العباب ، لا يردّها اسطول ،
ويخفق علمنا على البر وعلى البحر ، لا يزاحمه علم ...

وتتالت هجمات المسلمين من أهل أقريطش على الروم وغزواتهم على
سواحلها ، وغلبهم عليها حتى ضاق القيصر ذرعاً ، وحلف ليخرب
الجزيرة ولو أذهب اسطوله ، وأنفق خزائنه ، وأهلك جنده . وساق
عليها الخميس الحرم في الاسطول الضخم .

قال الكاتب البليغ احمد بن يوسف في (المكافاة) :

حدثني الحسن بن مسلم الاقريطشي ، وقد علت سثه حتى قاربت
المئة ، وكان صحيح التمييز ، سليم الحواس . قال :

... فوافى الجزيرة جمع لم يحط بأقريطش مثله أبداً ، ففزعنا
الى غلّقى الحصن ، وخرج الروم من المراكب ، ونزلوا البر ، وبنوا
المساكن ، وغلبونا على ميرة البلد ، واشتد الحصار ، وارتفع السمر ،
وتعد المأكول ، وزادت المكارة ، حتى أكل الناس ما مات من البهائم جوعاً ،
وأكلوا كل شيء يؤكل حتى نفذ الصبر ، فزموا على التسليم ...

هنالك قام شيخ فيهم صالح ، فقال : هل بقي لكم حول تنتصرون
به ، أو صبر تلجؤون اليه ؟ قالوا : لا ، وقد أجمعنا أن نفتح الباب لهم .

(١) قبرس بالسين واقريطش كريت .

قال : فاقبلوا مني ما أشر به عليكم ، اجتمعوا الناس كلهم في رحبة الحصن . فلما اجتمعوا قال : افصلوا صبيانكم من رجالكم ، ورجالكم من نسائكم .

ففعّلوا . فقال : احضروا الآن قلوبكم ، وتوبوا الى الله توبة من لا يجد ملجأ الا اليه ، وأخلصوا له اخلاص من لا يرجو فرجاً الا من عنده . ثم قال : عجبوا بنا الآن الى الله ، فمجبوا عجة واحدة ، أحسوا أن قد خرقت أصواتهم فيها حجاب السماء ، ثم قال : عجبوا أخرى ولا تستغلوا الا بالله ، وزهوا خواطركم عما سواه (١)

فلما زهوها عن غير الله يا سادة ، ورأوا الدنيا تصغر في عيونهم ، حتى تغدو كالعدم ، وتهون عليهم مسرات حياتهم ، وتهون عليهم قوى عدوهم ، وأحسوا أن قلوبهم قد عاد اليها الأمل ، حين عاد اليها الايمان ، وأنهم لا يحاربون بقوة سواعدهم ، بل بقوة ايمانهم ، قال لهم : افتحوا الابواب الآن وشدوا عليهم .

وشدوا . ووقف التاريخ مشدوها ، يروي كيف اقتلعت هذه الجماعة القليلة الجائعة ، جيوش الروم الكثيرة المتسكنة ، وكيف أقتلت الجزيرة ، وأعادت اليها الراية المظفرة ، التي عقدتها للعرب محمد صلى الله عليه وسلم ! ! !



فيا أيها القراء ، ان اشتد الخطب عليكم يوماً ، وضائق بكم السبل ، وأغلقت في وجوهكم أبواب الظفر في الارض ، فاذكروا أن باب السماء لا يغلق أبداً ، وأن صوت شيخ كريت ، لا يزال يهتف بكم في كل لحظة :
عودوا الى الله يُعبد لكم النصر .



(١) هذا هو النص التاريخي .

معلمة

قلل لي اليوم صديق أمضى أكثر عمره في فرنسة ، طالباً وكاجراً ؛
— هل تصدق يا أستاذ ، أن في دمشق من ألوان التبرج أشياء ، لو
كانت في باريس ، لانكرها أهل باريس ؟
— قلت : لا يا شيخ !

— قال والله ! وما أدافع عن باريس ، ففي باريس من بدع الفسوق ،
والأصناف الضلال ، ما يدهش إبليس ، ولكن فيها الى جنب الفسوق
أخلاقاً ، ومع بيوت الدعارة دور علم ، وفيها صبايا الهوى ، وفيها بنات
الأسر ، "فمن" شاء العلم وجدته فيها ، و"من" شاء الحرام وصل اليه .
— قلت : طيب . ثم ماذا ؟

— قال : اني مخبرك ، رأيت أمس في الترام فتاة يعبق العطر من
أردانها ، قوياً نفاذاً ، ينبه الغافل ، وينشط الخامل ، حتى يقبل عليها ،
وينظر اليها ، كأن في جيبها عشرة أجراس ، تلفت اليها الناس ، والأبيض
على وجهها والأحمر ، والشفقان كأنهما شفتا قطعة أكلت أولادها ، وأظافرها
كأنهما ... نسأل الله السلامة : مخالب مغموسة بالدم ، والكحل فسي
العينين ، وما لا أدري ما هو على رموش الجفنين ، والحاجبان صاراً عن
التف خطين .

— قلت : أهذا الذي ينكره أهل باريس ؟
— قال : لم تتركني أكمل حديثي ، انها معلمة يا صديقي ، معلمة
ذاهبة الى المدرسة ، لتدخل الصف بهذه الزينة وهذا الترف ، تعرض
ليهاها الغالية وزينتها على البنات ، فتكون قدوة شرّ لهن ، اذ أن كل

بنت تحاول تقليد مدرستها ، ولعل فيهن الفقيرات ، اللاتي يعجز آباؤهن
عن شراء مثل هذه الثياب ، فتتكسر قلوبهن ، ويسنود عيشهن ، ويكفرن
بنعم الله عليهن ، وقد كن من قبل راضيات مطمئنات ...

هذا الذي ينكره أهل باريس يا أستاذ ، انك لا تجد في باريس طالبة
ولا مدرسة ولا موظفة ، تذهب الى مدرستها أو ديوانها كأنها ذاهبة
الى عرس ، بل ترى الطالبات والمعلمات بهيئة الجدة وثياب الحشمة ،
والغانيات بلباس الفجور ، لا تستر البني بثوب الشرفة ، ولا تستعير
الشرفة زي الغاية ، ولا تذهب فتاة الى جلسة المحكمة بثياب الاعراس ،
ولا يدخل رجل الكنيسة بالمنامة (١) ولا السينما ببذلة (٢) الشغل .
يلبسون لكل حالة لبوسها ، فلا يخلطون باللهو بالعمل ، ولا الجدة
بالمزلة .

... أما نحن ... ما قولك فينا يا أستاذ ؟

فسكت (الأستاذ) ، ولم يجب بشيء .



(١) المنامة : البيجامة .

(٢) البذلة فصيحة .

سهر الاولاد

لي بنت مولعة بالسهر ، لا تستطيع أن تأوي الى فراشها حتى يدخل كل من في الدار فراشه ، ولا تقدر أن تغمض عينيها ، وفي المنزل أحد مفتوحة عيناه ، وقد جربنا فيها الأساليب ، وبلونا معها الحيل ، فلم ينفع معها ترغيب ولا ترهيب ، حتى أخذ ذلك من لون خديها ، ومن يرق عينيها وقال من صحتها

وسألت اخواني فوجدت أكثرهم يلقي من أولاده ، من كرههم للنوم ، وجههم للسهر مثل الذي ألقى منها ، ولم أجد عندهم دواء لهذا الداء ...

ففكرت ، فخطر لي خاطر .

فقلت لأم البنت : أنا أستطيع أن أحب الي بترك المنام واكرمه اليها السهر ، ولكن الدواء مر ، فهل تعديني ألا تأخذك بها رافة اذا أنا جرعتها هذا الدواء ؟

قالت : نعم .

ولم تكن لتخالفني في شيء ، ولكن أحبيت أن أتوثق ، ثم دعوت البنت ، فقلت :

— عنان !

— قالت : نعم .

— قلت : سهر الليلة ، فهل تحبين أن تسهري معنا ؟ ففرحت وأشرق وجهها ، وجعلت تنفخ من الابتهاج ، وتقول :

— اي بابا ، اي أرجوك يا بابا

— قلت : ولا تأخرين في القيام الى المدرسة صباحاً ؟

— قالت : لا ، لا والله ، جربني ...

— قلت : أسمح لك بالسهر ، لكن بشرط واحد ، فجزعت قليلاً ،

وقالت : ماهو ؟

قلت : ألا تنامي حتى أنام أنا .

فعاودها الفرح ، لما تتصور من سررات السهرة ومباهجها وقالت :

— قبلت

وامتدت السهرة ، وتعمدت أن أحشد فيها كل ما تحبه البنت من قصص حلوة ، وألأعيب ، وأثقال ^(١) ، حتى نمت وكانت تنام في مكانها ، ثم نامت ...

— فقالت أمها : لقد نامت أفأحملها الى سريرها ؟

— قلت : هيهات ، الآن بدأ العلاج ، فشدي أعصابك ، وصعدت

الى البنت فمزقتها حتى أيقظتها ، فاستيقظت مكرهة ، ومرت ربع ساعة ، فعادت الى المنام ، وعدت الى إيقاظها ، وتكرر ذلك حتى صارت تتوسل الي ، وتقبل يدي أن أدعها تنام ، وأنا أقول لها بدم بارد :

— لا ، السهر أحلى ، ألا تحبين السهر ؟ حتى قالت : لا ، لا أحبه ،

لا أحبه ، بدي أنام ، وانطلقت تبكي ...

وبرئت البنت من علة السهر ، من تلك الليلة !



(١) النقل من العامي الفصيح .

قصة فتاة

يحمل اليّ البريد كل يوم نحو عشر رسائل ، ما بين تعليق على كلمة كتبتها ، أو موضوع لكلمة أكتبها ، أو شكوى أو مظلمة ... ولكن لم أجد فيها كلها أبلغ بلاغة ، ولا أصدق لهجة ، ولا أفعل في النفس ، ولا أدعى للتفكير ، من هذه الرسالة التي تلقيتها أمس من الآنسة (التي لست أسميها) ...

وأنا أسرع فأقول ، اني عاجز عن تلخيص هذا الكتاب ، وأن هذه الخلاصة التي أكتبها ليست الا صورة مشوهة جداً للأصل البارع ، واني كنت أتمنى نشره كله ، ليرى القراء كيف يكون الكلام العامي الصادق الصادر عن القلب ، أبلغ من كل ما يرصف الادباء .

وصفت الآنسة منشأها في أسرة كانت محافظة ، ثم فشا فيها مرض التجديد ، ووباء التقليد ، فتمسكوا بكل حديث ، ولو كان الاختلاط والتبذير والرقص والفسوق ، ونبذوا كل قديم ، ولو كان الدين والعقل والفضيلة والاقتصاد ، وربوها على ذلك ، وكان لها أخ أرسلوه ليتعلم في ديار الغرب ، وأرسلوا معه صحته ودينه ومبلغاً ضخماً من المال ، فترك صحته ودينه هناك ، وعاد بلا مال ولا علم ولا شهادة ... وبقي بلا مورد ولا عمل ، فكان أبواه يعطيانه كل ما يريد ، لأنه « الصبي » الوحيد المدلل ، الذي جاء بعد ست بنات ، ويتركانه يلهو كما يشاء ، لا يسألانه عن مال أنفقه ، أين أنفقه ، ولا عن شيء فعله ، لِمَ فعله ؟

وكانت أقرب البنات منه سناً ، فكانت أشدهن عليه عطفاً ، تعيش له ، تحلب عليه ، وتفنى فيه ، وكان يسخرها لغاياته ولذاته ، حتى انها كانت

رسوله الى عشيقاته تصله بهن ، وتحرسه وهو محهن ، وترى وتسمع كل ما يراه ويسمعه من كان في مكانها ، وكان يوهما أن هذه هي المدينة وهذه هي الحضارة . وكانت تؤمن بذلك لما ترى من رضا أبويها به وسكوتها عنه ، وطال ذلك حتى تنبت في نفسها (الفرزة) التي وضعها الله فيها ، ومال قلبها الى واحد من أصدقاء أخيها ، مال اليها ، وتصادقا على عيون الاسرة وأسماعها ، فكان يأخذها الى التزهة فسي النهار ، والى السينما في الليل ، وينفرد بها وينضي ليها ليله ، وتلقي اليه بأسرارها ، حتى كان بينهما ما يكون بين كل رجل وامرأة ، اجتمعا على غير قرابة قريبة أو عقد شرعي .

هنالك قامت قيامة الاهل ، وغضب الاب (الشرف) ، وقار الأخ (البطل) ورموها بكل ما ترمى به المرأة الساقطة ، وهددوها بالذبح .. وهنالك كتبت الي " تسألني :

هل كانت هي المذنبه ؟ أليس المذنب أبوها الذي رباها على هذا ، وأخوها الذي أوصلها اليه ؟ هل كان في الامكان الا الذي كان ؟ هل تخرج الصخرة من رأس الجبل ، وتغضب ان بلغت الوادي ؟ هل تدلي النار من البارود وتمجب ان كان الانفجار ؟ هل من العدل ان يسقط الرجل فيقول الناس ، زلة شاب ! ثم يتوب فيقولون : مذنب شاب ! وتسقط المرأة ، فتسقط الى الأبد ، لا تقبل لها توبة ، وتفصل لها حربة ؟ .. ولم أدر بماذا أجيب !



موقف عالم

كان الطريق من القلعة الى الجامع الازهر مرصوفا بالناس ، فالتاس ، فالتاس ، فالتاس ، على جوانب الشارع ، وفي نوافذ البيوت ، وعلى الشرفات والسطوح ، قد برزت القاهرة الى الطريق فلم يبق في بيتها مخدرة ، ولم يبق في عمله طحل ، ونصبت الاعلام ، ونضدت الاوراد ، وأنسرت المشاعل ، واقتن الناس في الطرب اقتنائاً ، فزوقوا الازياء ، وعددوا الالعب ، وأكثروا الأغاني ، فكان الأرض رقعت من فرح ، وغنت من سرور ، حتى قيل جاء الموكب ، فطارت الكلمة على الافواه ، وصمت الالسة ، وامتدت الرؤوس ، وتطلعت العيون ، وبدأت طلائع الركب ، وجاز الملك على رأسه المظلة ، وحوله القواد بساطق الذهب ، وتيجان الدر ، سيوفهم مسلولة ، ورماحهم مشرعة ، والشمس تسيل على تلك البيض وهاتيك الالسة ، فيخيل للرائي ان الملك انما يسير في موكب من النور ... وانكفأت هذه الخلائق كلها وراعه ، حتى وصل الازهر ، وملا الناس صحنه الرحيب ، وساحته الفيحة والطرق من حوله .

وترجل الملك فالتفت له الرؤوس ، وخشمت الاصوات وجبت الانفاس ، واذا بصوت جهنوري يخرج من صف المشايخ ينادي الملك باسمه يقول : يا أيوب !

وبتلفت الملك واذا بالتكلم الشيخ عز الدين بن عبد السلام .
— قال : يا أيوب ما حجتك عند الله ان قال لك : ألم أبوي لك مصر ثم تبيع الخمر ؟
— قال : وهل جرى ذلك ؟

— قال : نعم ، الحانة الفلانية يباع فيها الخمر ، وأنت تتقلب في
نعمة هذه المملكة ؟

بناديه بأعلى صوته والمساكر والناس صامتون !

— قال : هذا أنا ما عملته ، هذا من زمان أبي .

— قال : أنت ممن يقولون : « انا وجدنا آباءنا » ؟

فأمر الملك برفعها .



واقضى الموكب وما للناس حديث الا حديث الشيخ ، ولما رجع
الشيخ الى مدرسته الصغيرة ، قال له تلميذ له عزيز عليه هو الشيخ
الباجي :

— يا سيدي ما هذا الذي صنعت ؟

— قال : رأيت السلطان في تلك العظمة ، فخفت عليه الهلاك من

الكبر ، فأردت أن أصغر عليه نفسه ، وأعينه عليها ، ولا يكون العالم
عالماً ، يا ولدي ، الا اذا علم انه كالطبيب ، فالطبيب تزداد الحاجة اليه
كلما اشتد على الناس مرض الجسم ، والعالم يحتاج اليه كلما قوي في
الملوك مرض النفس .

— قال : وما مرض النفس ؟

— قال : العظمة يا ولدي ، فمن لم ينصح الملك يوم يشتد سلطانه ،

وتقوى نفسه ، ويبين له طريق الحق لئلا يجانبه ، وسبيل الخير لئلا يضل
هنه ، لا يكون عالماً ، انما العالم لمثل هذا اليوم .

— قال : يا سيدي ، أما خفته ؟

— قال الشيخ : يا بني استحضرت هيبة الله فصار قدامي مثل

القط (١) .



(١) هذا هو النص التاريخي لكلام الشيخ — انظر (طبقات السبكي) .

يؤمنون بالحمار !

وليس هؤلاء الذين يؤمنون بالحمار من بقايا المشركين الاولين ، الذين يكفرون من جهلهم بالله رب العالمين ، ويؤمنون بالجبّات والطغوت ، ولا التراعنة الاقدمين عباد العجل ، ولا من اخوان البوذيين الذين يؤمنون بالبقرة ، ولكنهم قوم من المسلمين ومن كبار الادباء الشاميين ، نظروا فحاروا للحمار مزايا وفصائل ، ليست لهذا الانسان ، الذي يؤمن به أخي وصديقي الاستاذ عبد المنعم^(١) ، فهو لا يكفر بالله ، ولا يصعد بلسانه الاله الذي خلق له هذا اللسان ، كما يفعل الانسان ، ولا يناق ويتخذ له وجهين ، ولا يثير الحروب على اخوانه في الحماريّة ، ولا يعرف جريمة القتل ، ولا رذيلة الاتحار ، ولا تشغله شهوته عن واجبه الحماري كما تشغل بني آدم ، ولا يفكر في الأتان (أي الحمار) الا مرة واحدة في السنة ، ليقوم بقسطه من فضيلة العمل على بقاء النوع ... ولا ينحرف بغيرته عن طريقها ، ف (يقترب ...) من حمار مثله ويدع جميلات الأثن ، ذوات الغدد الأسيل ، والذئب الطويل ، والساق النحيل ... كما تنحرف غرائز بعض بني آدم .. ولا تتبرج اناثه التبرج المغري ، ولا تعرف البغاء الرسمي في (المحلات العمومية) ، ولا البغاء الطليق على (البلاج) ، ولا البغاء الفني في السينما ، والمجلات المصورة ...

ولم يشاهد أتاناً ترقص رقصاً خليعاً ، ولم يسمعوا حماراً يغني غناء (حديثاً) ، مع سهولته عليه ، وانه لا يكلفه الا أن ينهق نهيقاً من بحر جديد مبتكر ، ورأوه مع ذلك صابراً على ما قدر عليه ، راضياً بما قسم

(١) انظر كتاب « أؤمن بالانسان » للاستاذ عبد المنعم خلاف .

له ، لا يستغل أيام الحرب ، ليسرق شعير اخواته الحمير ... ولا يفش ، ولا يرتشي ، ولا يخون ، ولا يعرف المكر ، ولا الحسد ، ولا يتظاهر بالدين ليصل الى الدنيا ، ولا يتخذ العمل في المصالح العامة سلكاً الى المناسب ، وهو يطيل التأمل ، ولكنه لا يؤذي أبناء جنسه بتدوين فلسفته ، ويأتي حين يصوت بحججات وصيحات لها في موسيقى الحمير جمال ، ولكنه لا يكذب فيدعي أنه من كبار الملحنين ، ويحيى بالبلاغة العمارة المحدثه ، ولكنه لا يزعم أنه مجدد في البلاغة كما يزعم بعض مشايخ بني آدم (١) ، لئلا يقال له : اخرس ، فما تجديدك هذا الا ليعيق !

وأوا ذلك فآمنوا بالعمار ايمان تقدير وتفضيل ، لا ايمان دين وعبادة ، فآلفوا منذ ثلاثين سنة (جمعية الحمير) ، وجعلوها سرية لأن الناس لم يستعدوا لفهم هذه الاخلاق العمارية ، وتقدير أهلها ، وكيف ولا يزال الواحد منهم اذا شتم آخر ، قال له من غروره وحماقته : يا حمار !

وقد خرج من هذه الجمعية رئيس وزارة ووزيران ، وخمسة من أعضاء المجمع العلمي العربي ، وكان يعطف عليها ملك عربي عظيم ، ويصني مستعماً الى حديثها . والاتساب اليها صعب ، لا بد فيه من ترشيح ثلاثة من الاعضاء ، وتقديم أطروحة في سرد مزية للعمار لم تعرف ، وبعد مناقشتها (علناً) يقبل الطالب ، ويسلم الى أحد الاعضاء لتعليمه على طبائع الحمير ، ثم يثبت عضواً أو يرد . ولأن يصير المرء وزيراً أو أستاذاً في الجامعة ، أهون من أن يصير عضواً فيها .

ولهم اشارة يتعارفون بها ، هي التي سرقها منهم تشرشل فعنت الارض ، وهي الاشارة بالسبابة والوسطى الى أذني العمار لا الى ال (فاه) من (فيكتور) ! ولهم اصطلاحات في كلامهم خاصة بهم ،

(١) انظر كتاب « فن القول » للشيخ أمين الخولي .

منها أنه إذا دعاهم كبير جاهل ممن يحب أن يجعل بالأدباء مجالسه ،
قالوا : هلم نذهب الى المطف

وإذا وصفوا غناء فريد الاطرش (مثلاً) قالوا : ما أجمل هذا
التميق ... وإذا رأوا على غني من أغنياء العرب ثوباً جميلاً قالوا :
ما أحلى هذه البرذعة ... وإذا شاهدوا داره ، قالوا : ما أفخم هذا
الاصطبل ... وللجمعية درجات رفعوا بعضها فوق بعض ، فأعلاها
اليحافرة نسبة الى يعفور حمار النبي صلى الله عليه وسلم ، فالسيارون
نسبة الى حمار أبي سيارة ، الذي أجاز عليه الحجاج من المزدلفة الى
منى أربعين سنة ، وكان يشق الناس ويقول :

خلفوا الطريق لأبي سيارة وعن مواليه بني فزاره
حتى يجيز سالكاً حماره مستقبل القبلة يدمو جاره

فقد أجار الله من أجاره

ولهم علم وأدب ، وهم يفضلون بشاراً على الشعراء ، لأنه توصل
بعدة ذهنه ، وشدة ذكائه الى التناول بأذان على لسان حمار ، ويقدمون
خالد بن صفوان والفضل بن عيسى الرقاشي ، لأنهما كانا يختاران ركوب
الحمار على ركوب البراذين ، ويدافعان عنها ، ويشتون على من ألف
(خواطر حمار) ومن ترجمه ...



الهاتف الآلي (١)

الهاتف خادم أمين ، وصديق وفي* ، وهو الطبيب ان مرضت ،
تكلمه فيأتيك بالطبيب ، وهو الدواء ان شكوت ، تخبره فيجيتك بالدواء
والقابلة عندما تفاجيء الولادة ، والشرطي عندما يقتحم اللص ، وهو
البرد والسلام ان نشب الحريق ، وهو الأيس ان كنت في وحشة ،
والمسلي ان كنت في ضيق ، فهو اسعاف وانجاد ، وتسلية وأنس ، وهو
الرسول الى الحبيب ، ان شاقك لقاء الحبيب ...

هو خادم أمين ، وصديق وفي* ، ولكنه خادم أحق ، وصديق
مجنون ، يدخل الغليظ الى غرفة نومك نصف الليل ، فيوقظك ، ليزعجك ،
بحديثه البارد ، ويدخل الثقيل الى مكتبك ساعة عملك ، ليشغلك بكلامه
الفارغ ، ويأتيك بالجيران يهجمون عليك في خلوتك ووقت راحتك ،
لا لاستدعاء الطبيب لمريض خطر ... ولا للدعوة الشرطي لمجرم سفاك
بل ليتحدثوا تافه الاحاديث ... وتسلاوا ويبددوا الوقت ... باللت
والمجنن (٢) .

وهو بعد ذلك رقيب ثقيل ، يعد عليك أنفاسك ، ويحصي أنفاسك ،
فان تكلمت أكثر من خمس مرات في اليوم غرمك على كلامك المباح مالا ،
وهو تاجر طماع ، لا يقيم عندك الا بفاحش الأجر وتقبل الغرم : بمئة

(١) من كلمة نشرت يوم الاحتفال بتركيب الهاتف الآلي .

(٢) اللت والمجنن من العامي الفصيح .

وعشرين ليرة في السنة ، وهو جاهل لا يفرق بين المنزل الذي يستعمل هاتفه للضرورة ، والمتجر الذي يستعمل هاتفه للربح ، وهو جائر يدخل بيوت الموظفين المدللين ليتسلوا به هم وزوجاتهم وأولادهم ، ويفر من مكاتب موظفين آخرين يحتاجونه لضرورات العمل ومصالح الناس ، فإذا أردتم أن نحصل على نعم (الهاتف) ، ونخلص من نقمة ، فعلموا الناس أصول الحديث فيه ، وسلوا الحكومة أن تخفض الأجر ، وترفع عدد الكلمات ، ولا تعامل المنازل معاملة المتاجر ، ولا تجعل بعض الموظفين كالأولاد المدللين ...



ماهية التقديمية

ما هذه التقديمية التي صغر النطق بها (موضة) للعصر ، وعلامة التمدن والتعم ؟
هل يتكرم أحد فيعرفها لنا تعريفاً جامعاً مانعاً ، فيكون له الاجر والشكر ، أم ان (التقديمين) مثلنا نحن (الرجعيين) لا يعرفون لها تعريفاً ، ولا يدرون لها معنى محدوداً ؟



والذي أقصه أنا ، ان التقديمية مشتقة من (التقدم) والرجعية من (الرجوع) فالذي يمشي الى الامام هو التقدمي .. والذي يرجع الى الوراء هو الرجعي ...

ولكن ما الامام وما الوراء ؟ واذا وقف اثنان في المرحلة أحدهما وجهه الى البلدية والآخر وجهه الى السنجقدار ، وسارا كان كلاهما يتقدم الى الامام ، وان كانا يمشيان في وجهتين مختلفتين فأيهما التقدمي ؟ يقولون ، ان التقدمي هو الداعي الى الجديد ، الى عصر الذرة والصاروخ ، والرجعي الذي يريد العودة بنا الى مثل ما كان أجدادنا قبل ألف سنة ، ولكن هل كل ما في عصر الذرة خير ، وكل ما كان قبل ألف سنة شر ؟

في هذا العصر الحرب والدمار والتعجور والسرقة ، وضياح فلسطين ، وان كان فيه العلم والحضارة ، وقبل ألف سنة كان الخير والعلم والفضيلة ومن العرب وسيطرتهم على الدنيا ، وان كان فيه مع ذلك الاستبداد

والشرور ، وفي كل زمان خير وشر ، فلماذا نسمي من يدعو الى فضائل الماضي رجعيًا ؟

وهل كل جديد خير من كل قديم ؟
ان أقدم شيء في الدنيا هو العقل ، فاذا تركنا الدين وصرنا ملحدين ،
لأن الدين قديم ، فيجب أن نترك العقل ونصير مجانين لأن العقل أقدم
من الدين .

فما معنى التقديمية اذن ؟

أخشى أن يكون معناها تقليد الغربيين في الخير والشر ، فان كشفوا
المورات كان سترها رجعية ، وان أعلنوا الزنا كان اعلانه تقديمية ، وان
لبسوا (البنطالون) من فوق و (الجاكيت) من تحت ، أو قعدوا على
الأرض ووضعوا الكراسي على رؤوسهم أو أكلوا الحساء (الشوربة)
بالشوكة ، والبطيخ بالملقعة ، فقد وجب في شرعة التقديمية أن تصنع
مثلما صنعوا ، والا كنا رجميين ..

ان كان هذا هو المراد بالتقديمية ، فتجمعوا وتشجعوا وقولوه
وأريحونا ، ولا تدعوه يطالعنا من خلال السطور ، ومن بين الكلمات !



الشهرة

كنت من سنوات كلما سرت في شوارع دمشق الكبيرة ، أو في أزقتها الضيقة ، من أقصى الميدان إلى آخر المهاجرين ، أجد على الجدران اسم (فلان ^(١)) مكتوبا بخط كبير ، بفحة سوداء على الجدار الأبيض ، وبحوار ^(٢) على الحائط الأسود ، فطفت أسأل من هذا ال (فلان) ، فلا أجد أحداً يعرفه ، حتى أخبرني أحد المعلمين أنه تلميذ في مدرسته ، وأنه يعطل درسه ، وينسى طعامه ، ويدع كل شيء ، ليدور فينقش اسمه على الحيطان ، لا هم له في الدنيا إلا هذا ، ولا شهوة له في غيره ، يجده كلما محي ، ويعيده كلما طمس ، يريد بذلك الشهرة ، وقد نالها ، حتى صار يعرفه في دمشق من لا يعرف أكثر علماء وأفاضلها ، وحتى تطوعت أنا اليوم بنشر اسمه الكريم والاعلان عنه مجاناً ... لأريكم يا أيها القراء أن الشهرة ليست مقياس العظمة ، ولا ميزان الرجال ، حتى أن لفظها غير صحيح إطلاقه على هذا المعنى ، فالشهرة في لغة العرب إنما تكون للفضيحة . ونسأل الله أن يسبل عنا ستره ...

وما أهون الوصول إلى الشهرة ...

قرأت مرة أن رجلاً أحب أن يعرفه الناس ، وأن تتناقل الألسنة اسمه ، وتحدث المجالس حديثه ، ولم يجد لساناً بليغاً ، ولا عقلاً مفكراً ، ولا يداً صناعاً ، ولا قلباً شجاعاً ، فذهب إلى بئر زمزم والناس يستقون منها ، أيام الحج ، ف (بال ٠٠) فيها ، فاشتهر ... وإن رجلاً أميركياً

(١) هو اسم معروف في دمشق .

(٢) الحوار (الطباشير) من العامي الفصيح .

لم ير سبيلا الى الشهرة ، الا باطلاق الرصاص على رئيس الجمهورية
لا لثأر له عنده ، ولا لتقمة عليه ، بل لتتشر الجرائد صورته ، فيريها
حييته ! فلا تجعلوا الشهرة مقياس العظمة فان (كاريوكا) أشهر من
(مي) ، و (شكوكو) أعرف من (اسماعيل صبري) ، والاستقبال
الذي يلقاه (أنور وجدي) ان نزل دمشق أعظم من استقبال شيخ
الازهر ، والاجرة التي تدفعها اذاعة مصر لـ (اسماعيل ياسين) لا تدفع
مثلا لظه حسين ...

تفرد بالشهرة البطالون والمغنون و (المهرجون) والرقاصون .
فهل فسد الزمان ، واضطرب الميزان ، أم هذي طبيعة الانسان ؟
حدثت طاغور ، انه لما قدم لندن ، كان وصوله اليها يوم وصول
(ماري بكفورد) ، فانشغل الناس عنه بها ، وانصرفوا اليها ، حتى انه
لم يجد في المحطة من يحمل له حقيته ، مع أن زي طاغور ولحيته عجب
في لندن .

وسألت مرة دار احصاء في أميركا ، آلافا مؤلفة عن أشهر عربي منذ
خمسائة سنة ، فكان .. جحا .

هذه هي الشهرة يا أيها الشباب ، فلا تبالغوا في الحرص عليها
والزيادة في تقديرها ، فقد اشتهر الضبع (الذي أكل يباع الحلاوة على
طريق جوبر) ، وما يمتاز عن سائر الضباع بمخلب ولا ناب . واشتهر
(حمار حمام الناصري) حتى ما يزال اسمه علما في دمشق الى الآن ، وما
كان ذا عبقرية حمارية ، ولم ينبغ في شيء من فنون الحبير ... ولا في
(النهيق) على طريقة الشعر الرمزي !
هذه هي الشهرة ..



الثقافة في خطر

قلبت اليوم أجزاء قديمة من (المختار) ، هذه المجلة التي كانت سميّاً لمن أعوزه السير ، ومدرسة لمن فاتته المدرسة ، والتي كان يفهما العامي ، ويحتاج إليها المتعلم ، لأنها تطلع عليه كل شهر بشيء جديد ، لا تحويه الكتب ، ولا تدرسه المدارس ، وتقدم له ثمرات أفكار المفكرين في أميركة وأوربة شهية ناضجة ، وتلخص له كتباً ، وتجمع له الأدب والعلم ، والطب والترية ، وعلم النفس في طاقة عطرية محببة .. فشعرت بالأسف يملاً قلبي على أن فقدتها القراء وعدموها .

وقلت في نفسي :

لو أن هذه المجلة ربحت لما انقطعت ، ولو أن الناس اشتروا منها العدد الذي قدره أصحابها ، لما جعلوا لها هذا الثمن البخس ولما اضطروا إلى وقفها ، فما للناس ينصرفون عن الجيد النافع من المجلات ، حتى يضعف أو يموت ؟ ويقبلون على التافه السخيف حتى يقوى ويشتد ؟ وما للمجلات الجدية تنحدر وتسف حتى تتوارى واحدة إثر واحدة ؟

ما ل (المقتطف) شيخة المجلات لا يدري أكثر الناس أمات أم لا تزال حية باقية ؟

وما ل (الهلال) بدلت طريقها ، وحالت عن حالها التي كانت عليها أيام منشئها ، وصارت للتسلية والمتعة ، بعد أن كانت للجد وللنفع ؟ وما ل (الرسالة) المجلة الحبيبة ، التي لم يعرف الأدب مجلة خيرا

منها قد هبطت من يفاعها ، وفتحت لكل كاتب بابها ، حتى صار يتصدر فيها مَنْ لم يكن يطمح أن يدنو من حماها ؟

وما لـ (الثقافة) قلّ قراءؤها ، وضعف انتشارها ؟

وَأين (الكاتب المصري) وأين من قبلها (السياسة الاسبوعية) ؟

وَأين (الزهراء) و (البيان) ؟

وَأين (الجريدة) وأين (المقتبس) ؟

وَأين في الشام (الرابطة الادبية) ؟ وأين من بعدها (الميزان)

و (الثقافة) ؟

لقد كنا (ونحن طلاب) نجد التسلية - ان ابتغيناها - في العقد الفريد والاغاني ، وان نزلنا ، فانما نزل الى كتب الرافعي والعقاد وطه حسين .

فصارت تسلية مَنْ بعدنا ، السياسة الاسبوعية والهلال ، ثم الرسالة والراوية .

فما للطلاب اليوم وما للقراء لا يكادون يقرؤون الا (الاثنين) و (آخر ساعة) و (مسامرات الجيب) وهذه الكتب الخفيفة الضحلة التي تباع مع الصحف ؟ هذي مصادر ثقافتهم ، وهذي ينابيع معارفهم؟! واذا كان يشتكى بعد هذا كله من ضعف الطلاب في علومهم المدرسية ، وقصورهم عن درجات اخوانهم قبل عشرين سنة ، فماذا تكون العاقبة والحال الى انحلال ؟ ألا نمود مرة أخرى الى مثل ما كنا عليه قبل مائة سنة ؟

* * *

يا أيها القراء :

ان حياتنا الثقافية في خطر !

* * *

الثبات

الثبات ان كان على الخير كان خيراً ، وان كان على الشر كان شراً ، ولو كان الثبات خيراً لذاته لكان أفضل المخلوقات ابليس ، لأنه بقي (ثابتاً) على عناده وكفره ووسوسته ، ما حاد قط عن طريقته ، ولا تحول عن وجهته ، ولكان أبو جهل خيراً من أبي بكر لأنه استمر (ثابتاً) على (مبادئه) حزبه (الجاهلي الوثني ، عاش عليها ومات في سبيلها ، وأبو بكر تركها وتبع الحق الذي تبين له ، ولو كان الثبات خيراً لذاته لما حسن ايمان الكافر ، ولا توبة العاصي ، ولا صلاح الفاسد ، ولكان اللص الذي يبقى (ثابتاً على مبادئه) العصابة ، خيراً من اللص الذي خرج عنها ، وسلك سبيل الرشاد .

والتحول يكون خيراً ان كان عن بحث وايمان ، واشاراً للحق ، واتباعاً للصواب ، أما ان كان ابتغاء المنافع ، وقصداً للكسب ، وطلباً للذة ، واتباعاً للهوى ، كان شراً من أكبر الشرور وكان صاحبه أخزى من ابليس وأضل ، والمدار في ذلك كله على أن يحاسب المرء نفسه قبل أن يحاسبه الناس ، ويحرص على ارضاء الله قبل ارضاء الخلق ، ويوزن أعماله كل عشية بميزان الشرع ، فان رأى انه على الحق ثبت عليه ، وان رأى أنه على الباطل أقلم عنه ، كسالك البادية ينظر حوله كلما مشى ليعلم أين يمشي ، فان وجد نفسه ضالاً عن الوجهة ، متنكباً الطريق عاد اليه ، وليس في الدنيا عاقل واحد يقول له : أخطأت اذ عدت الى الطريق ، ولم تبق ثابتاً على وجهتك الضالة ، حتى يقتلك الظمأ ، أو تأكلك الوحوش . أمّا ان انحرف الى الشرق ليكسب مالاً حراماً ،

واقبل مرة الى الغرب لينال لذة آئمة ، وأقبل وأدبر ، يدفعه هواء ،
ويصرفه شيطانه ، فانه لا يصل عمره الى غايته ولا يقول له عاقل فسي
الدنيا ، أصبت !

أما الاحزاب فهي (في الأصل) خير ، لأنها تعاون وتشاور واتحاد ،
ولكن أصحابها بشر على كل حال يخطئون كما يخطيء البشر ، وقانونهم
قانون موضوع ، لا شرع منزل ، وقد يجتمع (الأكثر) على الباطل ،
ويكون الحق مع (الأقل) ، فان رأى عضو الحزب ، ان حزبه اقصاد
بـ (الأكثرية) الى ما يؤمن هو أنه باطل ، وما يوقن أن فيه ضرراً على
البلاد ، وثبت له ذلك ثبوتاً لم يحز له أبداً البقاء فيه ، والانتساب اليه ،
واعاتته على باطله وتقويته على اضراره بالوطن ، ووجب عليه وجوباً
شرعياً وعقلياً الخروج منه ، ولو قيل انه لا ثبات له ، وانه متحول
متقلب .



الله أكبر

أشتهي على الأوقاف أن تجعل في الدائرة مؤذنا حاضرا القلب ، ندي الصوت ، وتقيم في جوانب دمشق الاربعة مكبرات تذيع هذا الأذان ، حتى يرن في أرجاء البلد الصوت واحداً ، يملأ كل سمع ، ويبلغ كل قلب : الله أكبر .

الله أكبر . هذا النشيد الذي لم يحمل يريد السماء الى أهل الارض ، ولم يلق لسان الزمان في أذن الدنيا نشيداً مثله ، حريصاً ان شتته للحرب ، عاطفياً ان شتته للقلب ، صوفياً ان أردته للصفاء ..

الله أكبر . هذا الهتاف الذي كان صرخة الحق من أفواه جنود محمد ، أسمعه كل بطن واد ، وكل ظهر جبل ، وكل مغارة تفزع من سلوكها الجن ، سلكوها يجاهدون في سبيل الله ، وكل أسوار قلعة لا تستطيع أن تحوم فوقها من منعتها العقبان فتحوها ليدخلوا اليها هدي الله - وكان أبداً نشيد النصر .

الله أكبر . تسري في هدأة الليل ، والناس غارقون في نشوة العبادة ، أو في أحلام الهوى ، أو في حمات الفجور ، أو في لجج الكرى . وفي وضح النهار والناس منغمسون في معتركات السياسة ، أو غمرات التجارة ، أو معامع المظامع والدسائس والشهوات .

يهبط عليهم جميعاً كما تهبط البركات من السماء ، ويمشي في قلوبهم كما يمشي النور في الفضاء ، ينزل من فوق ، من فوق كراسي الحكم ، ومقاعد الثروة ، ومخادع اللذات ، يذكر الأقوياء بأن لا يتكبروا على الضعفاء ، فإن الله معهم ، والله أكبر منهم ، ويصرخ في آذان هؤلاء الذين

غرثهم أنفسهم ، وغرهم الشيطان ، فمبدوا المادة ، ونسوا الروح ،
 وجحدوا المعاد ، يذكروهم ان وراء الجسم روحاً ، وان بعد الدنيا آخرة ،
 وان في الوجود رباً يعلم ولا يعلم ، ويتنسى ولا ينسى ، وان الدنيا
 لم تدم لأحد حتى تدوم لهم ، وان الموت لم يترك أحداً حتى يتركهم ،
 وان التراب قد احتوى أمماً من الناس كانوا أشد قوة ، وأكثر مالا ،
 وأعظم آثاراً ، وكان لهم المال ، ولهم الجند ، ولهم القلاع ، فما أغنى
 عنهم مالهم ، ولا دفعت عنهم المنايا جنودهم ، ولا حمتهم من عزرائيل
 قلاعهم ، وعادوا تراباً كما بدؤوا من التراب ، وصاروا أحاديث في
 الارض ، بل ان أكثرهم لم يبق من يتحلت عنهم ، وسيعرضون بعد
 ذلك على ربهم يوم لا ينفع مال ولا بنون ، الا من أتى الله بقلب سليم ،
 يوم لا كبير ولا صغير ، ولا سوقة ولا أمير ، ولا غني ولا فقير ، يوم
 ينادي المنادي : لمن الملك اليوم ، فيجيب المجيب : لله الواحد القهار .



ان الناس قد نسوا الحقيقة الكبرى ، وغلنوا أن الله لم يخلقهم ،
 وأن الموت لن ينالهم ، وأن الدنيا باقية لهم ، فذكروهم هذه الحقيقة دائماً ،
 ذكروهم بها دائماً ، وفي الصباح ، وفي الظهر ، وفي مطلع النهار ، وفي
 مهبط الليل ، لعلهم يذكرونها ، ويصدقون بها .



الحق والقوة

الحق • ما الحق يا ناس ؟ خبروني ••
لا أسأل عن الحق المجرد الذي يقابل الباطل ، بل الحق الذي هو
الملك •

الرغيف الذي اشترته بمالك حقك ، فان غصبه منك غاصب ، أقوى
منك ، وأكله ، فأين بقي حقك ؟
وماذا ينفعك أن يكون (الحق) لك ، والرغيف في بطن الرجل ؟
ماذا يفيدنا ان الحق بامتلاك فلسطين لنا ، وفلسطين نفسها في أيدي
اليهود ؟

والى متى تكرر مهزلة (أوسعته سباً وأودى بالابل) ؟
مهزلة الأعرابي الذي بعثه امه يرعى جمالها ، فرأى العدو ، فوقف
يسبه ، ويلعن أباه وجده ، حتى تعب لسانه وكل ، فقعديستريح ، وترك
العدو يذهب بالابل •

ومهزلة الزعماء الذين ملقوا الدنيا ادعاء ، وفخراً وحماسة ، وهجاء
 لليهود واحتقاراً • ثم ناموا وأخذ اليهود فلسطين ؟
والى متى تبقى مغفلين مساكين ، لا نفهم أن القوة هي شرع هذه
الدنيا : قوة العلم ، وقوة المال ، وقوة الاتحاد ، وقوة الجيش ، وقبل
ذلك كله قوة الايمان ، وقوة الارادة •

وان الحق لمن يأخذه لا لمن يتغنى بذكره ، وينظم فيه القصائد ؟
فانزعوا من نفوسكم ، يا أيها العرب ، هذا الورع البارد ، وهذا
الادب الرقيق ، فقد أطعتم هيئة الامم وعصاها اليهود ، ووفيتهم وغدروا ،

وعدلتهم وجاروا ، وملحتكم جرائم العالم بأنكم أولاد طيبون مهذبون ،
وذمتهم بأنهم شياطين مفسدون ، وانهم قتلة مجرمون . فماذا كانت
النتيجة ؟

أخذ اليهود فلسطين ، واعترفت بحكومتهم دول هيئة الأمم التي
ذبحوا رسولها (برنادوت) !

فحببكم غفلة يا عرب !

اخلموا صوف الحملان ، والبسوا جلود الذئاب ، لئلا تأكلكم
الذئاب .

مدوا أيديكم ، فخذوا حقكم ، لا تطلبوه من أحد ، فليس في الدنيا
أحد يعطيكم حقكم ، أقلثوا الكلام ، وأكثروا الفعل ، واتحدوا
واستعدوا ، ان يوم المعركة قريب ، فاشتروا السلاح من كل من يبيع
السلاح ولو كان الشيطان .

يا أيها العرب ؟

الله قانون تنازع البقاء .

ان هذه الدنيا للمحقين الأقوياء .



الحاج احمد

لست أدري ما الذي ذكرني هذه العداة بجارتنا ، (الحاج أحمد)
الذي مات منذ ثلاثين سنة ، ولم يبق على ظهر الأرض من يعرفه ، أو
يذكره بخير أو بشر ، وما الذي أيقظ ذكره في نفسي بعد هذا الامد
الطويل ؟

كان تاجراً في سوق الخياطين ، وكان ساكناً بجانب دارنا في
(الديمجة) ، وكانت حياته كساقية العين الخضراء ، تجري صافية
هادئة عذبة ، لا يكدرها مكدر ، ولا تضطرب فيها موجة ، ولا يمسها
أذى ، يقوم كل يوم قبل الفجر ، لأنه ينام بتعيد العشاء ، فيصلي ، يستمع
بلذة المناجاة في الاسحار ، ويتذوق حلاوة الطاعات في الخلوات ، فإذا
سمع أذان الفجر أيقظ زوجه ، ولم يكن له قريب في الدنيا سواها ،
فبدأ نهارهما بتمعة الطاعة ، ولذة الحب ، يجمعهما حمد الرب ، وود
القلب ، قد اشتركا في توحيد المحبة ، بعد توحيد الله ، فلا يعرف من
النساء غيرها ، ولا تعرف من الرجال سواه ، ثم مشى الى (جامع التوبة)
فصلى فيه مع الجماعة ، وقعد يستمع الدرس حتى ترتفع الشمس ، ويحيى
رفاق (الصبحية) ، وهذه الصبحية فرض لازب في مذهب الدمشقيين
لا بد منه ، ولا معدى عنه .

يذهبون الى الميزان أو الشاذروان ، أو الى أعالي الربوة من ناحية
المزة ، أو الى ذروة المنشار من جهة الجبل ، فيفطرون وينصبون
« السماورات » ، ويشربون ، ويغنون ، ويتحدثون ، حتى تكون
الضحوة الكبرى ، فيعودون ليشتروا بأيديهم حاجات بيوتهم ، ويمضوا

الى دكاكينهم ، وهي نظيفة عالية ، فيها السجاد والمساند ، وحولهم قماشهم وبضائعهم ، فباعوا واشتروا ، لا يدينون ولا يستدينون ، ولا يمارون ولا يشارئون ، ولا يكذبون ولا يحلفون ، حتى يؤذن العصر فيصلي الحاج احمد ، ويجمع ما فتح الله به عليه ويسره له ، ويمضي الى داره ، فيتعشى ، ثم يذهب مع اهله الى (المسوية) .

كان مستريحاً في بيته ، متفقاً مع زوجته ، موقفاً في كسبه ، مطيعاً لربه ، مستمتعاً بصحبه ، يأكل أطيب الطعام ، لأن كل شيء رخيص ، ويلبس أحسن الثياب ، ولا يعرف همّاً ولا غماً ، ولا يألّف مقهى ولا ملهى ، ولا تعنيه سياسة ولا رياسة ، لا يقرأ الصحف ، ولا يدري ما الاذاعات وما الانتخابات ، وما الحزبيات ، عاش لم يشعر به احد ، ومات فلم يذكره أحد ، ولكنه عاش سعيداً ومات حميداً .

ذكرته لأنه (الشامي الاصلي) ، الذي كادت تفقده دمشق . وما أدري أكان أفقده خيراً لها أم كان شراً .

ولكن الذي أدريه أني تمنيت صباح أمس^(١) أن أكون مثل الحاج احمد ، لأعيش مستريح البال سعيداً مثلما عاش ، وأموت مؤمناً حميداً مثلما مات .

وهيهات ، في هذه الايام ، هيهات ! !



(١) كتبت على اثر هزة سياسية أصابت الشام .

كن رجلا في حبك

الى السيد م . . .

التي قرأت كتابك كله ، لم أهمله كما خشيت ولم ألق به ، واستطعت أن أحزر عمرك ، وميولك ، وطبيعة نفسك ، من غير أن تقول لي شيئا من ذلك .

أنت شاب في مطلع الشباب ، في السن التي تتيقظ فيها (تلك) العاطفة ، وتقوى وتملا النفس ، حتى لا يفكر الشاب الا بالمرأة ، ولا يهتم الا بها ، ولا ينظر الا اليها ، وهذا العشق الذي توهمه ، والذي سردت لي وصفه في كل ما حفظوك في المدرسة من شعر مجنون ليلي ومجنون لبني وسائر المجانين — أعني الشعراء الغزليين — هو نتيجة لهذه المقدمات .

وهذه العاطفة كالبخار الذي يصعد من ابريق الماء المغلي ان سددت عليه وحبسته مزق الابريق ، وان رفعت الغطاء طار هباء في الهواء ، وان وصلت بمكبس (بيستون) سير القاطرة ، وأدار المعمل ، فلا تستجب للعاطفة وتتبع الهوى ، فتذهب قوتك هدرًا ، ولا تجسها وتفكر فيها فتقلب عليك وساوس وعلا ، ولكن تسام بها الى فن من الفنون ، فاشتغل بالأدب أو الشعر ، أو التصوير ، أو الموسيقى أو الرياضة ، فانك تستريح من المرض الجنسي ، وتمهد لنفسك طريق الخلود .

هذا رأيي الذي تسألني ، وأقبل بعد ذلك على دروسك حتى تنال شهادتك ، وتستقر في الحياة قدمك ، وبعد ذلك فكر في الزواج . .
فاذا لم تحب أن تعمل به ، وأصررت على الاتصال بهذه البنت ، التي ملكت عليك لبك ، وأخذت قلبك ، وشغلت عقلك ، وتركتك بلا

قلب ولا عقل ، فكن رجلا في حبك ، لا تكن لصا يحاول أن يسرق نظرة من النافذة ، وكلمة بالمناسبة ، ثم يتدرج في طريق الشر ، فمن بعد النظرة المجالسة ، ومن بعد الكلمة المقابلة ، ثم ينتهي الامر الى نهايته ، لا يقف دونه شيء ، كالصخرة التي تدرجها من رأس الجبل ، لاستقر حتى تبلغ الوادي ، كن رجلا ، واذهب الى أيها فقل له ، أني أحب ابتك ، وأظن أنها تحبني ، وأنا أريد أن تزوجني بها ، أو دع أمك تذهب فتخطبها لك من أمها ، هذا هو الباب ، ولكن شباب هذه الايام يتركون الأبواب ، ويدخلون من النوافذ . وما أظن ان والد الفتاة تبلغ به الحماسة ، أن يسمح لك أن تتصل بفتاته بالحب المحرم ، حين بحث بها لتدرس معك في الكلية ، ويمنعها أن تقترن بك بالزواج الحلال ، وماذا عليك أن تتزوج رفيقتك في المدرسة ؟ أليس ذلك خيرا من أن تكونا زوجين بلا زواج ؟ انني أتمنى والله أن يتزوج كل طالب ، وأؤكد أنه سيكون أقدر على الدرس ، وأصنى له ذهنا ، وأفرغ قلبا ..

والا فماذا يصنع الطلاب ، اذا كان الله قد أشعل هذه العاطفة في نفوسهم ، وهم في سن ست عشرة ، واذا كان نظام التعليم لا يوصلهم الى الشهادة قبل العشرين ؟ ماذا يصنعون في هذه السنوات ، وهي أشد سني العمر على الانسان ؟ وفيها تتوقد الشهوة وتضطرم وتحرق الأعصاب ؟

فيا أخي ، اعمد الى التسامي ، واشغل نفسك عن هذه الهنت بالرياضة أو بالفنون فان لم تستطع فاخطبها الى أبيها ...
هذا هو جوابي ا



مولد الرسولين

اليوم يقطع ركب الانسانية مرحلة جديدة من طريق الزمان ، واليوم يلتقي عيد عيسى روح الله وكلمته ، بعيد محمد عبد الله ورسوله ، فما للركب يمشي على الانقاض ، ويطأ على الجثث ، وينشق رائحة البارود ؟ وما لأتباع عيسى يودعون الحرب التي مضت ، ليستعدوا للحرب التي تأتي ، لا يهدون ولا يستريحون ؟ وما لأتباع محمد يضيعون أخلاقهم ويذلون وينقسمون ويغلبون ؟ وقد جاء عيسى ليلقي على الارض السلام ، وبعث بالتوحيد وبالوحدة ، وبالعزة والجهاد وليتم مكارم الاخلاق ؟

وما لنا أبناء هذا الوطن نحسب اننا باجتماع في الجامع ، وحفلة في الكنيسة ، وبأعلام للفرح تنصب في الطرق ، ومصاييح للزينة توقد في الليل ، ومدافع تطلق ، وتهاني تتبادل ، وسكاكر تقدم ، تقوم بحق الرسولين العظيمين ؟ ونحن نعمصهما كل يوم ونخالف عن أمرهما ، وتتبع غير شريعتهما اللتين بعثهما الله بهما ؟ ونحن نعبد المال واللذات من دون الله ، ونحن نعلن الرذيلة ، ونخذل الفضيلة ، ونجهر بالكذب ، ونعيش بالنفاق ، ونحن نفش ونظلم ونخلف الوعد وننسى العهد ؟

وهل يرضي النبيين عنا أننا نقيم لهما الحفلات ، ونطيل فيها الخطب ، نمدحهما بالسنتنا ، ونعصيهما بجوارحنا ؟ كلا والله ما نحن لمحمد ، ولا نحن لعيسى ، وما مسلمنا بالمسلم ، ولا نصرانينا بالنصراني ، حتى يتبع هذا ، الانجيل الحق الذي أنزله الله ، ويتبع ذلك القرآن كتاب الله ، ونكفر جميعاً بالغرب الذي فرق بيننا ، ليضعفنا فيعدو علينا ، ونكفر

بمدنيته : مدينة الذئاب لا ينقصها ظفر ولا ناب ، مدينة الحيتان يأكل قوربا ضعيفها ، مدينة البارود والغاز الخائق والقنبلة الذرية ، مدينة برىء منها عيسى وبرىء منها محمد ، وبرئت منها المدينة ، لناخذ خيرها ولنندع شرها ، لتتعلم علومها ولنهجر خلائقها ، ولنعُد الى الخلائق التي أمرنا بها الله من فوق سبع سموات ، الى الخلائق التي فتحن الأرض لما تخلقنا بها ، وملكننا الدنيا ، وكان لنا السلطان ، ولنا المال ، ولنا العلم ، وكان كل خير لنا ، الخلائق التي ضعفنا لما تركناها ، وانقسمنا وذللنا ، حتى غلبتنا بنات اليهود . .

اكفروا بالغرب وآمنوا بأنفسكم ، وبسلائقكم ، وبطيب جوهركم وانه ما فسد هذا الشعب العربي ، كلا ولا أضاع مزايده ، ولكن فسد زعماءه ، وانه ما ضل ولكن ضل رؤسأؤه ، وانه سيتحد وسيقوى ، وسيعز ، وسيكون له المستقبل ، كما كان له الماضي ، وان سيادة العالم ما زالت دولة^(١) بين الشرق والغرب ، فكانت للمصريين والفينيقيين ، ثم صارت لليونان والرومان ، ثم عادت الى العرب ، ثم رجعت الى الغرب ، وقد ضعفت اليوم سيادة الغرب ، وشاخت ، وأشرفت على الزوال ، وستأكلها الحروب ، وتدمرها القنابل الذرية ، ويومئذ تلتفت الإنسانية الى الشرق ، الى مهد البشر ، ومبعث الديانات ، ويومئذ تتجه اليكم لتحمو حماها لا تلقى غيركم ، فاستعدوا لذلك اليوم ، فانه يوم قريب ، وعودوا عبيداً لله ، لتعودوا سادة لأهل الأرض .

يا أيها الناس ان أعظم مصيبة تنزل بكم ، هي أن تحتقروا نفوسكم ولا تعرفوا أقداركم .



(١) اي متداولة متبادلة .

واعظ العتبة

لما كنت في مصر ، وصلت يوماً الى (العتبة) ، فوجدت الميدان على اتساعه ، وعلى أنه أكبر من (المرجة) بعشر مرات ، يكاد يكون غاصاً بالناس ، وهم وقوف متراصون ، ليس بينهم الا فرج ضيقة بمقدار ما يمر الترام على الخط ، والسيارة في الطريق ، وسمعت صوتاً مجلجلاً قوياً من (مكبر) هائل ، فحسبت انها مظاهرة شعبية ، وأسرعت لأرى ، ودخلت في غمار الناس مقترباً من مصدر الصوت ، حتى تبينته ، فإذا هو واعظ يتكلم بالعامية البلدية كلاماً يرضى عنه المسلم ، والنصراني ، والملحد الذي لا دين له ، لأنه يدعو الى الله ، والى الفضيلة والصدق والامانة ، وترك الشهوات ، بأسلوب عجيب يضرب فيه الامثال ، من حياة البلد ، ويخلط فيه الجد بالهزل ، والحماسة بالنكتة ، والحكمة بالقصة ويرهب ويرغب ، ويكي ويضحك ، ويمهد للآية من الآيات حتى اذا وصل اليها قرأها مرتلاً مجوداً ...

فأحسست أنه قد أخذ بجواب قلبي ، وداخلتني خشعة لكلامه ، حتى كأن الذي أسمع صوت الحق ، يتكلم من فوق رؤوس البشر ، لا صوت واحد من الناس ، وتلفت حولي فرأيت أن شأن الناس كلهم شأني .

وسألت مَنْ المتكلم ، فعلمت أنه واعظ في مسجد صغير متوار ، لا يدخله أحد ، وانه يتكلم كل يوم خميس ، ويأتي الناس من أطراف القاهرة التي يسكنها مليونان ، ونصف مليون من البشر ، ليسمعوا كلامه .

ذلك لأن فطرة الناس تميل الى الخير ، ولأن الايمان مستقر في أعماق كل قلب مهما طغت عليه المادة ، واستهوته اللذائذ ، وتملكته الشهوات ، فاذا وصل صوت الوعظ الى موطن الايمان من القلب ، تاب الرجل وأتاب .

وان الانسان مهما نال من مسرات الدنيا الحسية ، لا يزال يحن الى لذائذ الروح ، ويطلب اطمئنان القلب ، لذلك نرى الناس يقبلون على مَنْ يتوهمون عنده وَهَجاً من نور (الروحانية) ، ولو كان دجالاً مشعوذاً ، يتاجر بالدين ، ويأكل به الدنيا .

فلماذا لا نجد في الشام مثل واعظ (العتبة) ؟ ولماذا لا نجد حملات خلقية على مثال الحملات الصحية ؟ نحشد لها الوعاظ الصادقين ، من أرباب القلوب ، لا من أرباب الألسنة ، ليوقظوا الخير في النفوس ، ويحيوا الايمان في القلوب ؟

الجواب عند دائرة الافتاء ، ومدرسيها الذين يقبضون المرتبات من العلماء !



طفلان

حدثني صديق لي أديب قال :

رأيت البارحة موهنا^(١) وراء ديوان المحاسبات ، وقهوة الشارع وهاتيك القصور الشم والمنازل الموالى - رأيت مشهداً أقرأ بالي عاجز عن وصفه لكم ، فإن كان باقياً لا يزال ، وكانت رحمة الانسان باقية - لا تزال - فيكم ، فاذهبوا لتروه بعيونكم .

اذهبوا ، وخذوا معكم قلوبكم فانكم ستحتاجون اليها ، واحملوا دموعكم لتريقوها أمام هذا المشهد الذي يرقق قلب الصخر ، ويفجر بالدمع عيون الجلود ، ويملا بالشفقة والحنان أقسى القلوب : قلوب الشياطين والجلادين والمحتركين .

مشهد طفلين ، أحدهما في نحو التاسعة ، والآخر في الرابعة ، ما عليها إلا خرق ومزق وأسفال ، نالمين على الارض عند باب القهوة ، متداخلين متعاقبين ، قد التصق الصغير بأخيه ، وألقى برأسه على صدره العاري من اللحم ، يحمي به من البرد والخوف ، وقسوة الحياة ، وظلم الناس ، ولفه الآخر بذراعه ، يريد أن يدفع عنه بهذه الذراع الهزيلة ، شر هذا البشر ، ويكون له أم ، ويكون له أب . وكان وجه الصغير واضحاً في شعاع القمر الشاحب ، فيه الطهر ، وفيه الألم ، وعلى شفثيه المزمومتين

(١) الوهن والوهن نصف الليل .

النظام الديمقراطي الذي يملأ الأرض حرية ومساواة وعدلا وأمانا ...



وخلا شوارع بغداد الآمن من الرياح العاتية ، والكلاب الشاردة ،
وهذين الطفلين اللذين ينامان على الأرض ، بلا وطء ولا غطاء . ليس
معهما الآمن أشباح الظلام ، وتهاويل الرعب ، وآلام الجوع والبرد
والحرمان !!



بقايا كلام حسبتها من بعيد ، بقايا لعنة حامية ، رمى بها هذا المجتمع ،
فلما دنوت ، لم أجسد الا آثار شكاة خافتة مبهمة ، رفعها هذا الفم
الصغير الذي ما تعلم البيان ، الى الله المنتقم الجبار !

مفلان ينأمان في الطريق كالكلاب ، ما تحتهما الا الأرض العارية ،
وما فوقهما الا السماء العالية ، والناس الخارجون من القهوة بعد السهرة
المتعة ، والعائدون من الوليمة بعد الأكلة المتخمة ، والرائحون الى
بيوتهم من التجار بعد خلوة طويلة أعدوا فيها العدة لجناية جديدة قدرة
على هذا الشعب المسكين ، والغادون الى النوادي والملاهي ليبدؤوا
سهرة أخرى ، يصبون فيها ما لهم على الموائد الخضر ، ويدوون
صحتهم في كؤوس الخمر ، ويضيعون دينهم في تلك الليالي الحمر ، في
الفسق والمهر ، كل أولئك كانوا يرون بالطفلين ولكن لا يلتفتون
اليهما ، ولا يحفلون بهما ، وهل يحفل أحد بالكلاب النائمة في الطريق ؟
من أين جاء هذان الطفلان ؟ أين أبوهما ؟ أين أمهما ؟ كيف يعيشان ؟
هل ابتسم لهما الحظ فوجدا (تنكة زبالة) لأحد الأكابر لينبشها ،
فيستخرجا منها عشاءهما أم باتا على الطوى ؟

لم يسأل أحد ولم يعلم أحد ؟

ولا أنا ... وهل أنا الا واحد من (هؤلاء) الناس ؟

قال الراوي :

وأسرعت الى أولادي ، أحمل اليهم السكاكر الغالية ، أعدها لهم
بجنب السرير ، حتى اذا أصبحوا وجدوها ، وأعطيتهم كيلا تصيبهم لفحة
هواء في هذه الليلة العاصفة ، حتى اذا أمنت عليهم ، وأرحت ضميري ..
قعدت أكتب مقالة في محاربة الشيوعية ، ومكافحة الاجرام ، وتمجيد

عواقب اللذات

كنت أطلع اضبارة في محكمة الجنايات ، فوجدت صفحات في
الفسوق تثير الشيخ ، وتصبى الحليم ، وتشعل النار في أعصاب الشاب
القوي ، حتى ما أظن أن في الدنيا قصة من قصص الأدب المكشوف ،
تعمل في إثارة الشهوة فعلها ، فتركت الاضبارة ، وفكرت ...
وقلت ...

— هل تريد يا علي الطنطاوي أن تكون مكان هذا الرجل ، تعيش
هذا العيش اللذء بين الغيد الأوانس ، والعذارى القاتنات ، قل ، وخل
عنك هذا « الكذب الاجتماعي » ، الذي تعارفه الناس .
فسكت علي الطنطاوي ، وتكلمت نفسه ، فقالت : نعم

— قلت : وهل تريد أن تكون مكانه في السجن ؟

— قالت : لا ؟

— قلت : ولم ؟

— قالت : لأن اللذات قد ذهبت ، وبقي عذاب السجن ...

— قلت : فلماذا لا تذكر ذلك كلما دعاك الشيطان الى لذة محرمة
فملت اليها ، وتقول لنفسك ، انها ستذهب كما ذهبت اللذائذ الماضية ،
ويبقى العقاب ؟ ولماذا لا تذكره كلما دعاك العقل الى خير ، فتكاسلت
عنه لصعوبة البذل ، ومشقة العمل ، وتقول لنفسك ، انها ستذهب هذه
المشقة ويبقى الثواب ؟

فكر فيما عملت من حسنات وخيرات ، بذلت فيها من جهدك ومالك ،
وخالفت فيها هواك ، ماذا بقي من الصعوبة التي وجدتها عند الحسنات ؟

وماذا بقي من اللذة التي أصبتها عند المعاصي ؟ لقد ذهبت آلام الطاعة
وبقي ثوابها ، وذهبت لذات المعصية وبقي عقابها ، كالتلميذ يوم الامتحان
ان كان قد جد وجد النجاح ، ونسي تعب المطالعة ، ونصب السهر ،
وان كان قد لها ولعب ، فقد تمتة اللهو ، وأنس اللعب ، ولقي
(السقوط) .

فقسر الآتي على الماضي ، ولا تبع آجلا خالداً ، بعاجل فان ،
ولا تغتر بحلاوة العمل ان كان فيه السم ، ولا تخش مرارة الدواء ،
ان كان فيه الشفاء ..

وتصور انك على فراش الموت ، وقد باد الامل ، وجاء الاجل ..
ما الذي تحسه في تلك الساعة من حلاوة المعصية ؟ ما الذي
بقي لك من متع الجسد والقلب ؟ هل بقي لك شيء منها ؟ هيهات !
لقد نسي الجسد لذات الجسد ، وشغلت النفس عن مسرات النفس ،
وضاع المال ، فصار للورثة ما جمعت من مال ، وتصرم الجاه فلا ينفع
جاه ، ولا شهرة ولا وظيفة ولا أدب ولا فن ...

وتصور بعد ذلك القيامة وقد قامت ، والصحف وقد نشرت ،
والحساب وقد أعلن ، وكل ذرة خير قد قيدت لك ، وكل ذرة من شر
قد سجلت عليك ، أحصاه ي الله ونسيته ، وعده وأغفلته ..

أين من نفسك يومئذ موقع هذه اللذات ؟ وأين مكان هذه المتع ؟
ما الذي استفدته منها ؟ ما أفدت الا الندم ! وماذا استبقيت منها ؟
ما استبقيت الا الألم !



فاذكر هذا كل صباح وأنت غاد الى عملك وكل مساء وأنت مضطجع
لمنامك .. وكلما أغرتك بشر لذته ، وكلما صدتك عن خير مشقته ...
جرب هذه التجربة السهلة ، وانظر كيف تكون بعدها .



المعلم الاديب

فتحت اليوم درجا لي ، فيه أوراق لم أفتح من نحو عشرين سنة ، فوجدت صفحات رائعة من قصة ، كنت شرعت فيها ، وتقسي مترعة عاطفة ، وقلبي متفتح للالهام ، ثم قطعني عنها شواغل التعليم ، (وقد كنت يومئذ معلماً) ، وصرفتها من ذهني ، حتى اني لأجدتها الآن غريبة عني ، كأنها لم تكن لي ، ولم أكن كاتبها .. فجعلت أتلوها ، وجعلت صور أيامي الماضية تمر أمام عيني .

.. فأرى تلك الايام ، التي أضعتها في التعليم ، وتلك الافكار والصور التي خسرتها ونكبت بها .. وليس المنكوب من ذهب ماله ، أو احترقت داره ، فإن الصحة ترد المال ، والمال يعيد الدار ، ولكن المنكوب من ثكل أفكاره ، وأضاع ذكائه ، وعاش بائساً يائساً ، ومات مغموراً منكراً ، وقد كان أهلاً لأن يسعد حياً بذكائه ، ويخلد ميتاً بآثاره .

ان المنكوب هو المعلم الاديب ، الذي وهب له الادب ، وكتب عليه التعليم : أنه يسكب ثمرة حياته ، وعصارة قلبه ، وجني الليالي الطوال التي أحياها ساهراً ، عاكفاً على كتبه ، مطفئاً نور عينيه ، مذبلًا زهرة شبابه ، يصبها كلها بين أيدي طلاب لا يكاد أكثرهم يحفظ للمعلم عهداً ، ولا يذكر له وداً ، يصبح المعلم الاديب وفي نفسه موضوع المقالة ، وفيها صورها وأفكارها ، ولكنه لا يستطيع أن يكتبها ، انه مشغول عنها بتصحيح وظائف التلاميذ ، هذه الوظائف التي تحرمه لذة المنام ، وأنس السر ، ومتعة المطالعة ، وتأكل صحته ووقته ، ثم اذا انتهى منها وحملها

الى التلاميذ مصححة لم يتنازل أحدهم الى النظر فيها ، وانما يلقونها
في أدراجهم لينظر فيها الشيطان ، ثم يأتي الآذن فيجمعها ليقود بها
النار ..

وبعد الدرس وينفق في اعداده من الجهد ما لا يعلمه الا الله ،
والمخلصون من المعلمين ، ويلقيه مندفعاً متحمساً ، فلا يروعه (ان كان
في الابتدائي) الا تلميذ يَخِزُ رفيقه برفقه ، ليريه كيف اصطاد ذبابة ،
أو ليحدثه (ان كان في الثانوي) حديث رواية في سينما ، أو مباراة على
ملعب ، أو تلميذ يقرأ قصة سخيفة من قصص الجيب ، أو يصور على
الورقة ثوراً له قرنان ، أو يرسم الاستاذ المحترم .. وان كان (في
الجامعة) ، رأى أمامه فلماً من أفلام الحب ناطقاً بلغة العيون ..

ثم يكبر الطلاب ، فينكرون المعلم وينسونه ، وربما احتاج الى
أحدهم فأراه صنوف الحرمان ، وربما صار أحدهم رئيسه فأذاقه ألوان
الأذى ... مسكين والله المعلم !



طنبرجي !

رأيت أمس في طلعة الشمسية في المهاجرين (طنبراً) محملاً بالحجارة ، يجره بغل هزيل ، واقفاً في وسط الطريق ، وصاحبه قد أخذ برسنه^(١) ، وجعل يشده ويصرخ به ، وهو يحاول السير فلا يستطيع ، فجن جنون (الطنبرجي) ، وأخذ يشتم البغل ، ويلعن أباه ويسب دينه ، ثم أخذ سوطه ونزل به ضرباً على وجهه ، لا يبالي أين أصاب منه ، أنفه أم عينه أم فمه ، والحيوان المسكين يتلفت يمنة ويسرة ، يحاول أن يتفقت فتمنعه القيود ، ثم تناول حجراً فرضخ به رأسه ، حتى سال دمه ، وسقط على الأرض ..

بحسب الأحق ، أنه ان اشتد على البغل سيره ويرد عليه قواه ، لا يدري انه يزيده بذلك ضعفاً ، وان السبيل لتسييره هو التخفيف عنه وراحته ، لا ضربه وايداؤه ، وان (البطولة) ليست بضرب البغل المقيد الذي لا يستطيع أن يفر أو أن يرفض ، بل بمواجهة الأسد المتوثب ، ومقابلة الدب الجائع ، وليست بالبطش بالضعيف ، بل بمنازلة القوي ، أما أن يؤدب المعلم تلميذه فيقسو عليه قسوة جبار ، يريد أن يهلك لا أن يصلح ، ويربي الأب ولده فيضربه ضرب مجرم ، لا ضرب مربٍ ، ويعامل الزوج امرأته معاملة (نمرود) عات لا معاملة زوج حبيب ، فهذا اسمه في العربية (النذالة) لا (البطولة) ..

وان كل من حمل فوق طاقته سقط ، سواء في ذلك الناس والدواب

(١) الرسن من العامي الفصح .

والجماد : الجدار الذي يركب عليه بسقف لا تحمله أخشاب به ينهدم ،
والموظف الذي يكلف بنفقات لا يتسع لها راتبه يسرق ، والشعب الذي
يطلب بضرائب لا تقدر عليها أمواله يفلس ، وكل (طنبر) لا يخفف
عنه ، يقف ويسقط (البغل) الذي يجره ، وإن دفعته أيدي السالكين ..
فهل نعتبر أم نكون مثل (طنبرجي) المهاجرين ؟



من حديث السيدات

لست أدري ماذا تقول السيدات والآلات حين يقرآن هذه الكلمة ! أشكرني ان مدحتهن ونوهت بهن ، أم يذممني لأنني قدتتهن ونبهت الى خلة ذميمة من خلالهن ؟ اني أسارع ، فأرفع الراية البيضاء ، وألقي السلاح ، وأقر بأن النساء أذكى منا جماعة الرجال ، وأوعى قلوباً ، وأحد أذهاناً ، لأن الرجال الأغبياء ... لو اجتمع منهم عشرة في مجلس لما تكلم الا واحد ، والباقون ساكنون يستمعون ، أما النساء فكل واحدة تتكلم بلسانها ، وتصفي بقلبها ، وتسمع بأذنها ، ولا تجتمع أربع نسوة في سهرة أو استقبال الا ملأن الحارة كلها بأصواتهن العلو ، وأحاديثهن المفيدة ... يستوي في ذلك السيدات المهذبات في بهو الاستقبال في المنزل ، والمعلمات المثقفات في غرفة الاستراحة في المدرسة ، والنساء المتزهات على شط النهر في صدر الباز أو على حافة البستان في شارع بغداد ...

أما الذي دفع بي الى هذه الكلمة ، فهو أنني بقيت في الدار ، وبسطة على المكتب أمامي كتباً ومراجع ، وأقبلت على عمل لي ، وكان في الغرفة الأخرى عائدات يمدن زوجتي الناقمة من مرض ألم بها : قريبة لها نصفت وقتاة نالت الشهادة الثانوية وعمتي المعجوز وأختي ، ونشب الحديث واحتدم ، حتى أحسست أن الموضوع يتطاير من جوانب رأسي لم يبق منه شيء ، ثم شعرت ان رأسي نفسه يكاد يتفجر ، فأغلقت الباب بيني وبينهن ، فوصل الحديث من النجران^(١) والقفل ، ثم نفذ من صفائح

(١) ما هو نسيمه زمرور الباب .

الباب ، وقرب سمعي ، وهربت الى المطبخ والقبو ، والصوت يلاحقني ،
فما كان مني الا أن حملت ثيابي وحذائي ، ولبست في الدهليز ، وفررت
من المنزل ...

بدأت الزائرة تسأل المريضة عن مرضها ، فانطلقت تحدثها ، فلم
تبدأ حديثها حتى سألت الفتاة عن نجاحها ، فراحت تصف لها وقوفها
أما الراد في انتظار النتيجة ، وذكرت المعجوز شهادتها الرشدية التي
نالتها سنة الف وثلاثمئة (فقط) ، اي والله ! والشهادة عندي ومع ذلك
لم ينشر اسمها مع من لمن حق الانتخاب من النساء ، فجعلت هي أيضاً
تحدث عن أيامها الماضية ، وانبثق خلال ذلك حديث عن الثوب الذي
تلبسه الزائرة .. وانطلقت هذه الأحاديث معاً ، فكنت تسمع :

« وأتينا بثلاثة أطباء - وكنا أنا وأهلي حافين بالراد - ولكنني لما
رأيت (الكسم) أول مرة - أعطاني (أوبويل) لأنه جزم أن الداء في
الكبد - وجبنا أنفاسنا ، فلم نكن نسمع الا زفرات محموم ، وجاء
الطبيب الثاني - ولم يعجبني لأنه مزوم الخصر وذيله طويل - وصرنا
نعد الثواني والثوالت والاذاعة تقدم ليلي مراد - فاختصمت معها ولكنها
أكدت ان هذه هي (الموضة) - وقال إن أصل الداء - مدير الاذاعة
الذي كلفنا هذه المشقة لتلاييدل النظام - وتبين أنه لا يصلح لشيء
ولم أستفد من دوائه - وكان ثوباً جميلاً لأنه - أعطاني (برويدون)
ونجحت - ولكن لم أنجح بل تخرق جسمي بالابر - وأخذت الخياطة
خمسین ليرة ، وأخذ الأطباء ، وشعرت أنني أطيّر من غيظي من هؤلاء
الأطباء » .

وكان هذا كله يتخلله عشرات الضحكات والصرخات - يخرج
بنفس واحد ، وبين ذلك أصوات غير مفهومة ، وثلاثة أحاديث أخرى

لم أشر إليها ، فكان الموضوع قصة من قصص الجن التي لا أول لها ولا آخر ، أو أغنية الشيطان التي لم أسمعها ، ولكني سمعت الناس يتحدثون عنها ، وكانت أوركسترا طمطمانية عجيبة متنافرة الألحان ، متضاربة الأنغام ، كأنها الموسيقى الفرنجية التي كانت تتحفنا بها الاذاعة ، ليثبت القائمون عليها أنهم يفهمون به ... الأفرنجي !

أف هذه هي أحاديثكن يا سيداتي ويا آنساتي ؟



ساندوتش

كنت أمس مستعجلاً ، فلم أستطع الذهاب الى المطعم الذي أنغذى فيه كل يوم ، فدخلت واحداً من مطاعم الشطائر (السندوتش) فأكلت واقفاً : آخذ الشطيرة بيد ، وكأس الماء بيد ، وقضيت الغداء في ست دقائق ، وخرجت أفكر في ذلك الأجنبي العصامي (غروبي) ، الذي ابتدع هذه المطاعم في الشرق ، فبدأ عمله صغيراً ثم انتهى الى انشاء محلات غروبي العظيمة في القاهرة ، ثم الى افتتاح محلات (٢٠٠٠ الميريكيين) ، التي وفرت على الناس الوقت والمال ، وصارت ملتقى الاصدقاء ، ومواعيد الأحياء ، وصار بها صاحبها من أرباب الملايين .

ثم فكرت فقلت : وما فائدة هذه العجلة ؟

واذا كان الأكل يدع المائدة ، ويأكل الشطائر واقفاً ، والأديب يترك الكتاب ، ويقرأ المجلات مسرعاً ، والباحث لا يحقق ولا يدقق ، والكاتب لا يتأمل ولا يتعمق ، وكل شيء يجري بسرعة ، وكل شيء يتم على الماشي ... أمورنا العامة والخاصة ، ترتجل ارتجالاً ، ومشاكلنا السياسية والاقتصادية نفكر فيها في دقيقة ، ليس لحكومة من الحكومات العربية منهج معين ، ولا لجامعة الدول العربية خطة مرسومة ، فما النتيجة ؟ وما هذه الحياة التي تقبل عليها ، حياة الاستعجال ، وما آخرتها ؟

ومتى نقعد فنفكر ونبحث ، ونشرع المناهج لسياستنا الداخلية

والخارجية والاقتصادية ، ونرسم لها الطريق الواضح ، الذي لا يضر
معه تبدل الحكومات ، ولا تغير الأحزاب ؟

متى ...

هل نبقى دائما نفذي أجسامنا بالساندوتش على الواقف ، ونغذي
عقولنا بالمجلات على الماشي ، ونبني سياستنا على الارتجال ، ونركض
دائما مثل المجائين ، ليست لنا خطة تتبعها ، ولا غاية نقصدها ؟
أهذا شأن أمة تريد أن تعيش ؟



الرشوة

ان مما ادال دولة آل عثمان ، وعجل هلاكها ، أن قلت فيها الأمانة ، وكثرت الرشوة ، وصار صاحب الحاجة عند الحكومة ، لا يصل الى حاجته الا ان أمده وجيه بوجاهته ، أو سفيه بسفاهته ، أو كان له شفيع عريان ، كشفيع امرأة الفرزدق ، أو كان له من ماله ما يفتح له الأبواب ، وبذل الصعاب ... فان عدم كل أولئك لم ينفعه مع ضعفه أن يكون الحق معه ، وبقي مطرحا مهملًا ، وذهب حقه ضياعا ... وصار الموظف الحازم الصارم الأمين غريبا ، كأنه تخلف عن قافلة الزمان ، فجاء في غير زمانه فصار غريبا منكرا في أوطانه ...

وكانت دولة آل عثمان يومئذ كالمجوز الفانية التي أتى عليها الدهر ، وأقامها على شفير القبر ، فلم يكن عجيبا أن تتصف بهذه الصفات ، انما العجيب حقا أن يكون في الدنيا أمة شابة حديثة عهد بالاستقلال ، تريد أن تبني مجدها ، وتشق في الحياة طريقها ، وتكون لها هذه الصفات التي لا تبني لصاحبها الا القبر ، ولا تشق له الا طريق الموت .

وأعجب منه أن يكون في هذه الأمة امراء مقتدرون ، وعقلاء مفكرون ، ولا يعالجون هذا المرض العضال ، الذي يفني الجسم ، فيأكل اللحم ، ويتعرق العظم ، وأن تسكت عنه الأمة ، وتراه مصيبة لا بد من الصبر عليها ، أو بلية لا يمكن دفعها ...

مع أن المجرم الاول (في رأيي أنا) ليس الموظف الذي يأخذ ، بل (المراجع) الذي يعطي ، يتوهم انه ان لم يعط الموظف الصغير عطّل عمله ، وأختر حاجته ، وهو ان شكاه الى رؤسائه لم يعدم فيهم من يضرب على يده ، ويأخذه بالتني لا رحمة فيها ولا خلاص منها ، ليجعله

عبرة للمعتبر ، فإن لم يستجب له الرؤساء ، شكاً لمن هم أكبر ، أو رفع أمره الى البرلمان ، أو عرضه في الصحف ، ولكن كل واحد من المراجعين المعطين ، يقول : مالي ولهذا العناء ؟ أما قضيت حاجتي ، وأنجزت عملي ، فمالي ولمعادة موظف قد أحتاج إليه ؟ ولماذا أسعى في قطع رزقه ، وقطع الأرزاق مثل قطع الاعناق ...

وكذلك يستمر الفساد وينتشر ، ولا يدري به رئيس الدائرة الفاسدة ...

ولا أبرء الرؤساء لا والله — ولا ينجي الرئيس عند الله أن يصلح نفسه ، وأن يدع أعوانه راتعين في أموال الناس ، لا يعلم بهم ولا يدري من عملهم الا أنه يحول الأوراق اليهم ، ثم يعيدونها اليه فيمضيها لهم ، لا ينجيهم الا أن يدهم الكتاب والاعوان في كل ساعة مرة يفاجئهم يسألهم عن أعمالهم ، فإن تأخرت معاملة عن وقتها أو عوقبت أو أفسدت علم بها ، وأن يدس من يثق به من المراجعين ليغمز جوانب الموظفين بالعطايا ، فينظر من هو الرخو اللين ومن هو الصلب المتين ...

فإن أمسك مرتشياً ولو بليرة واحدة أخذه أخذه راية ، وضربه بسيف القانون الذي لا يظلم أحدا ضربة تكف شره ، وتربي غيره ، أمّا هذه الرحمة الآثمة ، وهذه العاطفة المخنثة ، الرحمة بالمجرم فإنها لا يحبها الله ولا يقرها القانون ، ولا يسيغها العاقلون ...

وأن لا يدع رئيس في دائرته عاملاً غير ذي راتب ثابت ، فهو يأخذ من الناس ، لا دلاًلاً ولا ملازماً ولا ناسخاً ولا فرضياً ولا مسكيناً ولا لاجئاً ، ولو ظن أنه يستطيع أن يراقبه ويحدد له الأجر الذي يناله .. وأن يبعد عنهما الوسطاء والمختارين والمعقبين ، فإنهم لا يدخلون حتى يدخل الأذى أمامهم .

وأن يحرص على اختيار الخبراء من أهل الحق والدين ، ووجود الخبراء في دوائر الحكومة من أوسع أبواب الفساد ، لأن الأجر الذي

يفرض لهم لا يعدل عشر معشار الرشوة التي تعرض عليهم ، ولا يستطيعون الثبات الا ان أمدهم الله بمثل أخلاق الصديقين ، ولا علاج لذلك الا بأن تصنع حكومتنا مثلما صنعت حكومة مصر^(١) فتنشئ دائرة للخبراء من المجازين أهل الاختصاص فتجعلهم موظفين ، وتكون أجور خبرتهم واردات للخرينة ... وبذلك تأخذ الخرينة أكثر ما تدفعه اليهم ، ويندرى عن الامة شر كبير ...

وبعد فانه ان لم يكن الرئيس أميناً ، وتكن له عين صقر ، فهو يرى كل ظاهر وخفي في دائرته ، وأذن فهد ، فهو يسمع كل همس بعيد يكون فيه نقد لها ، ويد أسد ، فهو يضرب الخائن ضربة لا يقوم بعدها ، وان لم يتعنه المراجعون على ذلك ، ويخبروه بكل ما يرون في دائرته من الفساد ، ان لم يكن ذلك لم يكن اصلاح أبدا ...

فيا أيها المراجعون ويا أصحاب المعاملات أتم المسؤولون ان رأيتم الفساد فسكتم ، أو سئلتهم الرشوة فأعطيتهم أو استخبرتم خبرها فكذبتم أو كتمتم . والاصلاح بأيديكم أتم ، ثم في أيدي الرؤساء !



(١) اذكر القارئ بان هذه الكلمة وسائر كلمات الكتاب كتبت من نحو

عشر سنين .

آلات ...

« نشرت يوم افتتاح الجمعية التأسيسية »

دفعت أمس كلمتي الى (النصر) وخرجت ، واذا بأخوين من اخواننا في المدرسة مهندسين ، قد اتخذا لهما مكتبا بجوار الجريدة ، فدعواني ورحنا تتعلل بأحاديث الماضي ، وترشف ذكريات الصبا ، حتى لمحت على النضد أمامهما آلة جديدة لم أرَ مثلها ، فسألتهما عنها فشرحا لي أمرها ، واذا هي آلة تجمع وتطرح وتضرب وتحسب ، وتفعل ما كان يعجز عنه معروف الارناؤوط رحمه الله ، ويعجز عنه أكثر الأدباء ، ثم أرياني آلة أخرى ، لها ساعدان أحدهما ثابت والآخر لين متحرك ، تدور على محيط (الشكل الهندسي) مهما كان مترجا ملتويا . فاذا وصلت الى حيث ابتدأت ، رأيت أرقاما تدل على مساحته المربعة ... فكنت أفقد عقلي من شدة العجب ، ورأيت هذه الآلة أقدر مني ومن رفاقنا في المدرسة سعيد الافغاني وزكي المحاسني وعبد الكريم الكرمي وجميل سلطان ، وتحسب في ثانية ما لا يستطيعون حسابه في عشر سنين ... ولا في عشر سنين وأسبوع ا

وحدثني عن آلات أخرى لا ينقصها لتكون انسانا له عقل الا أن تنطق :

قال : ومن ذلك الآلة التي جاؤوا بها حديثا ، لقرئ الاصوات فسي الانتخاب قلت : ما دامت الصناعة قد تقدمت ، والآلات قد كثرت وأحكمت ، فلماذا نجد في بعض (البرلمانات) ، آلات ابتدائية قديمة ،

لا تتحرك إلا إذا أديرت بأيدي الحكام ، ولا تأتي إلا بحركتين فقط :
رفع اليد عند التصويت ، ومد اليد عند القبض ؟

ولماذا لا نطلب آلات جديدة من هذه الآلات الحاسبة الكاتبة
المفكرة ، نضعها على (كثير من) مقاعد المجلس ، ونريح بها هؤلاء
الآخوان الكرام من تكلف ما لا يحسنون ، وتحمل ما لا يطيقون ،
والزامهم بأن يأتوا بالمعجزات وقد انقضى عصر المعجزات ، فيضعوا
القوانين ، ويناقشوا الموازنات ويجادلوا أقطاب الفكر ، وأركان الحقوق
بمعلومات الصف الثالث الابتدائي ، أو بعلوم (السرتيفيكا) ؟
ولماذا لا نكتفي بهذه الآلات عنهم ، ونردهم إلى مزارعهم أو إلى
مخازنهم ...

— قال : وأي النواب تقصد بهذا ؟

— قلت : أليس كلامي واضحا ؟ انني لا أقصد إلا نواب بلوچستان
المجاورة للأفغان ، هؤلاء وحدهم الذين أقصدهم ، صدقني !



الجهاز

قال لي قاض شرعي :

— ان اكثر الخلاف بين الزوجين منشؤه (الجهاز) امّا أن يخفيه الرجل ، فلا تعرف المرأة أين هو ، ولا تستطيع أن تصل اليه ، ويصعب عليها وصفه وتعيينه للدعاء به ، وقدّر بعد ذلك ما شئت من طول المحاكمة وقل النفقات ، ومراوغات المحامين وأكاذيب الشاهدين ، وامّا أن تحجز هي عليه لدين كاذب ، في دعوى صورية .. فتأخذه من بيت الرجل جبرا ، فتحفر بين قلبه وقلبا هوة قل أن يلتقي بعدها القلبان ! ثم ان الجهاز وهو رأس مال المرأة وثمن أعز ما تملك في دنياها وهو جني حياتها ، وكسب عمرها ، يفرش في بيت الرجل لأهله ولضيوفه ، فيفسدونه ويبلونه ، وهي تنظر ولا تتكلم ، وتحس اذ ترى غليظا يقعد عليه كأنه يقعد على أشجار عينيها ، مع أن المهر حق لها وحدها ، لا لزوجها ولا لأبيها ، تتصرف به التصرف الذي يحلو لها ..

والجهاز بعد هذا يكلف الأب مثلما يكلف الزوج ، ويرهقه ويغرب بيته ، والأسلوب المعقول الذي أرجو أن يتبعه الناس وينشروه ، هو أن يشتري بالمهر شيء للمرأة يبقى ، عقارا أو حلية ، وأن يفرش الرجل بيته على مقدار طاقته ، فتكون المرأة قد أخذت حقها بيدها ، وبقي ذخرا لها ولأولادها وأولاد زوجها الى وقت الحاجة وسن الهرم ، ويكون الرجل مالكا لكل ما في داره ، لا سلطان لأحد عليه ، ولا يدخل عليه (موظف) لحجز ، ولا (مباشر) بمذكرة ، ويسد بذلك باب من أوسع أبواب الخلاف بين الأزواج .

فهل يقبل الشاميون على اتباع هذا الاسلوب ؟



الدمغة الافرنجية

كثيرا ما كنت أناقش أناسا من (المجددين ..) فأتيتهم بالكلمة الخالدة لأحد علماء الشرق ، فيقبلون شفاههم ، ويجمدون جباههم ، ويعرضون عنها ازدراء لها ، فأجيتهم بالكلمة مثلها وفي معناها لعالم افرنجي ، فيسمعون ويخضعون ويهزون رؤوسهم اكبارا لها واعجابا بها ..
وأنقل القاعدة الشرعية عن فقيه من فقهاءنا فيأبونها ، فان قلت هذه القاعدة عن فقيه افرنجي قبلوها .

ويحتقرون العادة من عاداتنا ، فان علموا أن شعبا من شعوب أوروبا الراقية أو أميركا قد اعتادها عظموها .

كأنّ الخير لا يكون خيرا لذاته بل لـ (الماركة الافرنجية) عليه ، والشر لا يكون شرا لذاته بل للطابع الشرقي عليه ، وكأنّ كل افرنجي خير من كل شرقي لأنهم أقوياء ولأننا ضعاف .

ومن هنا كل ما نرى من مظاهر التقليد السخيف ، للافريج ، حتى فيما لا مجال للتقليد فيه كالحب والبغض والطرب ، ودعوى هؤلاء القوم (كذبا) أنهم يطربون لسفونيات يتهوفن أكثر مما يطربون لغناء أم كلثوم ، وتهزهم أشعار بول فاليري ، أكثر مما يهزهم شعر الشريف الرضي .

ومن هنا لتيّ السنتهم باللسان الفرنسي أو الانكليزي ، وترك العربية لسان أمتهم ، يحسبون أن كل من رطن بكلمات من لسان الانكليز صار

بها صاحب الاسطول البريطاني ، ومالك القنبلة الذرية ..
ومن هنا ما نشكو من ضياع مجدنا وهواننا على الأمم .
فاذا أردتم أن نسود وأن يعود لنا مجدنا ، فأعيدوا لنا قنصلنا ،
واعتزازنا بعريتنا وشرقيتنا وخلائقنا ، ولناخذ بعد ذلك كل نافع نجد
عند الأمم ، لنقتبس علومهم وفنونهم ، والصالح من عاداتهم ، ولتعلم
ألسنتهم ، ولندرس آدابهم ، ولنسمع موسيقاهم — بشرط أن يسلم لنا
ديننا ولساننا .



فيل في الترام

ركبت أمس (لأصعد الى المهاجرين) الترام النازل ، فلما وصل الى
المرجة ، أقبلت امرأة عجوز لتركب فصرخ بها السائق :

— مو رايح ، انزلي ، مو رايح .

— قالت : والله صار لي ساعة وأنا واقفة ما كنت ألقى محلا في
الترام القادم من الحميدية ، واني أدفع الأجرة من هنا الى الحميدية .

— قال : انزلي بلا كلام فارغ .

فنزلت ، وصعد كهل يحمل صرة ، فقال له : انزل .

— قال : لماذا أنزل ؟ قال : اذن هات أجرة .

— قال : من هنا الى الحميدية ؟

— قال : نعم . هات .

فدفع ، وسار الترام فتعلق به شاب قوي ، فنظر اليه الكمساري فقال
له : لماذا تنظر الي ؟ أما أعجبتك ، أو انك تريد أجرة من هنا الى الحميدية ؟

— قال : لا . لا أريد شيئا .

وبقي راكبا . وأنا أنظر صامتا .

ووصل الى الحميدية ، وكان الناس ينتظرون في وسط الطريق لانه
ليس للترام محطات لها رصيف كما هي المحطات في مصر ، وكما تكون
في كل بلاد الناس ، فاقبلوا ليركبوا فنقل (الكمساري) الباب ورفع

الدرج وقال : دوروا من الجهة الأخرى ، فلما ذهبوا ليدوروا مشى الترام ، فتعلق بعضهم وركض بعض ، فكادت تسحقهم السيارات . وامتلا الترام حتى لم يبق فيه مكان ومشى ، فلما وصل الى المرجة اذا أمام العدلية حشد من الناس ينتظرون من ربع ساعة ، لأن الشركة تنقص الحافلات في ساعة الازدحام ، وتزيدها في ساعات الفراغ . فكان تزامهم وتراص ، وصعد هؤلاء الناس كلهم ، واختلط النساء بالرجال بالاطفال ، وتداخلت الارجل ، وتقابلت الوجوه ، وتلامست الرؤوس ، فلما وصل الى (الطاووسية) ، صعد اليه مثل أولئك عتداء . وكان فيمن صعد رجل يبدو عليه أنه من أغنياء الحرب ، له طول (العائدي) وعرض (الساطي) ، فزاحم وهاجم حتى صعد ، ووقف في الباب فسده كله ، حتى ما تستطيع أن تمر منه قطعة من تحت ولا عصفور من فوق ، واتكأ بهذا الجبل من الشحم واللحم على كتف رجل قاعد حيال الباب ، فجعل الرجل يتململ ويتحرك ، والبلاء نازل عليه ، والكابوس جائم فوقه ، حتى ضاق صبره فقال :

— اتبه يا سيد لقد سحقتني .

فنظر اليه من عليائه وتأمله كما يتأمل الصبي نملة وقال له :

— اذا لم يعجبك خذلك سيارة خاصة !

واحتدم الجدل ، حتى حال بينهما الركاب ، وتمت الهدنة ، واتقل (الفيل) ، فوقف في وسط الترام والركاب من حوله ، كأنهم بيوت القرية وهو مأذنة الجامع وأرخی يديه . فكان كلما اهتز الترام مال ، وكلما مال الى جهة جلت له فيها ضحايا ، فمن قدم داس عليها بهذا الثقل ، ومن رجل نزل على كتفيه ، ومن ولد دعه ، ثم كانت الطامة ، اذ وقف الترام

فجأة فسقط فوق امرأة مسكينة كما سقط (كوكب الشرق) في بيروت
منذ عشر سنين ...



وبعد فهذه صورة تتكرر كل يوم أحببت أن أطرف بها من يملكون
الأمر والنهي وأسليهم بتلاوتها ، وأنا أثق أنهم سيرون فيها شيئا جديدا
لا يعرفونه ، لأن القدر لم يكتب عليهم أن يدخلوا هذا السجن الخائق
الذي اسمه (الترام) .



جواب على استفتاء

قامت به مجلة المرأة

« نشرت سنة ١٩٤٨ »

أتكلم بصراحة أم احاول المجاملة ، وهل أصلح للمجاملة وأنا رجل قاض مشتغل بالادب والقضاء لا يعرف الميل ، والادب ليس فيه كتمان؟ انني يا سيدي سأقول ما أعتقد ، فان أرضيتك وأرضيت القارئات فالحمد لله ، والا فقد عملتها ورزقي على الله .

يا أستاذ ، اني لم أدر الى اليوم بأن في سوربة (شيئا) اسمه (نهضة المرأة السوربة المعاصرة) ، فكيف تريد مني أن أحكم على ما لم أعرف ، وعلماءنا يقولون ، الحكم على الشيء فرع من تصوره ؟

أنا أعرف أن النساء كنّ جاهلات فصار فيهنّ متخرجات في المدارس ، وحاملات شهادات وافهنّ كنّ متحجبات فصار فيهنّ السافرات ، وكنّ مقصورات في البيوت فصرنّ يخرجنّ الى السينمات ، والحفلات ، وكنّ لا يدربنّ ماذا يجري في الدنيا ، فصرنّ يقرأن الصحف والمجلات . . . فهل هذه هي (النهضة) التي تسألني عنها ، ان كانت هي النهضة فاسمع « غير مأمور » رأيي فيها ، وان كانت النهضة (شيئا) غير هذا ، فأرجو منك ومن كتاب هذه المجلة وكتاباتها أن يشعر قولي به ، فاني أقرّ بأنني أجهله . أما تعلم المرأة ، وانشاء المدارس لها ، فلا أظن أن في الدنيا من يكرهه أو ينكره ، وانما نكره فيه أموراً كان يمكن أن نصلحها ، وأن ندفع شرها .

أكره من تعليم المرأة ، أن يكون البرنامج الذي تسير عليه هو عين

ما يسير عليه الطالب ، وأتمنى أن نجعل للبنات منذ الشهادة الابتدائية مناهج خاصة ، تقل فيها من العلوم النظرية التي لا يحتجن اليها كالجبر والمثلثات وعلوم الطبيعة وتفاصيل تواريخ الأمم البعيدة عنها ، ونكثر من دروس الصحة وتدير المنزل والتربية والأخلاق وما يتصل بحياتهم .
هذه واحدة .

والثانية اني لا أرى الاختلاط بين الجنسين في المدارس ، ولا في كليات الجامعة ، لا لموانع الدين فقط ، فقد يكون من القراء من لا يحرص مع الأسف على اتباع أوامر الدين ونواهيه ، بل لأن هذا الاختلاط اذا قلت نتائج السيئة في فرنسا وانكلترا وأميركا لطول اعتياد أهلها عليه ، فإن خطرهم شديد في بلاد خرجت رأساً من الحجاب السابغ الى هذا الاختلاط ، على قوة الغريزة ، وشدة الرغبة ، وطول الحرمان ، وهذه مصر جربت الاختلاط في الجامعة قبلنا ، ولا تزال الى اليوم تشعر بأضراره ، وقد ظهرت فيها رغبة قوية من الطالبات أنفسهن في الانفصال عن الشباب ، ومن شاء فليقرأ خبر ذلك في جرائد مصر ، وفي آخر عدد وصل الى الشام من (أخبار اليوم) .

وأنا مستعد للمناقشة في هذا الموضوع بلسان الواقع والعلم لا بلسان الدين ، فمن شاء فليناقشني . أما التسرع الى الرد علي بأن هذه رجعية وجمود ، فلا ينفع شيئاً ، لأنه لو كان كل جديد نافعا ، وكان كل قديم ضارا ، لكان أشد الأشياء ضرراً العقل ، لأن العقل أقدم من الشرع ، وكان أنفع الأشياء في هذا الباب مذهب العربي ، وأن نمشي في الجامعة وغيرها مثل الحيوانات ، لأن مذهب العربي أحدث المذاهب ...

وأما الحجاب ، فأنا لست عدواً له . ولكني لا أكره أن يكون سفور كسفور الراهبات أو الجليات ، سفور محتشم فاضل ، لا يعقب اختلاطاً غير مشروع ، ولا اغراقاً في الانطلاق غير معقول ، وقد فرغ

العلماء من زمن بعيد من تقرير أن الوجه ليس (في الاصل) بعورة .
وانما يغطى عند خوف الفتنة ، أي عندما يكون كشفه سبباً الى المعصية ،
وهذا مذهبنا (الحنفي) ، وسيغضب ناس من هذا الكلام ، ولكن هؤلاء
الناس سخفاء ، ينامون والسيل يطغى ، فلا يفيقون الا اذا قام مصلح
يعاود أن يضع السدود في وجه هذا السيل ، ومتى تكلموا أثبت لهم
أن " نساءهم سائرات مع القافلة لا الى السفور الشرعي ، بل الى التكشف
القيح كما صار في مصر ، وان لباسهن اليوم يختلف عما كن يلبسن "
من عشرين سنة .

وأما حبس المرأة في بيتها حبساً مؤبداً ، لا تخرج منه أبداً ، فلم يقل
به الشرع ولا العقل ولا هو بالممكن . ولكن الذي قاله الشرع هو نهى
المرأة عن أن تتبرج تبرج الجاهلية الاولى ، وعن أن تخرج مخرجاً
يؤدي الى الاضرار بخلقها الشخصي وبعفافها ، أو الى الاضرار بالاخلاق
العامة وبالعفاف ، ولا شك عندي أن خروج المرأة وحدها الى السينمات
أو الحفلات مما نهى الشرع عنه ، ولست أكره السينما لذاتها فالسينما
لغة من اللغات ، كلماتها الصور ، يمكن أن يعرض فيها الخير والشر ،
والنافع والضار ، وقد عرض فيها الحج ومنظر الكعبة ، فهي كالشعر كلام
حسنه حسن وقبيحه قبيح ، لكننا لا نجد فلماً نافعاً خالياً من الخلاعة
الظاهرة ، يستطيع رجل أن يأخذ معه الى زوجته أو أخته ويجلسها
بحيث لا تختلط بالرجال الاختلاط المحرم ، أو يرونها الرؤية التي تؤدي
الى الفتنة .

وأما قراءة النساء الصحف والمجلات ومعرفتهن ما يجري في الدنيا ،
فهو حسن ، بشرطين أن لا يكون ذلك شغل المرأة بحيث يشغلها عن
بيتها وزوجها وولدها ، وأن تختار أحسن ما يقرأ ، وتجنب المجلات التي
لا ثمره لها الا اضعاف الوقت ، ونشر الفساد في الارض ، وتلقين الفتيات
الصغيرات ودروس الغرام ، وفن المواعيد ، وقواعد القبل ، ولا يكون

هذا إلا بالاكثار من المجلات النسائية التي تجمع بين الفائدة والرشاقة،
والمنفعة واللذة .

فهل هذا ما تسمونه (نهضة المرأة السورية المعاصرة) ؟ وهل أنتج
هذا وجود طبقة من العالمات أو الاديبات ، يزاحمن الرجال في ميدان
العلم وفي مجال الادب ، بالفكر المبتكر والأسلوب المبدع ؟ وهل رفع
المرأة (السورية المعاصرة) عن أن تكون أمة لكل (موضة) حديثة، أو
بدعة جديدة ترد علينا من الغرب ؟ وهل جعل النساء المتعلقات اسمى في
تفكيرهن . ومعالجتهن لمشاكل الحياة ، وأحوالهن في غضبهن ورضاهن
من سائر النساء ، أم اقتصر الأمر على حفظ طائفة من المعلومات من غير
أن تمتزج بالنفس ، وتمثل في الفكر ؟ وهذا هو العدد الممتاز (أو المختار
كما تريدون) من هذه المجلة ، فأروني أين هي آثار هذه النهضة على
أقلام الكاتبات الفاضلات ؟ أين فيهن (مدام كوري) وأين (مي)
وأين (الخشاء) ؟

لا والله لست عدوا للمرأة . وكيف وأمي امرأة ، وزوجتي امرأة ،
وبنائي الأربع نساء ؟ لا ولكنني صديق لها . ومن صداقتي أقول هذا
الكلام .

ولهذا الكلام فضول وذبول ...



محاربة الشيوعية

جاء في (نصر) الأمس (أن) أئمة الأزهر يعدون فتوى تؤكد أن الدين الاسلامي يتعارض مع الشيوعية ، وأنهم سيقولون في ختام منشورهم أن " المسلم الحقيقي لا يمكن أن يكون شيوعياً " .
وأقول أنا : نعم ، ولكن لا يمكن أيضاً أن يكون (انكليزياً) ولا (أميركياً) ولا يستغل مبادئ الدين الصحيحة ، لخدمة أغراض السياسة الباطلة ، ونحن نكره الشيوعية ولا نرجو منها خيراً ، ولكننا نكره معها الديموقراطية لأنها لم نجد فيها خيراً ، وما من مصيبة نزلت بنا في هذي البلاد ، وفي فلسطين إلا كان سببها الانكليز أولاً وتلاميذهم الاميركان ثانياً ...

فلا تنسوا هذا يا سادتنا العلماء !
ثم ... خبروني يا أيها العلماء الأجلاء الذين سيصدرون هذا المنشور ، ثم يآوون الى بيوتهم العاصرة ، فينامون على فرش الحرير ، مستريحة ضمائرهم ، مطمئنة نفوسهم الى أنهم قاموا بما يجب عليهم ، فدفعوا عن مصر خطر الشيوعية ، وأتقذوها من شرورها ..
خبروني ، هل أنتم جادون ؟

هل تعتقدون أن الشيوعية تحارب بالفتاوى والمنشورات ؟
وهل تنفع بذلك هذه القطعان البشرية التي تعيش في مصردون عيش السوائم ؟
هؤلاء الحفاة العراة الجياع الذين يسكنون عشش الترجمان وبولاق وسفوح المقطم ؟

هؤلاء الرجال الذين كنت أراهم يقتسلون في النيل عراة كما خلقهم
الله تحت جسر الملك الصالح ، الذي يلتقي عنده خطا ترام وخطا أتوبوس ،
ولا يخلو ساعة من الناس ؟

هؤلاء الذين ينامون الليل كله تحت المقاعد العامة في العتبة الخضراء
وفي أصول الجدران ؟

هؤلاء الذين يفتك بأجسادهم المرض ، ويقتل نفوسهم الجهل ؟
هؤلاء الذين يفتقرون فلا يملك المليون منهم جنيهاً واحداً ليملك
الواحد من غيرهم مليوناً ؟

هؤلاء الذين يعمل الآلاف منهم في عزبة الباشا أو البك سنة ،
يجوعون ويتمبون ليقدموا له ما ينقذه هو أو ولده في (الاريزونا)
و (الاويرج) في ليلة واحدة أو ليال معدودات (١) .

هؤلاء الذين أبصرت بعيني أولادهم ينشون أكوام الزبل كالكلاب
ليلقوا فيها شيئاً يأكلونه ، على حين أن من كلاب الأغنياء ما له خادم
خاص لخدمته ، ونظام (ريجيم) خاص لطعامه ، وطبيب خاص لمعالجته ،
ومخصصات من الحليب واللحم والشوكولاتة تقدم له كل يوم ؟

أتظنون يا سادتي العلماء أن هؤلاء لا يسمعون بمنشوركم حتى
يلعنوا الشيوعية ومن جاء بها ، ويحمدوا الله على البعد عنها ؟
لا والله ، انهم سيصيرون من الشيوعيين ان أوهموهم أن في
الشيوعية خلاصهم ، وسيكونون مع الشياطين ان أخبروهم أن في ذلك
نجاتهم .

فان أردتم أن تعاربوا الشيوعية حقاً ، فعاربوها بنشر العدالة
الاسلامية ، وأذيعوا في الناس مؤكدين أن الدين يحارب هذا الظلم ،
كما يحارب الشيوعية ... والا فاسكتوا !

* * *

(١) كان هذا كله على عهد فاروق ، ومن أجله قامت هذه الثورة .

عتابا

كنا جماعة من الخلطاء ، وكان الراد^(١) يصدح بصوت خافت ، فلا يكاد يحس به أحد منا ، أو يلقي اليه بالا ، أو يشعر بوجوده ، وكان الحديث ثائرا بيننا ، كالعاصفة الهوجاء ، لا يتجه وجهة ، ولا يستقر في مكان ، تتكلم كالنساء ولا يصفي منا أحد ، حتى حط الراد على أغنية من أغاني العتابا الأصلية .. فأصاخ السامرون وأصفوا ، وفتر الحديث وانقطع ، وتعلقت بهذه الاغنية القلوب ، فانتقلت بها الى متعة الذكرى ، ونشوة الأمل ، وغاب كل واحد منا عن حاضره الذي يعيش فيه ، في سكرة من سكرات الاحلام ، ردت عليه سؤالي أيامه ، فعاد الى ملعب حبه ، وموسم قلبه .. وكذلك تصنع (العتابا) الأصلية في نفوس الشاميين .

هذه الأغنية الخالدة التي لا تمل ، ولا يرغب عنها ، ولا يزهد فيها ، الاغنية التي لا يدري أحد من نظم أول مقطع منها ، ولا يفكر في ذلك أحد ، لأنها صارت من ذخائر الأمة ، ومن (أملاك الدولة) ، كنفايس المتاحف ، وغابات الجبال ، ومنابع البترول ، يزيد كل مصلح فيها ، ولكنه لا يزال كل (جيل)^(٢) من الأمة يضم اليها دورا جديدا ، يذوب في الأغنية ويغدو منها .

الأغنية التي لا أول لها ، والتي لا آخر لها .
أغنية بلادنا : اثبتت من صخور لبنان ، شرقية وغربية وركويت من

(١) الراد كلمة وضعتها للراديو لأنه يرد الصوت ، ومحطة الاذاعة هي المذياع .

(٢) الجيل في اللغة الامة من الناس فالعرب جيل والترك جيل ، واستعمالها بمعنى البطن من الامة مولد .

ينابيع لبنان ، وتوشحت بسحر لبنان ، فلا تزال ترددها كل ذروة من ذراه ، ويصدق بها كل واد من أوديته وتهمس بها كل عين من عيونه ، وتوسوس بها كل ساقية من سواقيه ، وتشدو بها كل شجرة ، وتصدق كل حمامة ، ويلحن كل طائر ، فإذا غنى بها مغن معمود النقاد ، في أذن الليل المحالم غنت معه الجبال والأودية ، والينابيع والسواقي ، والشجر والطير فكان من ذلك (أوركسترا) عالمية خالدة لا تشبهها أغاني البشر .

فيها صور الوطن ، بقراه وحقوقه ، ومسراته وأهزانه والشباب العاشقين مع الفتيات القاتنات عند العين ، والشيخو السامرين على المصطبة في ضوء القمر ، ومشاهد البطولة ومعارض الكرم .
هذه موسيقانا ، منا ، والينا ، وفينا .

هذه التي نظرب لها ونهتز ، وندع لها وقارنا ، ونترك أحلامنا .
لا تلك الموسيقى الجديدة .. التي تتلوى بها الألسنة ، وتقلب الأصوات ويقول المغني : آه ... بصوت مخنوق متقطع ، تحسبه صراخ نساء قد أخذها الطلق ، فخرج نصفه حشرة ، وبقي نصفه عالقا في الحلق ، ولا الموسيقى الفرنجية ، التي تشبه أصوات خمسة كلاب ، وخمس قطط ، ربطتها ورحت تدعس على أذنانها فانطلقت تنبح وتموء بـ (المقلوب) ، وفي الطريق (طنبر) يمشي على الوعر ! !

هذه موسيقانا ، فردوها علينا ، واحفظوها لنا .

العقريات الضائعة

لقيت اليوم أجير لحام لا تزيد سنه على عشر سنوات ، ثيابه أسبال
مزقة قذرة ، وقدماه حافيتان ، والأوساخ تغطي وجهه فأغضيت عيني
عنه اشمزازا ، ثم لاحظت أن وراء هذه الأوساخ ذكاء يلوح في وجهه
وعينه ، كالشمس التي تلوح من وراء السحاب ، فكلمته فاذا هو أعجوبة
في حدة ذهنه ، ومضاء فكره ، ورأيته يجمع وي طرح الحسبة الكبيرة في
لحظة واحدة ، فقلت له لماذا لا تدخل المدرسة ؟ قال « وكاد الدمع ينبق
من عينيه » : أبي ميت وأمي ميتة ، وأنا أنا في بيت عمتي الفقيرة وأشتغل
لأكل ...

فرق قلبي له حتى كدت أبكي أنا أيضاً وواسيته بما أستطيع .
وجملت أفكر في أمثاله من الجاهلين الشاردين في الطرقات ، والذين
يحملون سلال الخضر ومعاجن ^(١) الخبز وصحون اللحم أو يكنسون
الطرق ، أو يسلكون سبيل الاجرام ، كم بينهم من فتى لو تعلم لكان
عقرياً نابغاً ، ولكن الفرق قد ساقه الى الجهل والجهل قد دفعه الى الهوان
أو الاجرام ، فخر نفسه وخسرته أمته ؟ ..

وكم بين القراء المجهولين مَنْ هو أقرأ من الشيخ رفعة ، وكم بين
العازفين المغمورين مَنْ هو أبرع من المروفين المشهورين ، وكم بين
المشايخ المتوارين ، مَنْ هو أعلم بالادب وفنونه ، واللغة وعلومها من
استاذ الجامعة ، وعضو المجمع ، ومدرس الجامع . وكم في البيوت
الحقيرة ، والخيام الصغيرة ، مَنْ هي أجمل من أستروليامز ، وريتا هيوارث ،

(١) المعجن منه العامي الفصيح .

وأشد سحراً ، وأقوى فتونا ... ولكن أناساً وقفوا تحت المصاييح ،
فكشفت فضائلهم ، وأناساً قعدوا في الظلام ، فلم يرهقهم إلا من يعرفهم !
وكم في عقلاء العامة من فيلسوف لو تثقف لكان هنري برغسون
العرب ، وكم في زجاليهم من شاعر لو تعلم لكان (شوقي) بعد شوقي ،
وكم في كتاب العرائض من محام لو درس لكان نابغة المحامين •
أفليس حراماً أن نضيع هذه الكنوز ؟ وأن تترك هذه اللآلئ
مطمورة في التراب ؟

وإذا كان مخرجو السينما يذرعون الأرض ، يفتشون عن الوجه
الجميل ، أو الصوت الفاتن أو الساق أو النهد ، ليعرضوه على أنظار
أهل الأرض •

فمتى تكون في الناس جمعيات خيرية ، تفتش عن النبوغ الكامن
والمبقيات المتوارية والكفايات الضائعة ؟



كلب !

حدثني رجل كبير القدر ، صادق اللهجة ، قال :

كنت في لندن ، فرأيت صفاً طويلاً من الناس ، يمشي الواحد منهم على عقب الآخر ، متدافعاً من وسط الشارع الى آخره فسألت ، فقالوا ، ان هنا (مركز توزيع) ، وان الناس يمشون اليه صفاً ، كلما جاء واحد أخذ آخر الصف ، فلا يكون تزاحم ولا تدافع ، ولا يتقدم أحد دوره ، ولو كان الوزير ، ولو كان أمامه الكناس . وتلك عادتهم في كل مكان ، على مدخل الكنيسة وعلى باب السينما ، وأمام بائع الجريدة ، وعند ركوب الترام ، أو صعود القطار .

قال :

ونظرت فرأيت في الصف كلباً في فمه سلة ، وهو يمشي مع الناس ، كلما خطوا خطوة ، خطا خطوة ، لا يحاول أن يتعدى دوره ، أو يسبق من أمامه ، ولا يسعى من وراءه أن يسبقه ، ولا يجد غضاضة أن يمشي وراء كلب ، ما دام قد سبقه الكلب .

فقلت : ما هذا ؟

قالوا ، كلب يرسله صاحبه بهذه السلة ، وفيها الثمن والبطاقة فيأتيه بنصيبه من (الاعاشة) ..

لما سمعت هذه القصة خجلت من نفسي أن يكون الكلب قد دخل في النظام ، وتعلم آداب المجتمع ، ونحن لا نزال نبصر أناساً في أكمل

هيئة ، وأفخم زي ، تراهم فتحسبهم من الأكابر... يزاحمونك ليصعدوا
الترام قبلك ، بعد ما وضعت رجلك على درجته ، أو يمدون أيديهم من
فوق رأسك الى شباك البريد وأنت جئت قبلهم ، وأنت صاحب الدور
دونهم ، أو يقفزون ليدخلوا قبلك على الطبيب وأنت تنظر متألماً من
ساعتين وهم انما وثبوا من الباب الى المحراب ؟

خجلت من رجال لم يتعلموا الانتظام ، الذي تعلمته الكلاب ؟



دفاع عن العربية

قرأت في (رسائل سائر) للعالم المصري محمد سليمان رحمه الله ، أنه ضل في شوارع أثينة ، فكان يسأل من يعرف أنه يعلم العربية فيفهم عنه بها ، ولكنه يرد باليونانية ، اعتزازاً بها وعصبية لها ؟ وسمعت ممن ساح في تركيا ، أنك لا تلقى فيها لوحة واحدة بلسان اجنبي عنها ، ولا تستمع فيها الا الحديث بلسانها .

وهذا دأب كل أمة حية في الدنيا ، تعتز بلسانها ، وتحرص على لغتها ، وتمدها أولى مفاخرها ، وعماد استقلالها ، فمالنا نحن نتظرف بالرطافة بلغات غيرنا ، ونحسب ذلك تمدناً ورقياً ؟ وما لشبابنا في الشام كانوا يعوجون لسانهم أيام الفرنسيين ليتحدثوا بالفرنسية ، فلما ذهب الله بفرنسا ، وصارت (الموضة) انكليزية صاروا يרטنون بالانكليزية ؟ وما لشباب لبنان يتكلمون بلسان خليط ، فيأتون بالفعل العربي وبالفعل الفرنسي ، وبالمبتدأ الفرنسي والخبر العربي ؟ وما (للاوساط الراقية) في مصر لا تنطق الا الفرنسية ، اي والله وان كلمتهم بالعربية لغة بلادهم ، احتقروك ولم يجيبوك ؟ وما لنسائنا يحسبن أن (كالسون) الفرنسية أرق من (سراويل) العربية ، و (ايشارب) أجمل من (وشاح) ، و (روب دوشامبر) أحسن من (برد) ، و (تايور) خير من (معطف) ، و (أوروفوار) و (كودباي) أحلى من (في أمان الله) و (مع السلامة) ؟ وما لتجارنا الذين لا يبيعون الا للعرب ، يكتبون لوحات مخازنهم بلغات الأجانب ، أو يكتبون الكلمات الاجنبية بالحروف العربية (لوفيسيل) و (ساش موديل) و (روكسي) و (هافانا) ؟

وقد عادوا الى هذه العادة القبيحة ، بعدما هجروها أمداً طويلاً !
أو ليس من أعجب العجب ، أن لغة العرب ، وهي معجزة البشر ،
في سعة مفرداتها ، وضبط قواعدها ، وحسن اشتقاقها وغزارة أدبها ،
وانها ولدت مع الدهر ، فلم يدرك طفولتها التاريخ ، ولم يعرفها الناس
إلا كاملة قد هجرها أبناؤها في بلادها ، وصاروا جاهلين بها ، وأن لغة
الانكليز ، وهي لمامة من اللغات ، ليس لها أصل العربية ، ولا شرف
نسبها ، ولا طهارة دمه ، وانها لغة لا قواعد لها ولا ضوابط ، ففيها
حروف تكتب ولا تقرأ ، وحروف تقرأ ولا تكتب ، والحرف يقرأ في
الكلمة على غير ما يقرؤه في الأخرى — صارت بفضل عناية أبنائها بها
وخدمتهم لها ، أشهر لغة في العالم ؟
آه لو ان العربية كانت لغة أمة كالانكليز ، أو لو ان الاسلام كان
دينهم ، اذن لرأيتم كيف تكون العربية في الدنيا ، وكيف يكون
الاسلام ؟

ولكنها مع الأسف لغتنا نحن . لغة القوم الأملئ أنا منهم ، فماذا
أستطيع أن أقول عنهم ؟
أسب نفسي وقومي ؟



عودوا الى محمد

هذا يوم مولد محمد — فيا أيها العرب جميعاً من مسلمين ومن نصارى ، مَنْ شاء منكم أن يعرف فضل محمد على العرب ، فليفكر أين كان العرب في التاريخ لولا محمد ؟

أي ثقافة كانت لهم وجماع ثقافتهم هذا الشعر : شعر بدوي فسي أغراض البدو ، وصور البادية ؟ أي عز كان لهم ، وملكهم في العراق مدير ناحية في دولة كسرى ، وملكهم في الشام عامل في مملكة قيصر ، أي جامعة كانت لهم وهم أشقات لا تربطهم أخوة المروبة ، بل تجمعهم رابطة القبيلة ، وكانوا مختلفين أبداً : اليمن تعادي عدنان ، وبكر تحارب تغلب ، وعيس تناوى ذبيان ، وكان أمرهم فوضى ، لا شرعة إلا شرعة القوة ، ولا حكم إلا حكم السيف ، وكانوا قابعين وراء رمالهم ، قانعين بسوء حالهم ، وبلاغة مقالهم ، على طيب المنصر ، ولقاء الجوهرة . فَمَنْ الذي بدلهم تبديلاً بين عشية وضحاها حتى كأن قد خلقوا به خلقاً آخر ؟ مَنْ صنع من انقسامهم وحدة لم تعرف لها الدنيا شبيهاً ؟ ومن جهلهم أمة علّمت أمم الأرض ؟ وأخرجهم من عزلتهم حتى فتحوا بسيفه الدنيا ، وهدوا بهديه العالم ، ورفعوا بيده رايتهم على كل أرض وتحت كل نجم ؟

مَنْ الذي أقام حضارة دمشق وبغداد وقرطبة والقاهرة والقيروان وأصفهان وبلخ ودهلي^(١) ، إلا محمد ؟

(١) هي بلدنا نحن واسمها عندنا دهلي وعند الانكليز دلهي .

مَنْ الذي أخرج القادة الذين كانوا عباقرة الميادين ، وأبطال
الحروب الأ محمد ؟

مَنْ نشأ العلماء الذين كانوا نبراس الدنيا ، وهداة العقول ، في
كل علم معقول أو منقول ، الأ محمد ؟

مَنْ مده للعرب أسباب المجد ، وأعطاهم مفاتيح الخلود الأ محمد ؟
أي مفخرة يفخر بها اليوم عربي ، لم تكن من صنع محمد ؟

احذفوا من تاريخ العرب كل شيء اسلامي ، ثم انظروا ماذا يبقى !
انه لن يبقى منه شيء ، الا المعلقات وخطة قس بن ساعدة ومعارك
البسوس وداحس والغبراء ، وقصر الخورنق في الشمال وغمدان في
الجنوب .. هذا الذي يبقى ، أما الحضارة التي دنا بها التاريخ ، وأفضلنا
بها على الناس ، وهذه الملايين من الكتب التي ألفناها ، ومئات الألوف
من العظماء الذين أنجبناهم ، وعشرات الألوف من المارك التي خضناها ،
ومناقب الحق والخير التي ملأنا بها الدنيا ، فهي كلها من آثار محمد ؟

فاذا احتفلنا اليوم بمولد محمد ، فانما نخفل بمولد المجد العربي
لأن تاريخنا الحق انما ولد يوم ولد محمد .

على ان هذا الاحتفال لا يجدي اذا كان أقصى مداه حفلة مولد
تقيمها الأوقاف في الأموي ، وحفلات تدعو اليها الجمعيات تلقى فيها
الخطب ، وتسمع فيها الأغاني ، ومقالات تنشر في الصحف ، ويبقى كل
شيء على ما كان عليه . ان الاحتفال بالمولد ان يكون لذكراه في حاضرتنا
مثل ما كان له في ماضينا .

وما كان الاسلام عمامة ولحية ، ولا كان تظاهراً وتفاخراً ، ولا كان
قرآناً يتغنى به للطرب ، ولا أحاديث تقرأ للتبرك ، ولا كان في المسلمين
مَنْ يكذب أو يفش أو يخون ، بل الاسلام عقيدة تفحم الجبال ، لا

يخشى صاحبها في الحق الفقر ، لأنه يعلم ان الرزق مقسوم ، ولا يخاف في الواجب الموت ، لأنه يوقن ان الأجل محتوم ، وعبادة اخلاص لا عبادة رياء ، وتدبر للقرآن وعمل به ، وصدق في القول وفي الفعل ، وأمانة في الغيبة وفي الحضور ، وعفاف في الخلوة وفي الملا ، واتحاد وتعاون على الخير ، وجهاد للنفس وللعدو ، وهذا هو هدي محمد الذي جعل أجدادنا ملوك الدنيا ، وسادة الأرض ، وهذه عاقبة تركنا هدي محمد : ذللنا حتى غلبنا على ديارنا اليهود ...

فاذا أردتم يا أيها العرب أن تحتفلوا بمولد محمد حقاً ، فعودوا الى محمد ، يَعتد لكم عزكم ، ويرجع مجدكم ، وتسودوا الدنيا مرة أخرى ...



بترول

قرأت أن أمير (إحدى المحميات العربية) سيصير عما قريب أغنى رجل في العالم ، وأن البترول الذي ظهر في أرضه .. سيأتيه كل سنة بـ ... بمبلغ نسيت والله مقداره من ضخامته ...

قرأت هذا الخبر فكنت من العجب أفقد عقلي .
أياخذ شيخ هذه المحمية وحده ثمن البترول ، ويتصرف فيه على هواه ، ويبيع به أمته ، بأمجادها وكرامتها ، للأجنبي ، ولا يقول له أحد : ماذا صنعت ؟

ومن أعطاه هذا البترول ؟ ومن كتب له به سند التملك ؟ ومتى صبه أبوه وجده في هذه الأرض ، وحفظه له ليرثه كما يرث عبادة آية ودار جده ؟

في أي عصر نعيش أيها الناس ؟
انه بترول هذه الأرض التي أكلت أجساد أجدادنا ، وشربت دماءهم : أرض العرب . فهل ترونها ادخرته في بطنها ثلاثة ملايين سنة ، حتى يأتي في آخر الزمان الشيخ الفلاني فيأخذه وحده ملكا خالصا له ، ليعطيه لأميركا أو لانكلترا ؟

اني لأسأل مرة ثانية : في أي عصر نعيش ؟
وأي هي ديموقراطية اميركا وانكلترا ؟ أمن شرع الديموقراطية ان تباع البترول في صحارى كاليفورنيا أن يكون ملكا لترومان ، بنعم بضمنه هو وأولاده وعبيده (ان كان له عبيد) ، ويسخر لشهواتهم ولذاذاتهم ، ويترك الشعب في بلائه وشقائه ؟

الديموقراطية كلمة يونانية الأصل ، جاءت من (ديموس) أي
الشعب ، وكل شيء في الديموقراطية للشعب ، وخيرات الوطن وبترو
الأرض لأصحاب الأرض .

فلماذا لا يكون بترو
أرض العرب العرب ، يستخر لمصالحهم
ويشترى به لهم المجد والقوة ، والحضارة والعلاء ، لماذا لا تصير به
أرض العرب جنات فيها من كل الثمرات ؟ وفيها المدن والمصانع والقلاع
والمدارس ، وفيها الطرق والجسور وكل ما أتتج المدنية وأثمر العمران ؟
أليس ملك الشعب ؟

اني لأسأل ، فهل من مجيب ؟ !



دموع

رأيت اليوم وأنا على (القوس) طفلاً أشقر جميلاً صغيراً جداً ،
يتسلق درج القوس ، فحسبته ابن أحد المتداعيات قد أطلقتته يبحث في
القاعة ، فهمت بزجره ، ولكنني رأيته يتقدم مطمئناً ثابت الخطى ، حتى
أقبل فوضع خده على ظهر كفي ، وجعل يتمسح بي كالقطعة الحلوة
الأليفة ، فنظرت إليه وإذا هو ابن الأخ الشهيد الذي قتل ظلماً : الشيخ
عادل العلواني ، فاستعبرت ورق قلبي وتركنه حيث وقف ، وخالفت
لأول مرة من عشرين سنة نظام الجلسات وقواعد المحاكمة ، مع أن ابنة
لي في مثل سنه جاءت مرة (واحدة) المحكمة مع أمها ، فنادتني وركضت
لتصعد القوس فأبكيتهما وأنزلتهما وأخرجتهما ، ولكن الطفل كان متعوداً
على ذلك أيام أبيه فلم أشأ أن أكسر قلبه .

وقال لي الطفل فجأة :

— صعي مات بابا ؟

فأحسست كأن قد وقع على وجهي سوط من نار ، ونفر الدمع من

عيني ، وانعقد لساني فلم أجب .

وسكت هنيهة ثم قال :

— وين بابا ؟ طوول ! ايمتى بدو يزي (يعني : يعني) .

فلم أنطق ، فقال :

— ليس (يعني : ليس) كل ما سألت عنه مامسا بتبكي ؟ الكبار

بيكوسي ؟ (شي) .

—

— ما عاد بابا زاب (جاب) لنا سكر وين بابا ؟
فأعطيته سكاكر كانت في جيبي فاشتغل بها ثم أقبل عليّ ورفع
وجهه اليّ ، وقال مهتماً :

— عمو ! نزلوا له الدم لبابا ، سفت (شفت) الدم ع الدرز (الدرج)
ليس نزلوا له الدم لبابا ؟ سوساوالون ، ليس ما يحبوه لبابا ؟ أنا بحب
بابا ؟

وتعطلت الجلسة ، وتحولت الى مناحة . النساء ينشجن والمحامون
والكاتب والمحضر وأنا كلنا غلبنا البكاء !



الاجاني المكررة

من الدروس القيمة التي تلقيناها عن أساتذتنا وصرت بفضل
نسيانها من الكتاب ، أن كل موضوع انشائي يجب أن يبدأ بوصف
الزمان والمكان والأشخاص .

وأنا أحب أن أعود اليوم الى الأخذ بهذه الدروس وأمرى الى الله .
أنا الآن في ادارة « الايام » ، والوقت صباح الأحد وقد جئت أدفع اليهم
كلمة اليوم ، وهي في جيبي ، ولكني تركتها وقمعت أكتب هذه الكلمة .
اني أريد أن أرفع شكاتي الى القراء الكرام ، نزلت من الدار ماشياً ،
أفكر ، فما وصلت الى قريب عرنوس ، حتى سمعت الى جنبي من دكان
يقال هناك ، امرأة تنادي تؤكد للناس أنها عصفورة : « أنا عصفورة .
أنا . أنا . أنا عصفورة » فأسرت فما خطوط خطوات حتى سمعت من
شباك البيت « أنا عصفورة » ، فجاوزته فطلع عليّ الصوت من القهوة
« أنا عصفورة » . . .

وهذا شيء حلو ، لاشك في حلاوته ، لفظ جميل ، وصوت عذب ،
ونغم مقبول ، ولكن المصيبة أننا سمعنا أمس الأول أيضاً « أنا عصفورة » ،
وقبل ذلك بيوم « أنا عصفورة » ، ومن أسبوع « أنا عصفورة » ، وقد
أحصيت على الاذاعة الى الآن ستاً وستين مرة بالعدد « أنا عصفورة . . .
أنا . . . أنا عصفورة » .

فهل هذا شيء يحتمل ، سألتكم بالله !
يسمع الانسان الأغنية أول مرة فيطرب لها ، ويسمعها الثانية
فيستحسنها ، ويسمعها الثالثة فلا يكرهها ، أما اذا أعدتها عليه الصبح

والساء ، وألقيتها في أذنه في البيت وفي الطريق فانها تصير عذاباً وبلاءاً .
أمسك رجلاً فقيراً ، لا يزال يشتهي البقلاوة ، فأطعمه قطعة بقلاوة
يلتهمها ويشكره ، أما اذا حبسته ثلاثة أيام لا تطعمه الا البقلاوة ،
تدسها في فمه راضياً وكارهاً ، جوعان وشبعان ، فانه يرى البقلاوة سماً
ناقماً .

فماذا تقول مديرية الاذاعة ؟

هل تنوي أن تسمعنا غداً « أنا عصفورة » ؟
هل تصر على أن تعيد على اسماعنا كل أغنية مائة مرة حتى نكره
الينا الفن ، وتنقص علينا لذة الطرب ؟



عصفور من الشرق

تأليف الأستاذ توفيق الحكيم

الأستاذ توفيق الحكيم من أكبر أدبائنا القصصيين . لا يكاد ينازع في ذلك أحد ، ومن أكثر الأدباء إنتاجاً وأخصبهم قريحة . عالج أنواعاً من القصة فوفق فيها وأتى بالمعجب المطرب ، ومن ذلك قصته الأخيرة « عصفور من الشرق » التي فرغت من قراءتها الآن ، فأحسست كأنني كنت في جنة سحرية ، ثم هبطت الى الأرض ، وتمنيت لو طال نفس الأستاذ فيها حتى ما تنتهي . وأكبر ما أعجبني فيها هذه النظرة الى الغرب وماديته ، وهذه القولة الجريئة في بيان حقيقة الغرب وتخلفه في ميدان الروح ، على سبقة في مجال المادة ، تلك التي لو قالها غير الأستاذ توفيق الحكيم لاتهمه هؤلاء المفتونون بالغرب من شباننا بالجمود والرجعية وما الى ذلك من الالفاظ التي حفظوها حفظ الببغاوات ، وما فتئوا يرددونها ترديد الحاكي ، فلما قالها الأستاذ الحكيم وهو الذي يمتزفون بأدبه ، ويقرون بسمو منزلته ، ويتمثلون بأقواله ، سكتوا ولكن على مضض . وهذه ميزة كبيرة للقصة ترتفع فيها الى صف القصص العالمية التي لم تنشأ لمجرد اللهو ، ولامتع القارئ بالجمال الفني ، وإنما جمعت الى الجمال الفني نظرة تحليلية اصلاحية عميقة ، غير أنني أخذت على القصة أشياء ، منها ما يتصل بالفن ، ومنها ما يمس الدين ، ومنها ما يعود الى اللغة . أسأل عنها الأستاذ الحكيم ، ليوضح منها ما خفي ، ويفتح ما استغلق .

أولها : ان القصة تكاد تكون مؤلفة من حلقات ثلاث لا صلة بينها الا صلة محسن الذي يمر فيها جميعا ، أندره وأمه المجوز وزوجها الهرم ، ودارهم التي وصفها المؤلف ويبيّن أنه لا مورد لشيخى الدار الا ما يأتي من محسن ، وبدا للقارىء أن بين محسن وأهل الدار أكثر مما يكون بين مستأجر وبين أصحاب المنزل . فلما انتقل محسن الى المنزل ، اقطع الحديث عن والدي أندريه وعن منزلهما ، على حين أن القارىء يتشوف للعودة الى حديثهما ، وما كان من أمرهما بعد انتقال محسن .

والحلقة الثانية : سوزي التي أحبها محسن وشغف بها ثم اتهمت العلاقة بينهما على هذا الشكل ، ولم يرجع لها في القصة ذكر ، مع أن القارىء يحب أن يسمع شيئا عنها ويمعجب من محسن هذا الذي كان مستهما عاشقا ، لا يفكر الا في هذه التي يحبها ، كيف ينساها أبداً ولا يجري اسمها على لسانه ولا تمر صورتها في جنانه ، ولا يبقى لها أثر في نفسه ؟ ما هكذا عهدنا المحبين يغفلون ، فأى حب هذا ؟

والحلقة الثالثة : ايفان الذي أنطقه المؤلف بأصح الآراء وأثمنها في حضارة الغرب ومذاهبه الفكرية ، وهي حلقة منفردة عن الحلقتين ، ولكنها حلقة مفرغة ، ليس فيها قصص ولا خرم .

أما ما يتصل بالدين ، فهو أن الأستاذ ينظر الى السيدة زينب نظر المسيحيين الى القديسين والشفعاء ، فيسميها حامية ، وينسب اليها الضر والنفع ، ويطلب منها ويتوسل اليها ، وهذا كله مخالف لروح التوحيد الذي جاء به الاسلام ، فليس في الاسلام حماة ولا وسطاء بين الله وعباده ، ولا ينفع ولا يضر الا الله ، واذا كان الله يقول لرسوله الأعظم : (ليس لك من الأمر شيء) واذا كان النبي يقول لابنته فاطمة : (يا فاطمة بنت

محمد ، لا أغني عنك من الله شيئاً) فماذا تصنع السيدة زينب للأستاذ الحكيم ؟ وكيف تحميه من الله الذي لا يشفع عنده واحد الا بأذنه ، فهل أذن لها الله بحماية الناس : أم ان من الناس قوماً (شرعوا لهم من الدين ما لم يأذن به الله) ؟

أما ما يعود الى اللغة ، فشيء يعرفه الناس من لغة الأستاذ ، لا حاجة الى بيانه .

هذا واني أهتبل هذه الفرصة لأرفع الى الأستاذ الحكيم تحياتي واكباري .



في الرياضة

- الرياضة ، أربع رياضات :
- رياضة للصحة والنشاط وابعاد الامراض .
- وررياضة لبقوة ولدفع العدوان .
- وررياضة لحوز البطولات والفوز بالاعجاب .
- وررياضة للنظام وللإستعداد للحياة العسكرية .

أما رياضة الصحة فهي التي لا يستغني عنها أحد ولا بد منها للطفل وللشيخ ، وللرجل وللمرأة ، وللصحيح وللعليل ، وأفضل أنواعها الحركات السويدية ، على نحو ما يجيء في الاذاعات صباحاً ، والمشي والسباحة واستعمال بعض الادوات كالكرات الخفيفة ومطاط ساندو ، على أن يختار كل امرئ ما يصلحه وما لا يثقل عليه وما يشير عليه به طبيبه ، وعلى أن يقرن ذلك بالغذاء الموائم ، والهواء النقي ، والمنزل الصحي ، ولو أن الموظفين الذين يمضون أعمارهم قاعدين على الكراسي ، وأمثالهم من التجار ومن لا يضطره عمله الى حركة ، اتخذوا لهم نوادي رياضية حقاً ، لا رياضية بالاسم ، وجاؤوا لها بمدرّب ، لاغتتهم هذه النوادي عن كثير من الأدوية وكثير من الهموم ولاشعرتهم لذة الحياة .

وأما رياضة القوة فهي للدفاع عن النفس ، ولا يقولن أحد أنا لا أعداء لي ، ولا خصومات ، فانه ليس من أحد منا الا وهو معرض يوماً الى سفيه سيء اليه ، أو مجرم يعتدي عليه ، وليس ينفع في هذا المقام كلام ، ولا تفيد نصيحة ولا تجدي محاضرة ، ما ينفع الا حيلة من حيل المصارعة اليابانية تقيد المعتدي ، أو لكمة على الفك تقعده ،

وأنا لا أريد أن يتعلم المرء المصارعة والملاكمة ليعدو على الناس ، بل ليرد بها عن نفسه العدوان .

وأما رياضة البطولات والألقاب فهي للأفذاذ من الناس الذين خلقهم الله لها وخلقها لهم وليست لنا ولا نحن لها ، لكن علينا أن نشجع القادرين عليها ، وأن نكرمهم وأن نعبد لهم طريق البطولة ، لأن المباريات اليوم كالحروب ، والأمة التي تظهر في حلقة مباراة ، كالامة التي تنتصر في ساحة معركة ، ثم ان في ذلك دعاية للوطن واعلاء لاسمه ، ودرساً لناشئيه ليسلكوا سبل القوة والرجولة .

وأما الرياضة النظامية ، فلقد كنا نشكو من اقتصار المدارس عليها ، فصرنا نشكو من اهمال المدارس لها ، وميل برامج الرياضة عنها الى (البين بون) كرة المنضدة ، والى أمثالها من اللعب التي لا تنكر فائدها ، ولكنها لا تغني عن الرياضة النظامية التي تعد الطلاب للحياة العسكرية وتجعل منهم جنوداً صفاراً .

وبعد ، فاني ما كتبت عن الرياضة ، ولست من أبطالها ولا من المعروفين بها ، الا لأنها من أعظم أسباب الشفاء من هذا الداء الذي استعصى على الشفاء ، وهو داء (المشكلة الجنسية) ، ولأن فيها (تسامياً) عن الشهوة ، ومنفذاً لها ، ومنفذاً (مؤقتاً) من هذا الكبت ، الذي يطوح بالشباب الى مهاوي الائم ، أو الى مساوي الاضطراب العصبي ، ولأنها من مقومات الأخلاق تعلم صاحبها الاعتماد على النفس ، وتنفي عنه الغرور عند الظفر ، واليأس عند الهزيمة . . . وان مزية الانكليز الكبرى التي مكنتهم في الارض انما هي (الروح الرياضية) .



موازين الرجال

أصبحت من أيام فوجئت رأسي من ثقله كأنه حجر رجمي ركب بين
كفني ، وكأنه من الصداق يدق من داخله بالمداق ، وكأن جفني
قد شدا إلى الأرض فما أفتحهما حتى يعودا فينطبقا ، ووجدت في حلقي
اذ أبتلع ريقى مثل حزمة الشفرة ، وفي كل مفصل من مفاصلي المفاصل ، وفي
أعصابي من الخدر مثل مشي الشمال ، ووقفت فاصطكت ركبتاي ،
ودير بي ، فعلت إلى الفراش ...

ولم يصدق أهل الدار أنني مريض ، لأنهم لم يروا عليّ لمرض أثرا ،
ولأن المريض عندهم إنما هو الشاحب المهزول البادي العظام ، وأكدت
لهم القول فلبثوا مكذّبين ، يعتقدون أنني أتدلل عليهم وأني أتكاسل
وأؤثر الراحة والاستمتاع برعاية المرض ، على إرهاق النفس بمعالجة
نسوان المحكمة ، وصبيان المدرسة ... ويشت من اقناعهم بمرضى
فأعرضت عنهم وتشاغلّت بالتفكير .



فكرت في هؤلاء الناس اذا كانوا لا يميزون المريض من الصحيح ،
والمرض شيء ظاهرة آثاره ، بادية أماراته ، فكيف يميزون الطبيب من
الخبث ، والصالح من الطالح ؟ وكيف يقيسون أقدار الناس ، وكيف
تكون عندهم موازين الرجال ؟ أو لا يخطئون في أحكامهم على الناس
خطأ أهلي في الحكم على مرضى ، اذ يقيسون المرض بالشحوب والهزال ،

وربّ شاحب هزيل ما فيه الاّ جلد على عظم وهو الصحيح المعافى الأيّد
القوي ، وربّ سمين يكاد يَنْفَرَزْر^(١) من كثرة الشحم واللحم ، وهو
مَحْمَلٌ أمراض وهو الضعف مجسّماً والمعزّ ؟

وفكرت فيّ أنا ، كيف أحكم على الناس ؟ فذكرت أنه يدخل عليّ
الرجل لا أعرفه فأحكم عليه بادي الرأي بشيابه ، فإن كان يلبس العمامة
والجبة أنزلته من نفسي منازل العلماء ، وإن كان بزيّ الفلاحين أحلته
محال الفلاحين ، فإذا تكلم بدلت رأبي فيه وحكمت عليه بكلامه ، فإذا
عاملته كان الحكم عليه بعاملته ، فهذه عدة مقاييس : الثياب والكلام
والمعاملة ، فأياها هو الصحيح ؟

ثم إن للناس مقاييس غيرها تعلو وتنخفض ، وتتسع وتضيق ، وتصح
وتفسد ، فهم يقيسون عظمة الرجل بتقاء ، وبعلمه ، وبماله وبجماله ،
وبقوته ، وبمنصبه ، بل إنّ فيهم من يتخذ مقاييس أعجب وأدنى ،
فصبّاغ الأحذية يقيس عظمة الرجال بلمعان أحذيتهم لا بعلمهم ولا
بفضلهم ، والخياط يعتبرهم بطولهم وعرضهم ، ومفتش القطار بدرجات
ركوبهم ، ونادل القهوة بحلوانهم^(٢) وأهل السجن يقيسون عظمة النزير
عليهم بجريمتهم ، فالقاتل أعظم من السارق ، وكلما عظم الجرم عظم
القدرة ، وعامة الناس العظمة عندهم بالشهرة^(٣) فإذا نزلت بلدهم المغنية
أو الرقاصة ارتج لها البلد وتسامع بها الناس وتباشروا بمقدمها وهرعوا
كلهم اليها ، وإذا هبطه الأديب المفرد ، أو العلامة العَلَم ، لم يدر

(١) فزره فانفزر ، فهو مفزور من افرق الكلمات في العامية الشامية
والمصرية وهي من الفصيح ، ومن استقرى وجد عامية الشام أفصح اللهجات
العامية .

(٢) النادل : صبي القهوة ، والحلوان : البقشيش وهو من العامي الفصيح .

(٣) الشهرة لا تكون في الاصل الاّ في القبيح .

بمهبطة الـ" القليل ، ولم يَسْنَع للسلام عليه الـ" الأقل منهم ، وتقرأ على
أحدهم المقالة تخبره أنها لرجل مغمور فيوسعها ذمًا وقبحًا ، فإذا أخبرته
أنها للكاتب المشهور انقلب القدح مدحًا والذم ثناء واكباراً ...
ولو سألت الخاصة ما هي مقاييس العظمة لوجدتهم مختلفين ،
وقديماً قال المثل السائر : « لو قلت للفرنسي فلان عظيم ، قال لك :
ما هي شهاداته ؟ والانجليزي يقول : ما هي معلوماته ؟ والألماني يقول :
ما هي أعماله ؟ والأمريكي يقول : ما هي آثاره ؟ » . أما نحن فنقول :
مَنْ هو أبوه ؟ لأن القاعدة عندنا اليوم ، أن مَنْ قصّر به نسه أو
نشه ، لم يسرع به علمه ولا أدبه !
فما هو الميزان الصحيح لأقدر الرجال ؟



وظائف الانشاء

ودخل عليّ الطيب، وهو ابن عمي وليدتي^(١) ورفيق في مدرستي،
فرآني أكتب . فقال : ما هذا ؟ أتجبر نفسك على الكتابة وأنت مريض،
أهي وظيفة الانشاء ؟ قبح الله وظائف الانشاء . قلت : ولم ؟ قال :
لأنني ما أفلحت فيها قط ولا أحسنت كتابتها . قلت : ليس بعجيب وأنت
طبيب أنك لم تكن تفلح فيها ، ولكن العجب بي أنا ، إذ لم آخذ في
الانشاء ما دون الدرجة الوسطى ، ولم يكن معلم يعتقد أنني أصلح
للكتابة ، وذلك أنهم كانوا يكلفونا الكتابة في موضوعات لا يكتب
فيها ، ولقد سئلنا مائة مرة هذا السؤال : (ماذا تحب أن تكون في
مستقبلك ؟) كان الدنيا تمشي على ما أحب وما أكره ، وكانوا يقدرون
الدرجة لا على حسن الكتابة بل على بعد المطمح . ولقد أبعدت فتمنيت
أن أكون ملكا وحاكما بأمره وشيخ اسلام وقائدا فاتها وما شئت من
بعيد الآمال فما أعجب المعلم شيء من ذلك ، ولا أعجبه أن أكون معلما
ولا شريطيا ولا تاجرا ولا لصا . وسئلنا عشرين مرة أن نكتب في (وصف
روضة) ، فكنت أكتب وصف بستان أعرفه ، فيه مزيلة وراء الباب
وساقية ماؤها عكر ، وغربان تصيح على الأشجار ، فلا يرضى عنه لأنه
يريد روضة ماؤها سلسيل وحصباؤها درة ، وعلى دوحها العنادل
والشعارير ، ومن أين أصل الى هذه الروضة حتى أصفها ؟ وأعجب
من هذا أنهم كانوا يكلفونا انشاء الحوار على السنة الحمير والقطط
 وأنواع البهائم ، وكيف لي بأن أفكر بعقل حمار حتى أتكلم بلسانه ،

(١) اللدة للرجل واللدات كالترب والأترب للمرأة .

كما يفكر الأستاذ المحترم حين يصصح الأوراق ويميز صادقها من كاذبها !
وما كان المدرسون ينظرون الى صورة بارعة أو معنى مبتدع ،
انما ينظرون الى كلمات جاءت على غير القصيح ، أو فعل عدوي بغير
الحرف الذي يتعدى به ، هذا لأن المدرسين كانوا لا يفهمون الا النحو
والصرف واللغة ، أما اليوم فلم يبق ولا هذا ، مع الأسف ، لأن أكثر
المدرسين تعلموا العربية في باريس على أصمعي العصر الشيخ مارسيه ...
والذين نجوا من هذه السبة بعثوهم الآن ليتعلموا في بلجيكا وسويسرا ،
أي والله ، بل ان شيخاً مدرساً في الجامع الأموي ، سيعثونه ليتعلم
علوم الدين في لندن !

على أن الذين تعلموا من طلابنا في الأزهر وجامعة مصر ، لم يكونوا
أقوى ولا أحسن من أولئك ... وهذه كلمة حق قلتها ورزقي على الله !



قيمة الفلسفة والادب

ولعل* المرض قد جعلني متشائماً أرى كل شيء في الدنيا أسود...
وكذلك الانسان يصيبه صدام يحتاج الى حبة (اسبرين) أو امساك
دواؤه شربة (زيت خروج) ، فتبدل نظرته الى الحياة وآراؤه فيها ،
فلو كان فيلسوفاً لكان متشائماً ، ولو كان شاعراً لكان شاعر أحزان ،
ولو كان قصصياً لكان مؤلف مأس وفواجع ..
أفتكون قيمة الفلسفة المتشائمة والادب الباكي ، قيمة حبة اسبرين
وشربة زيت خروج ؟ !



ثمرات درس الاخلاق

ونظرت من الشباك أتسلى ، وكان تحته كومة رمل أبيض وضعها
جارنا ووكل رجلاً وولده بنقلها الى حديقته . فأقبل تلاميذ المدرسة ،
فقال عفريت منهم : تعالوا نسرق من هذا الرمل ، فقالوا : ان الولد
يرانا . قال : نعمل مثل الراعي الكذاب الذي قال لنا المعلم قصته ، حين نادى:
الذئب الذئب ، فجاءوا فلم يروا شيئاً ، وضحك منهم ، فلما طرقه الذئب
حقيقة ونادى لم يجئه أحد ، قالوا : وكيف نفعل ؟ قال العفريت :
انظروا .

وأقبل كأنه يريد أن يسرق فنادى الولد أباه ، فترك عمله في الحديقة
وأقبل ، فلم ير شيئاً ورأى التلاميذ يضحكون فرجع ، وجعل التلاميذ
يأخذون من الرمل والولد ينادي فلا يرد أبوه ولا يصدقه ..
وكانت هذه ثمرة درس الأخلاق في المدرسة !!



الف جنيه مصري

وتركت الشباك ، وأخذت جرائد عتيقة فجعلت أصفحها ، فوجدت في احدها اعلانا عن جائزة قدرها ألف جنيه مصري لصاحب أحسن اقتراح يقدم الى المجمع اللغوي لاصلاح الكتابة العربية ... فمجت من هذه الخرافة التي لا تزال تتردد على الألسنة ، خرافة فساد الكتابة العربية وحاجتها الى الاصلاح ، وكنا نعتظم أن نسمعها من بعض الكتاب المجددين المفسدين ، فانعكس الزمان حتى صرنا نسمعها من ألسنة من أقيموا حراسا للغة القرآن وراث الجدود ، بل سمعنا من كبير فيهم قاصدة الظهر التي أفكرناها على الأتراك ، وذاقوهم غصصها ، فلما أبسنا هذه الأمة وأبى لها عقلها ودينها قبولها ، جاؤهم بها في ثوب جديد ، هو اصلاح الكتابة ، وأنا لا أدري والله أيجد هؤلاء القوم أم هم يريدون شيئا يعملونه ويتسلون به حتى لا يقال انهم يجتمعون على غير شيء ، ويأخذون المرتبات في غير عمل ، فان كانوا جادين فليعلموا أن كل تبديل في كتابتنا مهما قلّ يقطع صلتنا بماضينا ، ويجعل هذه الكتب بالنسبة للناسي الجديد كأنها مكتوبة بالكوفي لا يفهمها الا الخاصة ، وهو كما يبدو أقصر طريق لآبادة كتب الدين واللغة ، والقضاء على المكتبة العربية حتى تصير من الآثار القديمة ، وتعود كأنها اللغة الأجنبية التي لا تفهم الا بترجمة . ثم ما عيب كتابتنا ؟ مالها ؟ أنا أراها كاملة لا تحتاج الى زيادة ، صحيحة لا يعوزها الاصلاح ، بل هي تفضل من جهات كثيرة كتابة الأمم الأخرى .

ومن قال لهؤلاء الناس المحترمين، اننا أتباع لهم في كل ما يقررون ، نطيع أوامرهم ، ونمشي على آثارهم ، وفاتم بهم : تركع ان كبروا ،

ونرفع انحدوا ، كلا والله ، ولو أن مصر — لا سمح الله — قبلت بهذا ، ما قبلنا به نحن ، ولا أقرنا أي تبديل في كتابتنا ، لأننا نلج بذلك صدور أعداء الله وأعداء العربية الذين لا يغيظهم منا إلا أننا نتمسك بماضينا وعلومنا ، فنتخذ منها دافعا الى المعالي ، وعاصما من التردّي في هوة الالحاد والضياع .

ألا ان هذه الألف ، وهي تعدل تسعة آلاف ليرة سورية وزيادة ، ربح لمثلي عظيم ، وثروة ما ملكتها قط ، واني أستطيع كما يستطيع كل واحد ، أن يحصر ذهنه ساعة فيتخيل لها نوعا من (الاصلاح ٠٠٠) كما يتخيل اصلاح رجل من الرجال بتقصير أنفه ، وترقيق شفثيه ، وتطويل قامته ، ولكني لا أريد أن آخذ هذا المال حراما وقد جمع من أيدي الفقراء والمساكين ، وربما كان ثمن ألف فراش يبع بالمزاد العلني ، آخذ من تحت المكلف لما عجز عن أداء الضريبة ٠٠٠ فإذا كان يزيد عن حاجتكم ولم يكن من اتفاقه بدّ فردوه على هؤلاء الفقراء ، فما زلنا نسمع منكم ، وتقول جرائدكم ، ان في مصر المرض والفقر والجهل ، فهل داوئتم هذا كله وأصلحتموه ولم يبق الا اصلاح الكتابة ؟
يا سادة ، ان الكتابة العربية التي صلحت خمسة عشر قرنا وكتب بها عشرة ملايين كتاب ، تصلح قرنا آخر لتكتبوا بها كل سنة خمسة آلاف كتاب ، منها كتب الكفر والتضليل والتقليد الأعور والسخف المضحك ككتاب « هذه هي الأغلال » !

فكفوا عنا ، اتركونا ٠٠٠ اننا راضون بما نحن عليه ، فأريحونا واستريحوا !



هذه الكلمات

في أمثال العرب قولهم : « وقف حمار الشيخ في العقبة » ، ولهذا المثل قصة لست أرويها ، لكن أروي قصة الشيخ الذي وقف أمس في العقبة ، وظل واقفاً لا يتقدم خطوة حتى صدرت الجريدة وليس فيها « كلمة صغيرة » .

كان عندهم كلمة معدة لهذا اليوم ، ولكن سبباً سياسياً منع (أو توهموا انه منع) من نشرها ، وكان الرجل لابساً يهم بالخروج من داره الى المحكمة ، حينما هتفوا به (كلموه في الهاتف) يطلبون كلمة .. وكانت الساعة العاشرة ، وليس في ذهنه موضوع ، ولا في رأسه فكرة ، ولا في نفسه حماسة لشيء يقوله ، ولو كان له الخيار لآثر أن يقضي اليوم كله في فراشه ، مرخي الجسم والفكر والاعصاب ...

وقال في نفسه ، انه يوم كيوم الحطينة ، حين خرج يرجو أن يلقى أحداً فيهجوه فلم يجد غير نفسه فهجاها ، ولا بد ان أبصر في الطريق غليظاً أكتب عنه ، أو أرى مشهداً أصفه ، أو أسمع قصة أرويها ، فيكون من ذلك كلمة ، نملأ بها الفراغ ، ونشغل بها القراء ، ونأخذ عليها الأجر ...

ولكنه لم يسر الا قليلاً حتى لقيه صديق كريم ، حملة في سيارته الى باب « الايام » ، فدخلها خالي اليد من الكلمة ، خالي الرأس من موضوعها ، واستقبلوه بالترحيب ... وأدخلوه غرفة الأستاذ نصوح الأنيقة الهادئة ، وأجلسوه على مكتبه الفخم ، أي وراء المكتب كما هو

منهموم لا فوقه ، وقدموا اليه الورق الابيض والقلم الثمين ، وقالوا :
تفضل ...

وتفضل فقمعد وأمسك بالقلم وشرع يكتب ولكن عم ؟ لا يدري ؟
وسود ثلاث ورقات ، ولكن الله لم يفتح عليه شيء ، واستحيا أن
يواجههم فما كان منه الا أن استغل غفلة منهم ، وخرج على رؤوس
أصابعه واستلم الباب هارباً .

هذه هي قصة الشيخ الذي وقف في العقبة ، مثلما وقف حمارة من
قبل ... لا أرويهما ليضحك مني القراء ، فأنا لا أحب أن أضحك مني
أحد ، ولا لأن غريباً من مثلي أن يمجز عن كتابة ربع عمود وهو الذي
يكتب دأباً منذ ربع قرن ، فقد ارتج (اي اغلق) من قبل على أدباء
وخطباء ، كانوا أحد لسائنا ، وأذكي جنانا ، وأشد بيانا ، وهذا الفرزدق
شيخ الشعراء يقول : انها لتمر علي أحيان ، لقلع ضرر من أضراسي
أهون علي فيها من بيت من الشعر ، ولكن ليفهم الناس ، ان الكاتب
لا يخرج الكلام من جيبه ، ولا يطلعه من صندوقه ، ولا يملكه كلما
أراد ، لأن الكلام يذهب ويحيى ، ويطيع ويأبى ، فليفهم هذه الحقيقة
الاخوان الذين يقولون لي : اكتب لنا في موضوع كذا ، اعمل لنا
مقالة في أمر كذا ، فاذا لم تجبهم عتبوا عليك ، وظنوا بك البخل عليهم ،
والاعراض عنهم ...

وليدركوا صعوبة الكتابة كل يوم ، كل يوم في موضوع ، على
كثرة العمل ، وانشغال الذهن ، وضيق الوقت ، فلا يطلبوا من الكاتب
أن يوجد في كل كلمة ، وأن يجمع فيها جدة الفكر وصفاء الأسلوب
وحرارة الايمان ، فربما كتبها في الترام ، أو على مائدة الافطار أو اختلسها
من ذهنه ووقته اختلاصاً ؟

وأنا لا أفكر ما ربحت من هذه الكلمات الصغار من المال ، ومن
الاعجاب ، وما كان لكثير منها من الأثر في الإصلاح ، ولكنني لا أكتف
القرءاء مع ذلك ما خسرت فيها ، من الصور الاديبة التي أقتلها وليدة في ذهني
لأنصرف الى هذه الكلمة ولو اني تركتها تنمو وتكبر لكان منها روائع
في الادب ، لعل واحدة منها خير لي ، وأبقى لأسمى في دنيا الادب من
ألف من هذه الكلمات التي لا يعيش أكثرها أطول مما يعيش عدد
الجريدة ، وما خسرت من زخرف البيان ، وصفاء الديباجة ، ومختار
الكلام ، وما خسرت من أصدقاء كانوا يرضون عني أبداً اذ كنت أكتب
في الادب بعيداً ، بعيداً عنهم ، فلما نزلت الى ميدان الإصلاح واضطرت
أن أزيحهم من أمامي لأشق الطريق ، وأعيد الجادة نلت منهم فصاروا
أعدائي .

فهل أنا رابح أم خاسر ، وهل أستمر أم أعود الى صومعة الاديب ،
وبرجه العاجي ؟ لم أقرر الى الآن .



تكريم الاحياء

ذكرت البارحة معروف الارناؤوط الذي وليت تحرير جريدته سنة ١٩٣٠ وكتابة افتتاحياتها ، معروف الذي غشى للجمال ، وهتف للحق والخير وخلف في الادب والصحافة أئمن تراث فعجبت من الأدباء، وعتبت على الصحفيين كيف نسوه جميعاً وأهملوه حتى لم تقم له حفلة كيف يأتي يوم ذكره من كل سنة فلا يكتب عنه كلمة ولا ينشر من أدبه
فصل !

ومثله يوسف العيسى مَنْ كان في فن الصحافة اماماً .
وأعجب منهما النابعة البقري الذي قَصَفَ قَصَفَ الغصن الطري، بعد ما ملأ زهره الأرض عطراً ، شاكر الكرمي ، الذي أعطاه الله ثلاثة أخوة أدباء ، فلم يخطر على بال واحد من الثلاثة أن يفني لأخوة النسب ولا لأخوة الأدب ، فينفض (الميزان) حتى يخرج منها آثاره ، وينفض الأذهان حتى يجمع منها أخباره ، وتركوه ينسى خبره ، ويمحى أثره !
أهكذا أنت يا دمشق ؟

يمضي الأديب أو الصحفي فلا يذكره كاتب ولا يفني له أخ ولا صديق ؟

والعلماء ؟ هل كان حظ العلماء منك أوفر من حظ الأدباء .
من ألف في سيرة الشيخ بدر الدين علامة الدنيا ونادرة الفلك ؟
والسيد محمد بن جعفر الكتاني ؟ والشيخ عطا الكسم والشيخ نجيب كيوان والشيخ مصطفى الطنطاوي والشيخ ابي الخير عابدين والشيخ أمين سويد والشيخ مسعود الكواكبي والشيخ محمود ياسين ؟
ومَنْ كتب عن الشيخ عيد السفرجلاني الذي لبث سبعين سنة كوامل يعلم الناس ، حتى كان من تلاميذه الولد وأبوه من قبله وجده

من قبلهما ، وحتى صار نصف الكحول من المتعلمين اليوم من تلاميذه ؟
والشيخ عبد القادر المبارك أستاذ البلد ، والشيخ محيي الدين الخاني
شيخ المعلمين ؟ والذين مضوا من عباقرة الفن والصناعة وأعلام الخلق
والنبل والاحسان ، من كل رجل سيرته قصة بارعة من قصص الخير ،
ودرس قيّم من دروس الاخلاق ؟

واذا كنا ننسى الاموات لأنهم لا يذكرّون ولا يشكرون ، فلم لا
نكرم الأحياء من العظماء ونقوم بحقهم ، ونكرم جهادهم ؟
لماذا لا يقيم القضاء والمحامون حفلات التكريّم لشيخ القضاء
مصطفى برمدا واسمعوا لي أن أدع الألقاب فانما أكتب مؤرخاً وربّ
اسم مجرد هو أعظم من كل لقب .

ولا يقيم أهل العلم الحفلات للشيخ عبد المحسن الاسطواني ،
ولسليمان الجوخدار ، وابي الخير الميداني ، ورجال التعليم لشيخوخ
التعليم سعيد مراد وعبد الرحمن السفرجلاني ومصطفى تمر ،
وأهل الأدب كمحمد كرد علي والمغربي والجندي والبزم .
والجامعيون لشيخوخ الجامعة شاكّر الحنبلي وعبد القادر العظيم
وفارس الخوري وجميل الخاني ومصطفى شوقي وسعيد المحاسني^(١) .
وأمثالهم وأمثالهم من رجال السياسة والعلم والأدب فما أردت
الاستقراء انما أردت التمثيل — من كل من بذل عمره يعمل لهذه الأمة ،
فبنى رجالاً وأحدث نهضة ، وأحيا هذا الوطن .

اني أرجو ألا تذهب هذه الكلمة كما تذهب صيحة على شاطئ
البحر الهائج ، لأن الأمة لا تكرم نابغيها ولا تقدر رجالها ، يقل فيها
النبوغ ، وتفقر من الرجال .

(١) توفي بين نشر هذه الكلمة ، وطبع هذا الكتاب : برمدا والجوخدار
ومراد والبزم وكرد علي والحنبلي والخاني والمحاسني ، ولم تقم لواحد منهم
حفلة تأبين .



المنهج الرمزي كما افهمه

يقف الشاعر على الطريق فتمر به مئة امرأة ، ما فيهن الا جميلة فتاة تستهوي القلب وتستميل الفؤاد ، وما واحدة منهن تشبه في جمالها الأخرى ، فلكل (جمال) طعم في الذوق ، وأثر في النفس ، ومعنى في الحس . ويسمع مئة صوت ما فيها الا مطرب يهز ويشير ، ولكن للبيات (طرباً) ليس للرصد ، وفي الصبا ما ليس في النهاوند . ويشم عشر زهرات فلا يجد فيهن الا طيباً وعطراً ، ولكن أثر الياسمين في النفس غير أثر الورد ، وفي الزنبق ما ليس في البنفسج ، وربما رأى المرأة أو سمع النغمة في حال ، فأثارت في نفسه عواطف لا تثيرها في حال أخرى ، فإذا جاء يصور بالالفاظ هذا العالم الزاخر من (المشاعر) والخواطر لم يجد لهذه الآلاف المؤلفات ، من (المشاعر) المختلفة ، والخواطر المتباينة ، الا ألفاظاً قليلة لا تقوم لهذه الكثرة ، ضيقة لا تتسع لشيء من هذه التفاصيل ، ميتة لا تستطيع أن تجاري هذه القافلة الحية المتويزة من الخواطر والأحلام الانسانية ...

ويقراً القصة من القصص ، أو الأبيات من الشعر ، فتنقله الى دنيا أخرى يرى فيها ما لا تراه عيون أكثر الناس ، ويدرك من جمالها وسحرها ما لا تدركه قلوبهم ، فإذا عمد الى حصر هذه الدنيا في نطاق من الالفاظ تفلتت منه ومضت ، كما يمضي عبق الزهر اذ ينبث في الجو ، وهبط من بعدها الى أرض الحقيقة الصلدة ، كما هبط آدم من جنته^(١) الى الأرض ...

(١) الاصح ان الجنة التي كان فيها آدم في الارض وليست الجنة الموهوبة دار الخلد ، وهذا ما عليه أكثر العلماء

ويسمع الأغنية الحاملة تخرج من قلب عاشق مشوق ، فتطفو على وجه النسيم العليل ، في الليل الساجي ، ينادي بها الليل ، والليل معرض لا يجيب ، فتهاز الأغنية اذ يسمعها (شاعريته) فتسقط أنضج ثمارها وأحلاها ، فاذا راح يجمعها ليودعها ظروف الألفاظ ، طارت من بين أصابعه كأنها حباب الخمر ، أو خيوط النور ...

ويحلم نائماً أو مستيقظاً فيجد لهذه الرؤى والأحلام متعة وجمالاً يملأ جوانب نفسه ، ويصل الى قرارة قلبه ، ويصحو منها ولذتها في حسه ، وأثرها في نفسه ، وبقاياها في ذاكرته ، فاذا أراد أن يضع وصفها على لسانه ، خاتته الألفاظ ساعة الشدة ، وفرغت منه ولم تسعفه ...

فماذا يصنع الشاعر ؟

أيقنع من الشعر بوصف الحالات النفسية الواضحة الدائية ، ويدع كل سام منها رفيع ، أو غامض مقعد ؟ وتصوير مشاهد الطبيعة الجامدة دون أن يفيض عليها أفكاره وأحلامه وذكرياته ؟ اثنه ان فعل كان كمن يأخذ الأصداف والديدان من شاطئ البحر مجتزئاً بها عن كل ما في البحر من لآليء وأسماك ، فماذا يصنع ؟

فكتر في ذلك ناس من شعراء أوربة فرأوا أن الخصلة من شعر الحبيب ، تذكر المحب بأيام الغرام ، وتتلو عليه (وهي خرساء لا تنطق) تفاصيل أحداثها حتى كأنه قد رجع اليها ، والنشيد الحربي يقص على الجندي الهرم أنباء معاركه التي خاضها ، وصورة برج ايفل يعيد للباريسي النازح ذكريات بلده الذي فارقه ، وما خصلة من الشعر وما النشيد وما الصورة ؟ انها رموز (Symboles) تستدعى في الذهن صوراً وحقائق على طريق (تداعي الأفكار) كما تذكر صورة الكعبة

بالحج ، و (جون بول) بانكلترا ، والاهرام بمصر ... فلماذا لا نرمز لكل حالة نفسية غامضة برمز يذكر القارئ بحالة مثلها كان وجدها ، اعتماداً على (تداعي الافكار) وعلى أن نفوس البشر متشابهات في الجملة في حالاتها الكبرى ؟

وقد حاولوا أن يفعلوا ذلك فنشأ ما ندعوه بالمذهب الرمزي (Symbolisme) ، فليس الشعر عند الرمزيين أن تصف الحبيب بل ما يثير في نفسك الحبيب من عواطف ، ولا أن تصور مشهد الطبيعة بل ما يبعث المشهد فيك من خواطر . وإذا كانت هذه العواطف والخواطر غامضة ، فليكن الشعر غامضاً مثلها ، على أن يثير في السامع أمثالا ، ويحضر له نظائرها . وأول شرط للشعر عندهم هو أن يكون وقعه في الأذن جميلاً بارعاً ، وأن يكون لألفاظه رنين اللحن الموسيقي . والشرط الثاني هو أن يملو بسامعه ، ويحمله الى أسى الحالات النفسية . قال عميد الرمزيين پول فرلين (Verlaine) : « الشعر ما انبعث من قرارة النفس ، ورفع الى ذروة السماء ، وكان موسيقياً قبل كل شيء » . وهذه غاية ما نظر الى أبعد منها أديب ، ولكن هل بلغ الأدباء الرمزيون هذه الغاية ؟

الجواب : لا ، وإن نهاية ما وصلوا اليه أن جاءوا بشعر في ألفاظه موسيقية وجمال ، يلوح من ورائها معنى فيه من (تلك) الحالات النفسية غموضها ، ولكن ليس فيه سموها ولا عظمتها ، ولا يدنى منها ولا يوصل القارئ اليها .

هذا ما عندهم ، فما الذي عندنا ؟

الذي رأيناه عندنا الى الآن : أفكار مهووسة مضطربة في رؤوس أحب أصحابها التعبير عن أفكارهم بالشعر ، ولم يثروتوا ملكته ، ولا

أعدوا له عدته ، ولم يعطهم الله (شعور) الشاعر ، ولطف حسنه ،
وصفاء نفسه ، فاستعاضوا عن ذلك كله بالانتماء الى المذهب الرمزي ...
ولا يكلف ذلك من يريد الا أن يكتب في رأس قصيدته ... أو
مصيته التي يجب أن ينزلها بالقراء ، كلمة (من الشعر الرمزي) وأن
يلقى صحفياً أحقق ينشرها له ...

وكل الذي قرأناه الى الآن من هذا الشعر ... الرمزي ، قطع هي
أبعد عن الموسيقى من بُعد الارض عن السحاب ، وبُعد اصحابها عن
الشعر ، وهي تنزل بقارئها الى أحط دركات الاشمزاز و (القرف ...)
بدلاً من أن ترفعه الى السماء التي ينظر اليها (فيرلين) عميد الرمزيين
الأصليين لا القردة المقلدين ...

لا . لا هذه ولا تلك ، فالرمزية الحقيقية حلم جميل ولكنه مناف
لطبائع الأشياء فلا يتحقق أبداً ، ورمزية أصحابنا ... (تهريج) ثقيل ،
وتقليد بشع ، وعدوان على الفن ، فلا تسخل حرم الشعر أبداً ...
انها رطانة بحروف عربية ، و (شعر ...) ولكن لا شعور فيه ولا
موسيقى ولا حياة .



النثر والشعر في المدارس

كنت كلما درست الأدب العربي أعجب لما أجد من انصراف الطلاب عن نثره الى شعره ، على حين أنهم أميل الى النثر في الأدب الفرنسي منهم الى الشعر ، ففكرت فرأيت أن السبب في ذلك المناهج .
والذي تقرر المناهج تدريسه من النثر العربي في مصر والشام والعراق لا يخرج في جملة عن رسائل مئة لا روح فيها ، أو فقرات جامدة مسجعة أو غير مسجعة ليس فيها وصف يهز القلب ، أو معنى يوقظ الفكر ، حتى أن ما يختار لمثل الجاحظ وهو في رأيي أحد الخمسة الذين انتهت اليهم امامة النثر العربي (الجاحظ وأبي حيان التوحيدي والغزالي وابن خلدون ومحيي الدين بن عربي ^(١)) هو من الممل " المضجر كوصف الكتاب وصفاً هو مجموعة جمل مستقلة تشبه حكم آثم بن صيفي ليس بينها ارتباط ، ولا يفسدها التقديم فيها ولا التأخير ، يصعب استظهارها وحفظها ، مع أن للجاحظ المعجب المطرب ، والمبهج المرقص من القصص والأوصاف ، فكان من ذلك أن رغب الطلاب عن أدبنا وكرهوه ، وآثروا عليه الأدب الفرنسي ، لأنهم وجدوه أقرب الى قلوبهم ، وأدنى الى أفكارهم .

ودواء هذا الداء أن يخرج واضعو المناهج من هذه الزاوية التي حبسوا أنفسهم والطلاب فيها ، الى فضاء الأدب ورحبه ، ويدعوا صاحب والقاضي الفاضل ، وهذه الرسائل الباردة ، وهذا الأدب الميت الذي لا روح فيه ولا جمال ، ولا يصح أن يكون مثلاً يحتذى ، ودليلاً يتبع ، ولا يجوز أن يعرض على الطالب الا على أنه لون من ألوان الكتابة ،

(١) انما أردت اسلوبه لا عقيدته .

فيدرسه دراسة المؤرخ له ، لا دراسة التأدب به ، ويفتشوا بين العلماء والصوفية والمؤرخين عن ذوي الملكات البيانية ، فيجدوا فيهم من لا يعد معه أدب صاحب وعبد الرحيم البيساني الا لعب أطفال .

أذكر على سبيل المثال (ابن الجوزي) في كتابه صيد الخاطر وموضوعه ظاهر من اسمه ، وهو خواطر كانت تخطر له فيدونها في هذا الكتاب ، وليس في هذا الكتاب بلاغة الجاحظ وابن قتيبة ، ولا صناعة ابن العميد ، ولا فحولة الجرجاني ، ولكن فيه شيئاً ليس مثله عند أولئك جميعاً ، هو هذه السهولة وهذه السلاسة ، وهذا الصدق في تصوير الخواطر ، وهذا الإلمام بالمسائل النفسية والاجتماعية والدينية ، وما فيه من وثبات ذهنية عجيبة ، وما يقوم به من تحبيب الأدب الى الطلاب ، وهذا الكتاب لو نشر اليوم على أنه لبعض الكتاب العصريين ، لقامت له الصحف الادبية وقعدت ، وهلت له وكبرت ، وأحلت له الذروة والسنام .

وأذكر (ابن السماك) هذا الرجل الذي تدل الفقرات القليلة التي رويت له على أنه أحد أفراد الدنيا في بلاغة القول ، وصفاء الأسلوب ، وعلو التفكير ، ولم يفكر مع ذلك أحد في استقراء أخباره ، وتتبع آثاره ، و (ابن حزم) في (طوق الحمامة) و (ابن القيم) في (روضة المحبين) وابن داود الظاهري ، والطبري والغزالي ، وابن عربي ، وأبي حيان ، والشافعي ، وأمم لو أحب واضعو المناهج العناية بأدبهم ، لوجدوا شيئاً ينسبهم وينسي الطلاب صاحب بن عباد وأضرابه .
وأفضل من هذا كله النصوص الكاملة التي جاءت لأخبار السيرة كـ (قصة الافك) على لسان عائشة ، أو (حديث طلاق امهات المؤمنين) على لسان عمر ، وقصة (كعب والثلاثة الذين خلفوا) .



الكتب المدرسية والكتب الادبية

زرت من سنين أحد (الناشرين) في دمشق ، وكان عنده صديقي
الاستاذ التنوخي ، ومعه كتاب (المثني) لأبي الطيب اللغوي الامام
العَلَم قريع ابن خالويه ، وزميله في بلاط سيف الدولة . وقد وقع على
النسخة الوحيدة منه التي ليس لها في الارض ثاية ، بدليل أنها ليست
في خزانة من الخزائن العامة في الشرق ولا في الغرب ، وأنه أعلن في مجلة
المجمع العلمي العربي السؤال عنها فلم يكن عند أحد علم بها . والنسخة
صحيحة مقابلة بالأصل (أي بنسخة المؤلف) عليها تعليقات بخطوط كبار
العلماء كابن الشحنة وغيره ، فاشتغل بنسخها وتصحيحها ومعارضتها
بكتب اللغة أمداً طويلاً فرأيت أنه يعرض عليه طبعها بشرط واحد :
هو أنه لا يشترط شرطاً . . . ولا يريد مالا ولا يتنفي على تعب أجره .
وعند الناشر (معلم) يعرض عليه كتاباً في القراءة والمطالعة كل عمله فيه
أنه نسخ من كتب الأدب قصصاً وأحاديث كتبها في أوراق ثم جمعها
فخاطمها فجعلها باذن الله كتاب مطالعة للصفوف الثانوية ، وهذا المؤلف
بأبي الا أن يكون له أربعون في المائة من النسخ المطبوعة ثمن (تعب ٠٠) !
وقد مررت الآن سنوات على هذه المقابلة طبع فيها هذا الناشر مائة
كتاب مدرسي ، وكتاب المثني لا يزال مخطوطاً في دار أبي قيس .



أدباء المجالس

من الأدباء مَنْ كنت أقرأ له فلا أبتغي بلاغة ولا تسنن ولا بياناً إلا وجدت عنده فوق ما أبتغي ، فأتخيل شخصه ، وأتوهمه على أوفى ما يكون عليه المتفوه اللسن ، ثم ألقاه فألقى الرجل الساكت الصموت ، الذي لا يكاد يتكلم حتى تكون أنت الذي يسأله ويدفعه الى الكلام ، وإذا تكلم أخفى صوته ، ولطف حروفه ، حتى لا يسمع منه ولا يفهم عنه ... ومن الأدباء من ألقاه في مجلس فأجد المحاضر الفياض الذي ينتقل من نكتة الى نكتة ، ومن قصة الى أبيات من الشعر ، فيبتدع لها المناسبات ، ويلقيها بصوت قوي ، ويتكلم على الحروف ، ويعظم مخارجها ، فأكبره وأعظمه وأسأله أن يكتب مقالة ، أو ينشيء فصلاً ، فيفرّ منه فراراً ، ويسوف ويعتذر ... فإذا أخرج وكتب جاء بشيء هو أشبه (بسفرة المسحّر) فيها من كل طعام لقمة ، ولكن الحلو مع الحامض ، والحر مع البارد ، وكل طعام مع كل طعام .

وقد تبعت أحوال هؤلاء ، فوجدت أكثرهم على غير علم ولا اختصاص ، ولا يطالع بجد ، ولا يبحث بامعان ، ولا تدع له (المجالس) وقتاً لدرس ولا بحث ، وإنما يحفظ الرجل منهم طائفة من الأخبار الأدبية والنوادر فيحملها معه أياماً يعرضها في كل مجلس ، ويعيدها بعينها ، حتى تثرث وتبلى وتصبح كالثوب المخلّق ، فيعمد الى غيرها فيصنع به مثلاً صنع بها ، ولا يدرك الناس الفرق بينه وبين الأديب المبدع الباحث ، فيطلقون على الاثنين اسم الأديب ... فمتى يميّز الناس بين الأديب الحق ، وبين (أديب المجالس) ؟



مجمع الشريعة الإسلامية

أخبروني أن عالماً في دمشق يفتي الناس بأن الورق السوري (البنكنوت) لا تجب فيه الزكاة لأنه ليس بذهب ولا فضة ، ويقول بأن هذا هو الحكم في المذهب الشافعي مع أن النقد في سورية كله من هذا الورق ، وأن الفضة فقدت خلال الحرب ، وأن التعامل بالذهب ممنوع ، فتكون فتوى هذا العالم الفقيه ... إنما هي فتوى بمنح الزكاة ، وهذه الفتوى على فسادها وضلالها وأنه لا يقول بها مذهب شافعي ولا مالكي ولا يقول بها مسلم عاقل ، وأن هذا الشيخ الفاضل الذي ينكر أن يكون الورق السوري مالاً يقبض في آخر الشهر راتبه ورقاً سورياً ، ويشترى به خبزه وجبته ، ويقاقل أن منع عنه ... أنها على هذا كله قد وجدت من يأخذ بها ليتخلص من الزكاة ومن يرد عليها .

وأخبروني أن عالماً آخر أفتى بسقوط فريضة الحج في هذه الأيام ... ونسب الفتوى إلى مذهب الشافعية ، ورحم الله الشافعي كم ينسب إليه . وأخبروني بأن المناقشات قائمة بشأن الربا ، وهل تعد المعاملات المصرفية منه أولاً تعد ؟ ١٩ وبشأن رؤية الهلال وكيف يشبت دخول الشهر ، وبشأن التوسل ، وكرامات الأولياء ، وبشأن الطلاق ... إلى غير ذلك من المشاكل الفقهية التي تحتاج إلى مرجع يرجع إليه فيها .

وكنتم قد سمعت من الاستاذ القاضي العالم الشيخ فرج السنهاوري

لما زرت مصر أن الملك ، كان عازماً على انشاء مجمع للشرعة على نحو
مجمع اللغة العربية ، يكون من عمله ردّ الشبهات ، وحل المشكلات ،
والافتاء ، ووضع مشروعات القوانين ، فلماذا لا يقوم بذلك الجامع
الازهر فيضم هذه المنقبة الى مناقبه الكثيرة ، فيرضي بذلك الله ، ويحقق
رغبة المصلحين ، ويجدد للمسلمين دينهم ، ويسنّ سنة في الاصلاح
يكون له أجرها وأجر من عمل بها الى يوم القيامة ، وينقذنا من هذه
المناقشات ، وهذه المجادلات ، وهذه الجرأة على الافتاء ؟



الدين والسياسة

أئني (اندره موروا) على (بول فاليري) لأنه يبدأ أبحاثه بتحديد معاني ألفاظ العنوان ، فإذا كان الحديث في علاقة الدين بالسياسة وبالعلم بدأ بتعريف معنى الدين والعلم والسياسة .

وهذه هي بذاتها طريقة علمائنا الذين قرروا في علم أدب البحث (وهو علم ترك الناس الاشتغال به مع الاسف) ان أساس كل مناظرة هو تحديد معاني الالفاظ حتى يكون كلام المتناظرين عن شيء واحد معروف متفق عليه .

ونحن نسلك اليوم هذه الطريقة فما هو الدين ؟
ان الدين كما عرفته دائرة المعارف الفرنسية وكما هو متعارف بين الناس (هو ما يحدد صلة الانسان بالله وبالمغيبات عقيدة وعبادة) .
أما العلم فان أحسن تعريف رأيت له هو تعريف (سارتون) وهو ان العلم مجموعة معارف محققة ومنظمة .

وأما السياسة فانه من الصعب وضع تعريف لها جامع مانع ، لأن معناها غير محدد في أذهان الناس ولا ثابت ، ولكنها لا تخرج في الجملة عن أنها ما يحدد صلات الشعب بالحكومة ، وصلات الحكومات ببعضها ، وهذا تقريب لها وليس بالتعريف .

ولا شك أن من الواجب فصل الدين بهذا المعنى عن السياسة وعن العلم هذا متفق عليه — ولكن تعالوا نفتح كتاباً (أي كتاب) من كتب الفقه الاسلامي ، ونقرأ فهرسه — اننا نجد ان فيه :
قسماً للعبادات : الصلاة والصيام والزكاة والحج .

وقسما للحقوق المدنية : البيع والاجارة والكفالة والوكالة والرهن
الخ ...

وقسما للاحوال الشخصية : الزواج والطلاق والنسب والحضانة
والوصية والميراث .

وقسما للحقوق الجزائية : الحدود والتعازير .

وقسما لأصول المحاكمات : الدعوى والخصومة والبيئات والقاضي
وحقوقه والواجبات عليه .

وقسما لأصول الحكم : الخلافة والولاية وحقوق الولاة وواجباتهم .

وقسما للحقوق الدولية الخاصة : حقوق غير المسلمين من ذميين
ومعاهدين ومستأمنين ومحاربين .

وقسما للدولية العامة وصلات الدول الاسلامية بالدول الاخرى في
السلم وفي الحرب .
وقسما للاخلاق .

هذا كله موجود في كل كتاب فقه ، وتحت كل عنوان من هذه
العناوين نظريات ومبادئ وآراء ومناقشات ، لا تختلف أبداً عما كتب
في الحقوق الرومانية قديماً والفرنسية والانكليزية وغيرها حديثاً ، بل
هي أعمق منها وأصح وأوسع ، وهذا كله يسمى بـ (الاسلام) .

فالاسلام اذن ليس ديناً فقط ، ولكن فيه ما هو دين (العقائد
والعبادات) ، وفيه ما هو علم (النظريات والابحاث الحقوقية) ، وفيه
ما هو تشريع وما هو سياسة فما كان منه ديناً لا صلة له بالسياسة .

ولكن ما بال سائر الابواب ، ولماذا يكون كتاب الحقوق المدنية
الذي يدرس في كلية الحقوق علماً ولا يكون الجزء الخاص بالحقوق
المدنية من حاشية ابن عابدين علماً ؟ هل عيها أنها تؤيد النظرية الحقوقية

بقول الله وقول رسوله ؟ ولماذا تقتبس القانون المدني من كل قانون أو كتاب حقوقي في الدنيا إلا من كتب الفقه مع أنها أغزر مادة ، وأمس بنا وبحياتنا وأوضاعنا ، لماذا ؟ هل يمل ذلك إلا بأنه تهليل وفقدان للشخصية واضاعة للكرامة ؟

فقاعدة فصل الدين عن السياسة تصح في الاسلام (بهذا الاعتبار) كما تصح في غيره ، والفرق بين الاسلام وغيره انه دين وسياسة وعلم وتشريع في الوقت نفسه ، فهل يعاب الاسلام بهذا ؟

والذي يقول بأن السياسة أو الحقوق ليست من الاسلام ، فعليه أن يحو من القرآن براءة ، والانفال ، ومئات الآيات التي تبحث في الاحكام والتي أفردتها الجصاص وغيره من العلماء بالتأليف فيها .



عبد الله الصادق

كُتِبَتْ مَدَّةٌ فِي الْإِيَّامِ بِإِمضاءِ مُسْتَعَارٍ هُوَ
(عبد الله الصادق) وَمَدَّةٌ فِي النَّصْرِ بِإِمضاءِ (أديب)
عَادِلٍ (فَسَالَ النَّاسُ مِنْ (عبد الله الصادق) فَكُتِبَتْ
هَذِهِ الْكَلِمَةُ :

جئت اشتكي من ظلم الأيام ، أيام نصوح بابل لا أيام الدهر ، لأنها
لم يكفها أن أعطت زاويتي أمس لغيري ، حتى سلطت الناس عليّ
يرعجونني .

انني لم أخط أمس خطوة ، ولم أركب تراماً ، ولم أقعد في مكان
الآء وجدت مَنْ يسألني : مَنْ هو عبد الله الصادق ؟
فيا أيها القراء ، مالكم وماله ؟ هل لكم عليه دين تطالبونه بدينكم ؟
هل بينكم وبينه نار تقتلونه بشاركم ؟ هل أنتم عاشقون له تسمعون وراءه
تبلون به صدى قلوبكم ؟
فلماذا الحرص على معرفة أصله وفصله ، ونسبه وحسبه ، وماضيه
وحاضره ومتى ولد ، وأين يقيم ؟ لماذا لا تأخذون ما قيل وتدعون مَنْ
قال ؟

ولما تسألونني أنا عنه ؟ مَنْ قال لكم أنني كنت صديقه وصفيه ،
وخيله ونجيه ؟ أو تحسبون اني (مأمور النفوس) عندي سجلات
الخلايق وأسمائها وكنائها ، وآبؤها وأمهاها ؟ أو (شرطي تحري)
لدي أبناء الناس ، وصفاتهم ونعوتهم ، وما يصنعون في منازلهم
وأسواقهم ؟

وماذا رأيتم في الرجل من عجيب حتى ذهبتم تستقرون عنه هذا الاستقراء ؟ لأن له هذا الأسلوب ، ولا يكتب ولا سمعتم باسمه ؟ أم لأنه عبد الله الصادق وقدمات عباد الله الصادقون من دهر طويل ، وعاش في الناس بعدهم الكذب ، فنحن نكذب في أقوالنا وأفعالنا ، ونكذب في أسواقنا وبيوتنا ، في مجاملاتنا ومخاصماتنا ، نقول للصديق مشتاقون اليك ، وما بنا اليه من شوق ، ونهدد العدو بأننا سنبتطش به ، وما تقوى على بطش ، صار الكذب لنا ديناً ، فالسائل يكذب اذ يدعي الحاجة والفقير ، والتاجر يكذب اذ يدعي الجودة والرخص ، والموظف يكذب اذ يشتكي الشغل وبعد الى غد ، وفي غد الى ما بعد غد ، والخير يكذب اذ يقدر الدار بكذا ويحلف أنه ما قال الا ما يرام حقاً ، وهو ما قال الا ليرضي الخصم الذي اتفق معه في الليل على أن يكون معه في النهار ، والخياط يكذب اذ يقول لك ، القياس الخسيس ، وهو يعلم أنه لن يكون الا الاحد ، والمرشح يكذب اذ يعد الناس ويمنيهم ، وما يعلمهم الا غروراً ، والحكومات كلها تنسج برامجها الوزارية من خيوط الأكاذيب ، ثم لا تحقق منها شيئاً ، والدول الكبرى تكذب اذ تؤكد أنها تدافع عن السلام باثارة الحرب !

فبذلك عجب الناس ، اذ سمعوا انه لا يزال في الدنيا عبد صادق ، وانطلقوا يفتشون عنه بمصباح ديوجين ، ويزعجون عباد الله بالسؤال عنه .

فيا جريدة « الايام » دليهم عليه ، أرجوك وأريحيني !

* * *

طيور وبشر

أظن أن أكثر القراء قد مروا بهذا الخبر العجيب الذي وقع من اسبوعين مرور الكرام باللغو ولم يقفوا عنده ولم يفكروا فيه : خبر الطيور التي أقبلت بأسراب هائلة العدد فتكاثرت على الطيارة الضخمة في طريق العراق حتى كادت تؤذيها وتودي بها .

أما أنا فقد وقفت عنده مفكراً متعجباً كيف استطاعت الطيور المجرافات التي لا عقل لها ولا لسان أن تتحد وتجتمع حتى كان لها باجتماعها القوة التي جعلتها تقتحم بأجنحة صغيرة من الريش جناحين كبيرين من الفولاذ ، وتهاجم بأجسادها اللطيفة ، ومناقيرها الضعيفة ، هذه الطيارة المخيفة . . . ونحن العرب الذين يعدون ثمانين مليوناً ولهم عقول ، ولهم دول ، ولدولهم جامعة ولجامعتهم أمين مقوال ، له لسان يفل الجيوش ويثل العروش . . . لم نستطع أن نتحد كما يكون الاتحاد ، ولم تقدر أن نحطم بجيوشنا الستة عصابات الدولة المزعومة ؟ . . .

وكيف ذهبت فلسطين ولا يزال الاختلاف باقياً بين أهلها ، بين الحاج أمين مفتي فلسطين (التي صارت لليهود) وخصوم الحاج أمين ؟ ولا يزال الاختلاف بين دول العرب على القدس (تدويلها) وتقسيمها ، وعلى . . . غير القدس ؟

وكيف يكون لعشرة آلاف طائر هذه القدرة وهذا المضاء ، ولا تكون لثمانين مليون عربي . ولخمسئة مليون مسلم . خمسئة مليون ؟ لو أنهم غنم لما استطاعت دولة في الدنيا أن تذيبهم ، ولو ذبحتهم لأغرقتها دماؤهم ولو أنهم قطط وجاؤوا مجتمعين لما قدر جيش في الأرض عليهم !

فماذا ؟ ماذا كتب علينا ! أفقدنا سلاقتنا ، وأضعنا ارث ماضينا ؟ أم أن بلاءنا من رؤسائنا ، وشقاءنا من ملوكنا ؟

بل من ملوكنا ورؤسائنا (١) ؟

(١) وقد ذهب الآن أولئك الملوك والرؤساء .

حفلة

ان هذا التفاوت بين الناس في (بعض البلدان) الذي هو أصل بلائها ، وسر شقاها ، والذي بحث من الشكوى منه السنة أهلها ودوابها وأرضها وسماؤها وذلك التبذير الجنوني يقابله الحرمان الميت ، وأن يشقى ألف فلاح شهراً ليسعد بالاثم مالك واحد ليلة ، وأن ينفق واحد ألف جنيه على الشهوة الدنسة ، ويبقى ألف من الناس بلا جنيه واحد كل هذا سيكون فينا ، قد بدت بوادره في دمشق وفي المهاجرين على التخصيص ، فأسرعوا يا أيها العقلاء ، ويا أيها المصلحون ، ويا رجال الحكم ويا رجال القلم ، فادفعوه قبل أن يتمكن ويستعصي على العلاج .
واشهدوا لي عند الله اني قد بلغت .

ان حي المهاجرين الذي فيه الفقراء ينامون في مغارات الجبل وفيه اللاجئون يأوون الى حرم الجامع ، وفيه الأرامل والفقراء والشيوخ المعز من بقايا الاتراك الاولين ، ان هذا الحي شهد منذ ليال حفلة داغرة فاجرة لعنتها الاخلاق ، ولعنتها المدنية ، ولعنتها العدالة الاجتماعية ، ولم يباركها الا هؤلاء النفر الذين هم في ذواتهم لعنة مجسمة على هذا البلد ، وهم سبب أذى الكثرة الكاثرة من أبنائه ، يدفعونهم دفعا الى النقمة على الحياة والكفر بعدالتها ، ويحثونهم على النجاة ولو بالالتجاء الى جهنم الحمراء ... أو الى الشيوعية الحمراء مثل جهنم ...

حفلة لا أدري ما ذا أقول عنها ، عرس ؟ ان العرس يكون للنساء وحدهن . مرقص ؟ ان المراقص لا تكون بين البيوت الشريفة ، اذن فماذا هي ؟ انه اجتمع فيها عشرات وعشرات من الجنسين بدأت الساعة العاشرة ساعة ينام الكادحون العاملون الذين يشقون لينالوا لقمتهم ، فنقصت عليهم نومهم وكرهت اليهم عيشهم وعرضت في الحديقة المكشوفة على الطريق ، تسطع فيها الانوار على أكسية المساء (السواريه) والحلي والجواهر ، وتعلو فيها الأصوات فتصل الى آخر الشارع والى الجادة

الثالثة : « شبانيا للستات ويسكي للرجال » وتدور القناني والكؤوس ، ويدور بعدها الراقصون فتلتف السيقان وتتداني الرؤوس ، حتى اذا اقترب الفجر و (اختمرت) الحفلة • وتمكنت الخمرة ، وتمسكت النشوة ، نسي هؤلاء السوقة مظاهر التمدن التي ظنوا أنهم تعلموها وعادوا الى سوقيتهم والى ••• غريزتهم ••• وعلا العياط والزياط ^(١) والشخير والنخير ، والشهيق والنهيق وأطلقت الانوار غير مرة ، كما يكون ليلة عيد الميلاد ، اي والله العظيم •

لا الخلق منهم من هذه الدعارة الملعنة وسط الأسر الشريفة ، ولا الذوق وزعمهم عن ازعاج الناس ساعة المنام ، ولا الانسانية ذكرتهم أن « ها هنا بشراً مثلهم » ان كانوا هم بشراً » يحتاجون الى ثمن قنينة واحدة من هذه القناني التي تبلغ المئات ، ليشتروا بها الخبز لمعدهم ، أو الكتاب لولدهم ، أو الدواء لمريضهم ••

وما أقيمت هذه الحفلة الا بما أخذه أصحابها من اليهود لأنهم كانوا أول من باع أرضه لهم ، ان هذا المال ثمن أرض الوطن التي أقيمت عليها دولة اسرائيل ، ان هذه الخمر عرق الفلاحين الذين يشقون سنة ويذوقون الحرمان ، ليشرّب « السيد » وضيوفه عرقهم خمرًا ••• لقد أنفق في هذه الحفلة ما يعيش به أهل المهاجرين كلهم اسبوعاً كاملاً على التأكيد ان هذه الحفلة نذير من القدر لأهل الشام ، ليتنبهوا •

ان هذا التبذير هو الذي يصنع الشيوعية فان أردتم أن تحاربوها فعاربوها أو لا • انها تقليد سخيّف للحفلات الاوربية ، ولكن كتقليد القردة لبني آدم • انها حفلة قروود •

فان كانت هذه هي ثمرة الارستقراطية ••• فلعنة الله والخلق على هذه الارستقراطية !



(١) العياط والزياط من الفصيح •

نحن وطلاب اليوم

الى الآنسة التي كتبت اليّ يوم الخميس •
يا بنتي ، ان سنة واحدة لا تنسي التلميذة الذكية خلائق أستاذها ،
فكيف نسيني ؟ ومتى عهدتني منافقاً منزلقاً أقول ما لا أعتقد ، وأظهر
ما لا أضمر ، وأشتري رضا الناس عني بسخط الله عليّ ؟ "وَمَنْ" قال
لك أنني أخاف أحداً في الدنيا ، فأقول من أجله غير الحق ؟ حرام اذن أن
أتشرف بالقضاء ، أو أتسب الى الأدب •

فكيف تطلبين مني أن أعين أخاك واخوانه في المدرسة على ما يريدون
من نقص ساعات الدرس ، مع ما أعرف من ضعف الطلاب في العربية التي
كنت أدرسها ، وأسمع عن ضعفهم في الدروس الأخرى من مدرسيها ،
حتى أمسينا نخشى انتشار الجهالة المركبة فينا ؟ وهل تعرفين ما الجهل
المركب يا آنسة ؟ هو أن يكون المرء جاهلاً ويظن أنه عالم ، كالحكيم
توما الذي كان حماره أعلم منه ، لأنه كان يعلم جهله ، وصاحبه يجهل
أنه جاهل !

وأحلف لك يا بنتي انه كان معنا من قرأ العقد والبيان والأغاني كله
وتاريخ الطبري كله وحماسي الطائيين وخزاتي البغدادي والحموي
والمفضليات والجمهرة والمثل السائر والعمدة وكتباً أخرى قرأناها قبل
أن نبلغ في الثانوية الصف الذي كنت فيه تلميذتي ، وانا كنا تتناظر في
معضلات النحو والصرف واللغة والبلاغة وتتذاكر مسائل الحديث
والتفسير والفروع والأصول ووجوه القراءات ، ويحفظ أحداً أكثر من
خمسة آلاف بيت من جياذ أشعار العرب ونحن طلاب في التجهيز ، وانه

نبت من رفاقنا طائفة هم اليوم من أعلام هذا البلد ، ولولا الإطالة لسردت
أسماء عشرات منهم ٠٠٠ فأريني يا آنسة كم هم الذين نبغوا من عشر
سنين الى اليوم ؟ وقد كثرت المدارس وزادت الكتب وتقدم الزمان ؟
وكم من الطلاب (وكنت لولا الحياء أقول : من الأساتذة ٠٠٠) من
يستطيع أن يقرأ صفحة من الكامل أو الأماشي بلا لحن ؟ وكم منهم من
يفهم أربعة أبيات من ديوان الفرزدق ويدرك أسرارها البيانية ، ودقائقها
اللغوية ، وإشاراتها التاريخية ؟ وكم هم الذين عرفوا (الصناعتين)
وفتحوا (الخزائين) ووعوا (الحماستين) ؟

أو ما سمعت اللحن في حفلة المولد في الجامعة أمس القريب ؟ أقسم
أن دكاتير في الأدب منهم من نصب الفاعل ، وخالف في التابع ، ولحن في
التصريف فممن بعدهم نطلب الصواب ؟ لا يا آنسة لن أقول أكثر من
هذا ، فما كل ما يعلم يقال ، فأنصحني أخاك يتعلم ، ويدع ما سوى ذلك ،
فانه ان لم يقبل هو ورفاقه على العلم كما كنا قبل نحن عليه ، أو شككت هذه
الامة أن تعود الى ما كانت عليه قبل عصر النهضة فتفشو العمية ويضيع
اللحن ، وتعم الجهالة وتذهب الرواية ، وينسى العرب لسان العرب
ونعود من خسارة هذا كله بربح شيء واحد ، هو الشهادات .

ومن شهادات المدارس ، ما هو زور ، كشهادات الزور في المحاكم ،
ومنها ما هو دليل على الجهل المركب تركيياً مزجياً كـ (حضر موت)
لا يشفي منه الا الموت والعياذ بالله ، ونسأله السلامة !
والسلام على من قرأ فوعى !

* * *

فلاح فلوريدا

قرأت في كتاب (دبل كارنيجي) (دع القلق ^(١)) وابدأ الحياة) قصة فلاح من « فلوريدا » اشترى أرضاً وضع فيها ماله كله وأمله ، فلما صارت له وذهب ليراها ، أصابته أشد ضربة من ضربات الدهر فتركته مضطعاً مشرفاً على الانهيار : رآها قفرة مهجورة ، لا تصلح للزراعة ولا تنفع للرعى ، وليس فيها إلا أعشاب تعيش عليها مئات من الحيات والثعابين ، لا سبيل الى مكافحتها واستئصالها ، وكاد يصاب بالجنون ، لولا أن خطرت له فكرة عجيبة هي أن يربي هذه الحيات ويستفيد منها ، وفعل ذلك ، فنجح نجاحاً منقطع النظير ، كان يخرج سموم هذه الحيات فيبعث بها الى معامل الادوية فتستخلص منها الترياق الذي يشفي من هذه السموم ، ويبيع جلودها لتجار الأحذية بأعلى الأثمان ، ويحفظ لحومها ... في علب يبعث بها الى من يحب أكل لحوم الحيات ، ويظهر أنهم كثيرون .. وكان يقصده السياح من كل مكان ينظرون الى أول مزرعة في الدنيا انشئت لتربية الحيات والثعابين ...

قرأت هذه القصة الواقعة فأحسست كأنني كنت أسير في طريق مظلم لا أعرف موطى قدمي فيه ، فسطم أمامي نور وهاج ، لقد علمتني هذه القصة إلا أفزع بعد اليوم من فشل أو أجزع من خيبة ، بل أن أحاول استثمار الفشل ، والاستفادة من الخيبة ، وليس في الدنيا خير مطلق ، وليس فيها شر مطلق . ولكن في كل خير شر قليل ، وفي كل شر خير قليل . والخمر والميسر فيهما اثم كبير ومنافع للناس ، ولكن اثمهما أكبر

(١) أخطأ المترجم ، وكان ينبغي أن يقول (اللهم) لا (القلق) .

من نفعهما ، والموت الذي نعر منه قد يكون في حالات مثنية تمنها ،
 وابليس الذي هو الشر المجسم ، لا يخلو من خير ، فهو ذكي ، خير
 بالطرق التي تصل به الى غاياته ، ثابت على مبدئه (٢) فلماذا أبكي وأياس
 ان أصابني شر ما دمت أستطيع أن أستخلص الخير القليل الذي يكمن
 فيه ، لماذا أترك الحيات تلدغني بسما ، ما دمت أقدر أن أربيها وأستفيد
 من سما .

هذا هو الدرس الذي تعلمته من قصة (فلاح فلوريدا) .



الزائد اخو الناقص

أعرف أخوين حادا عن السبيل السوي في الغذاء ، هذا الى طريق
 النقص ، وهذا الى طريق الزيادة ، وما عن حاجة نقص الاول غذاءه ولكن
 تقشفاً وتزهداً واهمالاً لحق جسده عليه ، فكان لا يأكل المقدار الكافي
 ولا يختار الغذاء الوافي ، وكان الثاني يبالغ في التخير ، وضبط أوقات
 الطعام ، وتتبع كتب الصحة ، وجمع جداول الغذاء ، وحساب ما يكون
 في كل طعام من (الزلال) ومن (النشاء) ومن (الدهن) وما يشتمل
 عليه من (آزوت) و (فسفور) و (ماء الفحم) وما فيه من (الاملاح)
 وما فيه من (أنواع الفيتامين) وهو يعرف لها بضعة عشر نوعاً ، وكم
 حرة (كالوري) يكون منه الى آخر هذا الكلام ...

(٢) ولست أمدح ابليس لعن الله ابليس واعوانه جميعاً من الجن

والانسي .

أما الأول فعراه مرض كاد لولا لطف الله يودي به الى خطر ، وأما الثاني فقد أصابه رمل في الكلى اقلب الى حصوات ، في كل كلية حصاة ، وآلام في المفاصل اذا مستها نسمة من هواء بارد ، جعلت فيها مثل وخز الابر أحيانا ، وحيثا مثل طعن السكاكين ، وذلك على جودة في الصحة ، ونماء في الجسم ، وضخامة في العضل .



رأيتهما فقلت : لا اله الا الله ، ما أجل " حكته وأبدع صنعه انه لو كان يمرض الناس من نقص الغذاء فقط لكان المرض وقفاً على الفقراء ، ولكان الأغنياء في منجى من المرض ، لا يقرع أبوابهم ، ولا يعرف الطريق اليهم ، ولكانوا يأكلون فلا يشبعون ، يأكلون الأطايب كلها يشترونها بأموالهم ، فلا يدعون للفقراء شيئاً ، فقالت لهم الطبيعة التي طبعها الله : قفوا ، هذا يكفي ، فاذا زدتم عليه فان عقوبتكم أمامكم . فلماذا لاتستجيبون يا أيها الاغنياء لنداء الطبيعة ، فتقللوا طعامكم ، ولا تأكلوا الا ما يقيم أصلابكم ، ويصلح أجسادكم ، وتفعلوا ذلك بدلالة العلم ، وارشاد الأطباء ، وتدفعوا ما يفضل عنكم ، وما يتوفر لديكم مما كنتم تبعثون به من أموال الى أميركا وأوروبا تشترون به أدوية جزيت أثارها فوجدته يسكن ولا يشفي ، تدفعوا ذلك الى الفقراء فخلصوا أتم من هذه العلل التي تقض مضاجعكم ، وتذهب لذائذكم ، وتنقص هيشكم ، ويخلصوا هم من السل ومن فقر الدم ومن الهزال ؟ ان فعلتم ذلك كان ثوابكم في الدنيا صحة الجسم ، وراحة البال ، وفي الآخرة الجنة .

فهل تعلمون ؟



بيع الجرائد (١)

أعرف أبناء أسرة في بغداد ، لا أعرف أكثر غرورا ، وأشد كبرا ، وأشمخ أنفا منهم • يملكون مثل أموال قارون وكانوا من نحو ثلاثين سنة فقراء مثل أبي الشمقق ، خرج عليهم كنز من الأرض : كان لهم بستان رحيب لا يساوي شيئا فامتد اليه العمران ، حتى صار يباع بالشير ، وغدا حيا عامرا ، كحي الحلبوني الذين كان لهم بستان الأعجام وحي السبكي والحبوبي في الشام ...

وما قلت هذا في وصفهم ، مدحا ولا قلحا ، ولكن ليتصور القاري • شابا من هذه الأسرة ، نشأ في الدلال ، وتقلب في الترف ، وأكل في صحاف الذهب ونام على سرر الفضة ، وكان صورة لابن النعمة المحدث ، يذهب الى أميركة ليدرس فيكتب الى أهله أنه يشتغل في عطلة الصيف بـ ... هل تصورون بماذا يشتغل ؟ ببيع الجرائد ..

هذا الشاب المدلل المرفه ابن الترف والسرف ، يشتغل يباع جرائد لا عن حاجة للمال ، ولا عن رغبة في العمل ، بل لأن من نظام المدرسة الأميركية التي يدرس فيها الزام الطلاب بأن يشتغلوا في أيام العطلة ؟ تلزمهم ذلك الزاما لأن في ذلك درساً لهم خيراً من كل الدروس التي يتعلمونها في المدرسة ، وقد حدثني طبيب ذهب الى أميركة للاخصاء (أي التخصص) ، ان من المشاهد المألوفة أن تدخل مطعما في الصيف فترى النادل (الكرسون) من طلبة الأقسام العليا في الجامعة ، أو تشتري جريدة من طالب في قسم الاجازة (الليسانس) أو يصبغ حذاءك طالب بكالوريا ..

(١) اقرأ كلمة « صناعات الاشراف » صفحة ٢٣٣

يعلمونهم بذلك طريق تكسب المال ، وعلم الحياة ، والاعتماد على النفس ، والترفع عن صفائر الكبر والغرور ، وأن يكون المرء كبيراً في عينه وفي عيون الناس ، حتى لا تصغره أخط الأعمال .
فلماذا لا نأخذ ذلك عنهم ؟

ولماذا تقلد الجامعيين الأميركيين في الاختلاط وحفلات السمر والرحلات ولا تقلدهم فيما يصبّ الرجولة في الأعصاب ، ويخرج لهذا الوطن جنوداً يتغلبون على أوهام نفوسهم ، ويدفع الطلاب الى مساعدة آبائهم والتخفيف عنهم ، والقيام بنفقاتهم على الاقل ؟ لماذا لا ندرس هذا (النظام) ونقر مثله في جامعتنا ؟



الاسلام الصحيح

حدثني طبيب كبير كان قديماً في الحجاز انه دعي يوماً الى اسعاف جريح ينزف دمه ، وخبر بالهاتف أن الخطر قريب ، والنزيف شديد، وأنه لا يدري أيلحقه حياً أم يسبقه الموت ، فأعدّ عدته وأسرع اليه ، وكان عليه أن يسلك الحرم اختصاراً للطريق واغتناماً للوقت ، فلما كاد يخرج أذن المؤذن فاعترضه واحد من جهلة المتعبدین : فقال له بلهجة منكرة : الى أين تخرج وقد أذن المؤذن والخروج من المسجد بلا صلاة مكروه لمن سمع الأذان ؟

قال له : وما شأنك أنت ؟

فانضم اليه آخرون يقولون : أتقولون لمن أمرك بالمعروف(ماشأنك)
ارجع فصل* .

فقال : يا ناس أفا طيب ذاهب لاسعاف رجل مشرف على الموت
ولعل* هذه الدقائق تسبب موته .

قالوا : الخروج من المسجد بلا صلاة مكروه .

قال : ولكن ترك المريض يموت بلا اسعاف حرام .

فلم يسمعوا منه وتكاثروا عليه حتى ردّوه الى المسجد ...

فجملت أفكر في عمل هؤلاء الجاهلين ، الذين يتكلمون باسم الدين
عن غير علم ولا فهم وبغير ذوق ولا لطف ، وفي أمثالهم ممن يحاول
الدعوة الى الله بالغلظة والفظاظة ، فأراهم علة ما نشكو منه من انصراف
الناس عن الدين ، وجهلهم به ، وأرى فيهم تحقيق كلمة الشيخ محمد
عبده التي تكاد تكون من جوامع الكلم : (الاسلام محجوب بأهله)
يسترونه عن الناظرين اليه ، ويمنعونهم أن يروا يسره ومروته وصلاحه
لكل زمان وكل مكان .

... وأكاد أعذر الشباب ان لم يعرفوا الدين ما داموا لا يجدون
كتاباً مختصراً سهلاً يعرفهم بالاسلام السهل (البسيط ^(١)) الذي كان
الأعرابي يفد على الرسول فيتعلمه منه في أيام ويعود الى قومه مرشداً
هادياً ، ويصير فيهم اماماً ، ولا يجدون من العلماء من يقترب منهم ،
ويقرب الاسلام الى أذهانهم ، ويعرفهم به بلسانهم ، وما داموا يجدون
من غلاظة بعض أدعياء العلم وجهلهم مثل ما وجد هذا الطبيب ، مع أن
الاسلام يوجب انقاذ رجل مشرف على الموت ولو بترك الفريضة ، كما
يجوز انقاذ الحياة بأكل الميتة ، ودفع الفصة بشرب الخمر ، ولا يوجب

(١) افضل كتاب في هذا الباب (موعظة المؤمنين للقاسمي) وافضل منه
(مختصر منهاج القاصدين) .

على أحد أن يكره أحداً على الصلاة في أول الوقت أكرها ما دام في الوقت فسحة ..

وفي الذي ينكره الشباب من بعض المشايخ والمتشيخين أشياء كثيرة ، ينسبونها الى الاسلام والاسلام لا يقرها .

فلماذا يسكت العلماء حتى يتكلم هؤلاء الأعداء ، ولماذا لا يؤلفون الكتب للشباب ، ويلقون المحاضرات في مجامع الشباب ، تعريفاً بالاسلام وتبياناً لحقائقه ؟ وما لبعض الخطباء يتكلمون كل جمعة في موضوعات ميتة بلهجة باردة ، كلاماً يهرب منه المصلون فلا يأتون حتى تنتهي الخطبة أو ينامون عند سماعه ، مع أن خطبة الجمعة لو أحكم أمرها وجاءت على وجهها ، لحقت انقلاباً في الاخلاق والعادات في ثلاثة أشهر ، وما لبعض المدرسين يأخذون الرواتب من أموال الأمة ، ولا يدرسون ولا يراهم أحد الا عند قبض الراتب ؟ ومالهم يسعون الآن سعي من لا يكل ولا يمل لتعديل ملاكهم وزيادة رواتبهم ، ولا يفكرون أن يقوموا قبل ذلك بما يوجب الشرع والقانون عليهم ؟ وكيف يستحلون أن يأخذوا راتباً بلا عمل ؟ وما لدائرة الافتاء ومديرية الأوقاف لاتلاحقانهم وتعاقبان المهمل منهم ؟ ان هؤلاء المدرسين لو نظموا دروسهم ، وأحسنوا لقاءها لا في المساجد العامة فقط ، بل في النوادي والجماعات بل وفي القهوات - ولیم لا يكون الوعظ في القهوات ؟ وما دام الناس لا يلحقون الشيخ الى الجامع فيلحقهم هو الى القهوة - لو فعلوا ذلك لأنشؤوا أمة جديدة في خلائقها وعاداتها في بضع سنين

* * *

كلنا نموت

هل رأى أحد منكم يوماً جنازة ؟ هل تعرفون رجلاً كان ان مشى
رج الارض ، وان تكلم ملا الاسماع ، وان غضب راع القلوب ، جاءت
عليه لحظة فاذا هو جسد بلا روح ، واذا هو لا يدفع عن نفسه ذبابة
ولا يتمتع من جرو كلب ؟

هل سمعتم بفتاة كانت فتنة القلب وبهجة النظر ، تفيض بالجمال
والشباب وتشر السحر والفتون ، تبذل الأموال في قبلة من شفيتها
المطبقتين كزر ورد أحمر ، وتراق الكبرياء على ساقها القائمين كعمودين
من المرمر ، جاءت عليها لحظة ، فاذا هي قد آلت الى التن والبلوى ، وترتع
الدود في هذا الجسد الذي كان قبلة عباد الجمال ، وأكل ذلك الثغر الذي
كانت القبلة منه تشتري بكنوز الاموال ؟

هل قرأتم في كتب التاريخ عن جبار كانت ترتجف من خوفه قلوب
الابطال ، ويرتاع من هيئته فحول الرجال ، لا يجسر أحد على رفع النظر
اليه أو تأمل بياض عينيه ، قوله ان قال شرع ، وأمره ان أمر قضاء ،
صار جسده تراباً تطؤه الاقدام وصار قبره ملعباً للامفال ، أو مثابة
لـ ... (قضاء الحاجات) ١٩

هل مررتم على هذه الاماكن ، التي فيها النباتات الصغيرة تقوم
عليها شواهد من الحجر ، تلك التي يقال لها المقابر ؟

فلماذا لا تصدقون بمد هذا كله ، ان في الدنيا موتاً ؟
لماذا تفرؤون المواعظ وتسمعون النذر فتظنون أنها لغيركم ؟ وترون
الجناز وتمشون فيها ، فتتحدثون حديث الدنيا وتفتحون سير الآمال
والأماني كأنكم لن تموتوا كما مات هؤلاء الذين تمشون في جنازهم ،

وكان هؤلاء الأموات ما كانوا يوماً أحياء مثلكم ، في قلوبهم آمال أكبر من آمالكم ، ومطامع أبعد من مطامعكم ؟

لماذا يطغى بسلطانه صاحب السلطان ويتكبر ويتجبر بحسب أنها تدوم له ؟ انها لا تدوم الدنيا لأحد ، ولو دامت لأحد قبله ما وصلت اليه ؟ ولقد وطئ ظهر هذه الأرض من هم أشد بطشاً ، وأقوى قوة وأعظم سلطاناً ، فما هي ... حتى واراها بطنها فنسي الناس أسماءهم ! يفتر بغناه الغني ، وبقوته القوي ، وبشبابه الشاب ، وبصحته الصحيح ، يظن ان ذلك يبقى له .. وهيئات ... وهل في الوجود شيء لا يدركه الموت ؟

البناء العظيم يأتي عليه يوم يتخرب فيه ، ويرجع تراباً ، والدوحة الباسقة يأتي عليها يوم تيبس فيه وتمود حطباً ، والأسد الكاسر يأتي عليه يوم تأكل فيه من لحمه الكلاب ، وسيأتي على الدنيا كلها يوم تغدو فيه الجبال هباءً ، وتشقق السماء وتتفجر الكواكب ، ويفنى كل شيء الا وجهه .

يوم ينادي المنادي : لمن الملك اليوم ؟

فيجيب المجيب : لله الواحد القهار .



لقد أمر رسول الله بالاكثار من ذكر الموت .

فاذكروا الموت لتستعينوا بذكره على مطامع نفوسكم ، وقسوة قلوبكم اذكروه لتكونوا أرق قلباً ، وأكرم بدءاً ، وأقبل للموعظة ، وأدنى الى الايمان ، اذكروه لتستعدوا له ، فان الدنيا كعندق نزلت فيه ، أت في كل لحظة مدعو للسفر ، لا تدري متى تدعى . فان كنت مستعداً : حقائبك مغلقة ، وأشياؤك مربوطة ، لبئسَ سرت ، وان كانت ثيابك مفرقة ، وحقائبك مفتوحة . ذهب بلا زاد ولا ثياب — فاستعدوا للموت

بالتوبة التي تصفي حسابكم مع الله، وأداء الحقوق ، ودفع المظالم لتصفوا
حسابكم مع الناس .

ولا تقل أنا شاب .

ولا تقل أنا عظيم .

ولا تقل أنا غني .

فإن عزرائيل إن جاء بمهنته لا يعرف شاباً ولا شيخاً ، ولا عظيماً
ولا حقيراً ، ولا غنياً ولا فقيراً .

ولا تدري متى يطرق بابك بمهنته .



مجنون

رجل ورثته أبوه قصرًا عظيمًا يزرى بقصور الملوك ، اجتمع فيه
سحر الطبيعة وعبقريّة الفن ، فكان ظاهره قصيدة كلماتها الرخام المجزّع
وأشطارها وقوافيها الأساطين الدقاق والأقواس الحواري ، وفيها من
بلاغة النقش وفصاحة (المقرنصات) ما لا تبلغه بلاغة الكلام ، وفي باطنه
من رائع الأثاث وبارع الرياش ، وعجيب التحف وغريب اللطف ، ما
يقصر عن بيانه البيان ، تطيف به الجنان الفواتن ، فيها من ألوان الزهر
وأفواع الثمر ، ما هو غذاء للجسد وللروح ، وفي السواقي تجري على
عجل ، تريد أن تلتحق الزمان لتتلو عليه من خيرها حديث الخلود ، وفيها
البرك تنفجر نوافيرها راقصة فيرقص معها النور ، ويضحك لرائيها
الوجود ، وفيه الحزائن مترعات بالذهب الوهاج ، والتخوت زاخرات

بالثياب الغوالي ، والموائد حافلات بالطعام الهنيء .
... فترك ذلك كله وراح يقرع الابواب ، يسأل الناس احسانا :
رغيفا يتبلغ به ، وكوخا يأوي اليه ، وحصيرا ينام عليه .
... ماذا تقولون في هذا الرجل ؟

مجنون ! لا . لا تقولوها أرجوكم ، لأن هذا مثالنا نحن ، فهل
نحن جميعا مجانين ؟

نحن الذين ورثنا آباؤنا أجمل بقاع الأرض ، فأهملناها حتى جعلنا
جنانها الساحرات صحارى ، وأوديتها العائلات مفاوز ، وتركنا عيونها
الصفائيات تضحك في رؤوس الجبال للمعزى وللضباع ، وورودها الباسات
تنشر عطرها في السفوح للرياح ، ورحنا نؤم وادي البردوني ، ونقصد
مصايف لبنان وأين واديه من وادي الشاذروان لو كسته أيدينا مثل تلك
القهوات ، وهاتيك المطاعم ، حاشا الخمور والفسوق والضلالات ؟ وأين
مصايف لبنان من مصايف الشام لو كان في الشام رجال ؟

نبئت لبنان جنات الخلود وما نبئت أن طريق الخلد لبنان
نحن الذي ورثنا أعظم لغة نطق بها لسان بشري لأستثني ولا أبالغ.
فهجرناها وحقرناها ، ورحنا نلتقط فتات موائد اللغات ، نحن الذين
ورثنا أكبر ارث من نظريات التشريع وقواعده وأحكامه فرميناه ، ورحنا
نسأل الناس شيئا لله ، من قوانينهم ونظرياتهم صدقة واحسانا . نحن
الذين ورثنا أشرف العادات وأفضلها فرغبنا عنها ، ورحنا نأخذ من كل
أمة شرا ما عندها ، نحن الذين ورثنا المجد والعزة وملكا أظلت راياته
الشرق والغرب ، وسامت النجم ومست السماء فهدمنا ذلك المجد ،
وأضعنا ذلك الملك ، وتركنا اليهود أذل البشر يفتحون بلادنا ، وقد فتح
أجدادنا العالم وأذلّوا جبابرة الارض ...

فإن كان ذلك الرجل مجنونا فنحن جميعا مجانين ! !



مكر مات

من سنن المكارم التي سنّها رسول الله صلى الله عليه أنه إذا كان موعد جداد النخل ، واقتطاف ثمره ، جاء كل جاد بقنو (أي بمنقود) يعلق في المسجد ، ليأكل منه الفقراء والمساكين ومن ليس له نخل ، وقد مرّ يوماً بقنو حشف (أي تمر رديء) فأنكر على من علّقه وعلم الناس أن الصدقة لا تكون إلا بالطيب .

وقد رأى السلطان نور الدين أن الأغنياء من أهل دمشق يؤمنون الربوة في الصيف ، ولهم فيها البيوت العامرة والمخاني ، فأقام للفقراء قصراً على سفح قاسيون ، تحته (تورا) وفوقه (يزيد) ، ووضع فيه من كل شيء وفتح بابه للفقراء .

وكان في دمشق جرن من الحجر على باب كل بستان يملأ بالثمار كل صباح ليأكل منه المارة والفقراء ، وآخر ما كان من ذلك بستانان ، يعرف كل واحد منهما بـ (بستان الجرن) ، أحدهما في منحدر كيوان من المهاجرين ، والآخر في القصاع تحت جسر تورا .

وكان في حماه دار فخمة ، مفروشة بأجمل الفرش ، وفيها أغلى الأثاث ، وفيها الآلة الكاملة ، معدة للأفراح ، فمن كان عنده فرح من الفقراء عرس أو ختان ، ولم يكن له دار أعير هذه الدار أيام الفرح مجاناً . وكان في قرى الكروم (داريا وغيرها) عادة حلوة ، هي أن الفلاح إذا أنزل صناديق العنب (السحاحير) إلى السوق ، حمل معه سلة مملوءة

عنباً ، فلا يلقي أحداً الا أعطاه عنقوداً ، وهذه العادة باقية الى اليوم في النبك لم أرها في غيرها .

هذا مثال من المكارم التي أمر بها الرسول ، وأكثر منها الملوك ، وتعارفها الناس ، وهذا مظهر من مظاهر الاشتراكية الانسانية التي لا من فيها ولا أذى ، وصورة من صور الصدقات النبيلة التي يعطيها الغني راضياً مسروراً ، ويأخذها الفقير عزيزاً كريماً ، فلماذا اختفت من حياتنا هذه المظاهر ، وطست هذه الصور ؟

ولماذا لا نجد في الحكومات ولا نلقى في الأغنياء ، من يحاول أن يميدها ويحييها ؟



رجل وامرأة

غمزني جاري في الترام بيده ، وهمس في أذني :

— انظر ، هل هذا رأس شاب أم فتاة ؟

فنظرت فاذا رأس يبدو من وراء الحاجز ، الوجه فيه وضيء مصقول يصلح للجنسين ، والشعر مرجل مصفوف ، مقصوص ، ولم أستطع أن أعرف (جنسية) صاحبه : هل هو من دولة الجنس اللطيف ، أو من دولة الجنس الخشن الذي لطف في هذه الأيام !

— فقلت : لا أدري والله !

فضحك ونادى صاحب الرأس باسم من أسماء الرجال ، فأجابه صوت رقيق منغوم ، وبرز جسده يسترأعلاه قميص ذو خطوط متقاطعة ومربعات مما يلبس النساء ، وهو مزموم من عند الخصر وله عقدة ، وأسفله في وسط (بنطال) من (بنطالونات) الرجال .

— قال : ما تقول فيه الآن ؟

فأنعمت النظر فإذا هذا الانسان يقف متشياً متخلعاً يكاد ينهدم ، كأنه خلق بغير عظام ، أو كأن عظامه من شكلاطة ، فلذلك ألسوه هذا القميص ، الذي يشبه غطاء علب الشكلاطة ، وحاولت أن أعرف حقيقته هل هو شاب متأنت ، أم فتاة مسترجلة ، فلم أدر ما هو .

وركبت امرأة (سالحانية) سمراء الوجه ، تتقد عينها ، ويجلجل صوتها ، ومرت تراحم وتصادم ، وتدفع يديها ، وتسب بلسانها ، حتى شقت لها طريقاً ، ووصلت الى هذا (الانسان) ، فدفعته دفعة هوى منها في حضن أحد الركاب .

فانزعج وقال بصوته الأغص الناعم :

— شو هالفلاطة .

فعادت المرأة تتأمل كما يتأمل زائر الحديقة حيواناً غريباً ، ثم وضعت كفها في خصرها ، وصاحت :

— (ايه يامو تقبرني وقعت ؟ ولي على قامتي ، آل شباب ، تمو

شوفوا شباب آخر زمان) .

وانفجر الناس بالضحك .

فقلت لجاري :

— الآن عرفت .

هذه (هذه السالحانية) رجل متخف في ملاء امرأة ، وذلك

(الشاب ...) فتاة مدللة مستترة في ثوب رجل !

صناعات الإشراف

غضب قوم من كلمتي أمس (يبيع الجرائد)
وقالوا : عجبا ! يشتغل ببيع الجرائد ؟
ولماذا لا يشتغلون ؟

ما الذي يمنع طالب الجامعة أن يعمل في الصيف ؟
ما الذي يمنعه أن يتعلم طريق الكسب ، وأن يقوم بنفقات مدرسته
ونفسه ؟ وأن يساعد أباه وأهله ؟ وأن يعرف تعب تحصيل المال حتى
يعرف لذة توفيره ، ويشقى من مرض تبذيره ؟

ما الذي يمنعه أن يتعلم في المدارس الخاصة ، أو يعطي دروسا في
بيته ، أو يشتغل محررا أو مصححا في جريدة ، أو حاسباً في (متجر)
ان لم يشأ أن يبيع الجرائد ، أو يخدم في المطاعم ؟
هل يحسن بطالب الجامعة أن يكون كلاءً على أبيه ، وعالة على أهله ،
وهو شاب طويل عريض ، لو كان قبل أربعين سنة لكان له في هذه السن
أربعة أولاد ، وكان له دكان ؟

هل ينبغي لطالب الجامعة أن يمضي الصيف كله ، لا يعرف الالبس
ألق الثياب ، وشراء أغلى الكتب ، وإضاعة الوقت في المطالعة الخفيفة
والتسلية البريئة ... وأبوه يكدح ويشقى ويموت كل يوم عشر موآت
ليعوله ويعول أهله ؟

لقد قرأت أنا صغير كتاب (التربية الحديثة) لادمون ديمولاند ،
فكنت أتمنى لو كان في بلادنا مثل هذه المدارس ، فلماذا لا تحقق هذه
الأمية ؟ ولماذا لا تفتح وزارة المعارف مثل هذه المدارس ، التي تعلم
العلم والعمل ، وتشغل يد التلميذ وعقله ، وتدريب الطالب على استعمال
آلة النجارة ، وأداة الحدادة ، كما تدربه على إعراب بيت من الشعر ،
وحل مسألة في الجبر ، واستعمال آلة الموسيقى ؟

أريد المدرسة التي تضع في أذهان التلاميذ هذه الحقيقة التي نسيت ،

وهي أنه ليس في العمل عيب .

لا ، لا أريد أن تلقى في ذلك المحاضرات والخطب والكلام الفارغ ، بل بالعمل ، بأن يشتغل المعلم والتلاميذ معاً بعد الظهر ، يلبسون ثياب العمل ، وينون في رحبة المدرسة بيتاً للدجاج ، ويحفرون الأرض ، ويصلحون المقعد الذي انكسر ، ويربون الدجاج والنحل ، ويصنعون كل ما يصنع في المدرسة الانكليزية الحديثة ، أما الخطب يلقيها في ضرورة العمل استاذ واقف في الصف ، أئيق الثياب ، قاعم الكف ، فلا تصنع شيئاً ، وعمر لما جاء القدس ورأى موضع الحرم مغطى بالاوساخ لم يلق محاضرة ، بل قام يعمل بنفسه فتبعه الناس ، ومحمد صلى الله عليه وسلم عمل بيده مع صحبه في بناء المسجد وحفر الخندق ، وكثير من علمائنا كانوا تجاراً وعمالاً ، فأبو حنيفة كان بزّازاً ، وابن المبارك كان تاجراً ، وأحمد بن حنبل كان يعيش من بيوت له يؤجرها ويصلحها بيده ان تغرب شيء منها ، وعمر بن عبد العزيز اشتغل بيده في تطييب داره وهو أمير المؤمنين ، وملك ملوك الأرض ، حتى ألف فيها كتاب اسمه (صناعات الاشراف) .

وكان علماء الشام الى عهد قريب يشتغل بعضهم بالتجارة ولهم دكاكين يستفنون بها عن صدقات الناس ، ورواتب الدولة ، ومن بقي من هؤلاء الشيخ صالح العقاد كبير فقهاء الشافعية في الشام . ليس في العمل عيب ، ولقد قرأت مرة أن وزيراً أميركياً عيروه بأنه كان صباغ أحذية (بويهجي) ، فقال : نعم . ولكنني ما صبغت حذاء الا أخرجته يلعب كالمرايا .

انا نحتاج الى هذه الاخلاق !

* * *

آداب الاحسان

رأيت (البنت) البارحة قد أخذت شيئا من الفاصولياء وشيئا من الرز وضعتهما في طبق كبير من النحاس ووضعت عليهما قليلا من الباذنجان ورمت في الطبق (خيارا) وحبات من المشمش .. وذهبت به فقلت : لمن هذا يا بنت ؟ قالت للحارس أمرتني ستي أن أدفعه اليه .
— قلت : ارجعي يا قليلة الذوق ، هاتي صينية ، واربعة صحون صغار ، وملقعة وسكيناً وكأس ماء — وضعي كل جنس من الطعام في صحن نظيف ، فوضعت ذلك كله في الصينية ، مع الملقعة والسكين والكأس .
— وقلت : الآن اذهبي به اليه .

فذهبت وهي ساخطة تبربر وتقول كلاما لا يفهم .
— فقلت : ويحك هل خسرت شيئا ؟ ان هذا الترتيب أفضل من الطعام ، لأن الطعام صدقة بالمال ، وهذه صدقة بالعاطفة وذلك يملأ البطن ، وهذا يملأ القلب ، وذلك يذل الحارس ويشعره أنه شحاذ من عليه ببقايا الطعام ، وهذا يشعره أنه صديق عزيز ، أو ضيف كريم .
وتلك (يا أيها القراء) الصدقة بالمادة وهذه هي الصدقة بالروح ، وهذه أعظم عند الله وأكبر عند الفقير ، لأن الفرك تعطيه السائل وأنت مبتسم له أندى على قلبه من نصف الليرة تدفعها اليه متتكرا له متكبرا عليه . والكلمة الحلوة تبسط فيها الخادم أبرد على كيد من العطية الجزيلة مع النظرة القاسية . وأن تستقبل يا أيها الموظف الكبير رفيقك في المدرسة ، مرحبا مؤنسا طارحا الكلفة مظهرا الالفة ثم تقضي له بعض حاجته أبر به وأسر الى نفسه من أن تقضي له حاجته كلها وانت متجهم له مترفع عنه تعامله كما يعامل الموظف الكبير (المراجع) لا يعرفه ..
فيا أيها المحسنون اعطوا من نفوسكم كما تعطون من أموالكم ، وأشعروا الفقراء أنكم اخوانهم ، وأنكم مثلهم وانزلوا الى مكاتبتهم لتدفعوا اليهم الصدقة يدا بيد لا تلقوها عليهم من فوق فان صرة الذهب ان وضعت في يد الفقير أغنته وان القيت على رأسه من الطبقة السادسة قتلته !

وداع

يا قرائي !

السلام عليكم • سلام وداع لا سلام لقاء •

وداعاً يا قراء ، وشكراً لكم على ما أفضلتكم علي ، فلقد عشت عمري
أغني للحب ، وأهتف للجمال ، وأناجي معاني الخلود في سكرة الأحلام ،
وأناغي الطبيعة في هدأة السر ، وروعة الأصيل ، وفي نهج الجيل ، وفي
جزع الوادي ، وأترجم للناس حديث السواقي في أذن الزمان ، وآهات
قلوب العاشقين ، ووشوشة النجوى ووسوسة القبل ، وأتغفل في ظلام
الماضي وأستشف حجب المستقبل ، أرسم صور المجدوتها ويل الأماشي ...
... فأنزلتموني من سماء الأحلام الى أرض الواقع • وغسستم هذا
القلم في مشاكل الطحانة ، والخبازة ، واللصوص ، والأشرار ، وأحوال
الطرق ، بعد ما عاش دهر ! لا يعرف الا مشاكل القلوب •

ووهبتموني آلاف الأعادي من كل موطن يتنى هلاكي ، ويرجو
أذاي ، وأرخصتم في سوق الصحافة أسلوب ، فاخفئ ذلك البريق من
بياني ، وجف الماء الذي كان يتسلسل على لساني •
أفليس لي بعد هذا كله أن أستريح ؟

بلى أو سيتنفس أقوام الصعداء على أن خلاصكاني ، وستفرح قلوب
كنت عليها غماً ، وتنام عيون كنت أحرمتها لذيد المنام •
والسلام عليكم يا قرائي ولا (كلمة صغيرة) بعد اليوم !

* * *

الفهرس

رقم الصفحة		رقم الصفحة	
٤٥	٢٠ - اقتصاد	٤	المقدمة
٤٧	٢١ - بالعة اليانصيب	٥	١ - الى الاغنياء
٤٩	٢٢ - اغنام	٧	٢ - الايمان
٥٠	٢٣ - هكذا قال زرادشت	٩	٣ - اجير الخباز
٥٢	٢٤ - انتبهوا	١٢	٤ - مجرم القد
٥٤	٢٥ - شحادون	١٤	٥ - مشكلة وجبه
٥٧	٢٦ - صورة عن حياة موظف	١٦	٦ - اكرموا الفلاحين
٥٩	٢٧ - ابو حازم وعبد الملك	١٩	٧ - نظام
٦٢	٢٨ - عزلة القاضي	٢١	٨ - ابطال صفار
٦٤	٢٩ - مزعجات السينما	٢٤	٩ - مشكلة الزواج
٦٦	٣٠ - اقتراح	٢٦	١٠ - دمشق
٦٨	٣١ - الزوجة الثانية	٢٨	١١ - منجم ذهب
٧١	٣٢ - نعم لقد هزمتنا	٣٠	١٢ - ابطال
٧٣	٣٣ - تلميذي البار	٣٢	١٣ - اربعة
٧٦	٣٤ - ادب الاطفال	٣٤	١٤ - جزاء الوالدين
٧٨	٣٥ - هكذا فاصنعوا لمن	٣٦	١٥ - معصرة
٨٠	٣٦ - الزواج بالاجنبيات	٣٧	١٦ - في جامع التوبة
٨٢	٣٧ - لان يابنت	٣٩	١٧ - دواء الهجران
٨٤	٣٨ - هذا هو البيان	٤١	١٨ - كواء
٨٦	٣٩ - خبر من السر	٤٣	١٩ - على دار الزعيم

رقم الصفحة	رقم الصفحة
١٣٧	٤٠ - طلاق
١٣٩	٤١ - علاج الخصام
١٤١	٤٢ - جواب
١٤٤	٤٣ - سيدة
١٤٦	٤٤ - حمار يسوق سيارة
١٤٩	٤٥ - طريق النصر
١٥١	٤٦ - معلمة
١٥٢	٤٧ - سهر الأولاد
١٥٤	٤٨ - قصة فتاة
١٥٧	٤٩ - موقف عالم
١٦١	٥٠ - يؤمنون بالحمار
١٦٣	٥١ - الهاتف الآلي
١٦٥	٥٢ - ما هي التقديمية
١٦٧	٥٣ - الشهرة
١٦٩	٥٤ - الثقافة في خطر
١٧١	٥٥ - الثبات
١٧٤	٥٦ - الله اكبر
١٧٦	٥٧ - الحق والقوة
١٧٨	٥٨ - الحاج احمد
١٨٠	٥٩ - كن رجلا في حبك
١٨٣	٦٠ - واعظ العتبة
١٨٥	٦٢ - طفلان
١٨٨	٦٣ - عواقب اللذات
٦٤ - المعلم الاديب	٨٨
٦٥ - طنبرجي	٩٠
٦٦ - من حديث السيدات	٩٢
٦٧ - ساندوتش	٩٤
٦٨ - الرشوة	٩٥
٦٩ - آلات	٩٧
٧٠ - الجهاز	٩٩
٧١ - الدمعة الافرنجية	١٠١
٧٢ - فيل في الترام	١٠٣
٧٣ - جواب على استفتاء	١٠٥
٧٤ - محاربة الشيوعية	١٠٧
٧٥ - عتابا	١١٠
٧٦ - المبقرات الضالعة	١١٢
٧٧ - كلب	١١٤
٧٨ - دفاع عن العربية	١١٦
٧٩ - هودوا الى محمد	١١٨
٨٠ - بنرول	١٢٠
٨١ - دموع	١٢٢
٨٢ - الاغاني المكررة	١٢٤
٨٣ - عصفور من الشرق	١٢٦
٨٤ - في الرياضة	١٣٠
٨٥ - موازين الرجال	١٣٢
٨٦ - وظائف الانشاء	١٣٥

رقم الصفحة	رقم الصفحة
٢١٤	٨٧ - قيمة الفلسفة والأدب ١٩٠
٢١٦	٨٨ - ثمرات درس الأخلاق ١٩٠
٢١٨	٨٩ - الف جنيه مصري ١٩١
٢١٩	٩٠ - هذه الكلمات ١٩٣
٢٢١	٩١ - تكريم الأحياء ١٩٦
٢٢٢	٩٢ - المذهب الرمزي كما فهمه ١٩٨
٢٢٥	٩٣ - النشر والشعر في المدارس ٢٠٢
٢٢٧	٩٤ - الكتب المدرسية والكتب الأدبية ٢٠٤
٢٢٩	٩٥ - أدباء المجالس ٢٠٥
٢٣٠	٩٦ - مجمع الشريعة الإسلامية ٢٠٦
٢٣٢	٩٧ - الدين والسياسة ٢٠٨
٢٣٤	٩٨ - عبد الله الصادق ٢١١
٢٣٥	٩٩ - طيور وبشر ٢١٣
١٠٠ - حفلة	
١٠١ - نحن وطلاب اليوم	
١٠٢ - فلاح فلوريدا	
١٠٣ - الزائد آخر الناقص	
١٠٤ - بيع الجرائد	
١٠٥ - الإسلام الصحيح	
١٠٦ - كلنا نموت	
١٠٧ - مجنون	
١٠٨ - مكرات	
١٠٩ - رجل وامرأة	
١١٠ - صناعات الأشرف	
١١١ - آداب الإحسان	
١٢٢ - وداع	



تصويب

وقعت أخطاء طفيفة يدركها القارئ أهمها كلمة « ما دون الدرجة الوسطى » وقد وقعت في السطر السادس من الصفحة (١٨٨) وصوابها : « ما فوق الدرجة الوسطى » .

١٣٧٩ / ٦ / ٢١ هـ

١٩٥٩ / ١٢ / ٢٢ م

آثار المؤلف

الكتب التي نفذت

- | | | | |
|---------------------|---------|-------------------------|---------|
| ١ رسائل الإصلاح | هـ ١٣٤٨ | ٥ في التحليل الادبي | هـ ١٣٥٣ |
| ٢ بشار بن برد | هـ ١٣٤٨ | ٦ عمر بن الخطاب (جزءان) | هـ ١٣٥٢ |
| ٣ رسائل سيف الاسلام | هـ ١٣٤٩ | ٧ كتاب المحفوظات | هـ ١٣٥٥ |
| ٤ الهشميات | هـ ١٣٤٩ | ٨ في بلاد العرب | هـ ١٩٣٩ |
- ٩ من التاريخ الاسلامي ١٩٣٩ م

الكتب التي صدرت حديثاً

- | | | | |
|-----------------------------------|---------|-------------------|------|
| ١ أبو بكر الصديق (الطبعة الثانية) | هـ ١٣٧٢ | ٥ قصص من الحياة | ١٩٥٩ |
| ٢ قصص من التاريخ | ١٩٥٧ | ٦ في سبيل الإصلاح | ١٩٥٩ |
| ٣ رجال من التاريخ | ١٩٥٨ | ٧ دمشق | ١٩٥٩ |
| ٤ صور وخواطر | ١٩٥٨ | ٨ مقالات في كلمات | |

تمت الطبع

- | | |
|-------------------|--------------------|
| ١ - من حديث النفس | ٣ - صور من الشرق |
| ٢ - هزاف المجد | ٤ - نفحات من الحرم |
| ٥ - مباحث اسلامية | |